الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أدرار

كلية العلوم الانسانية والاجتماعية والعلوم الاسلامية

قسم العلوم الانسانية

عبد الرحمن الأخضري

ودوره في حركة التجديد و الإصلاح

(920هـ-953هـ/1516م-1548م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الاجتماعي والثقافي المغاربي عبر العصور

إعداد الطالب:

عبدالحميد عومري

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد حوتية

أعضاء اللجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د محمد اسطنبولي	أستاذ التعليم العالي	رئيـــــسا	الجامعة الافريقية-أدرار-
أ.د محمد حوتية	أستاذ التعليم العالي	مشرفا ومقررا	الجامعة الافريقية-أدرار-
أ.د عبدالكريم بوصفصاف	أستاذ التعليم العالي	عضوا مناقشا	الجامعة الافريقية-أدرار-
د. محمد دبوب	أستاذ محاضر	عضوا مناقشا	الجامعة الافريقية-أدرار-

1435هـ-1436هـ/2014م-2015م

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير

أحمد الله عز وجل وأشكره على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل، وعلى كل نعمه ما علمنا منها وما لم نعلم.

كما أحمل أسمى عبارات التقدير والاحترام:

إلى الوالدين وكل عائلتي التي وقفت إلى جانبي فترة إنجاز هذا العمل.

والشكر كل الشكر لأستاذي المشرف الأستاذ الدكتور "محمد حوتية" الذي عبَّد لي طريق البحث من خلال توجيهاته وإرشاداته ونصائحه وملاحظاته رغم انشغالاته، فما وجد في هذا البحث من فضل فإليه ينسب وما وجد فيه من تقصير فعلي يحسب، فأنعم وأكرم به أستاذاً.

كما أتقدم بجزيل الشكر إلى الأستاذ الدكتور عبد الكريم بوصفصاف وكافة الأساتذة المؤثرين لنا في مرحلتي التدرج وما بعد التدرج، وجميع أساتذة الذين يعملون بقسم العلوم الانسانية.

والشكر الخالص لأعضاء لجنة المناقشة الساعين نحو إخراج هذا العمل بشكل علمي دقيق بناءا على ملاحظاتهم وتصويباتهم

كما أتقدم بجزيل الشكر للأصدقائي الذين كانوا عوناً لي في بحثي هذا: اسماعيل، مبارك، عبدالمجيد

عبدالحميد.

الإهداء

إلى روح جدتي التي فارقت الحياة قبيل طبع هذا العمل وإلى كل أجدادي.

إلى الوالدين الكريمين أطال الله في عمرهما.

إلى أخويّ، إبراهيم، محمد وأسرته.

إلى أخواتي، أزواجهن وأبنائهن.

إلى كل أقربائي وأصدقائي.

إلى كل من علمني ولو حرفا أو أهدى لي نصيحة.

إلى الشيخ العلامة عبدالرحمن الأخضري وكل علماء المسلمين قديما وحديثا

إلى هؤلاء جميعاً أهدي لهم هذا العمل المتواضع.

عبدالحميد.

- **تح** : تحقيق .
- **تر** : ترجمة .
- **تق** : تقديم.
- **ج** : جزء .
- **د.ت** : دون تاريخ الطبع .
- **د.ط** : دون طبعة .
- **ط** : طبعة .
- **ع** : عدد.
- **ص** : صفحة .

مقدمة

التعريف بالموضوع:

يعتبر التاريخ الثقافي جزءًا من التاريخ الحضاري لأي أمة، فهو يساهم في رسم هويتها، ويعبر عن مسارها الفكري والعلمي، ومكانته بقدر مساهمته في تطور الفكر والحضارة العالمية، وبحكم الموقع الجغرافي للجزائر وبعده الاستراتيجي فقد ظلت عبر التاريخ نقطة تلاقح للعديد من الثقافات والحضارات، كما اشتهرت بعلماء كان لهم تأثير عالمي، وحواضر علمية كانت منابع للفكر داخل الجزائر وخارجها، ومنذ دخول الاسلام إلى الجزائر أصبح تاريخها الثقافي مرتبطا بالتاريخ الثقافي الإسلامي، فقد كانت مركز عبور للعلماء والأفكار من المشرق إلى الأندلس، ومن الأندلس نحو المشرق، كما موّلت منطقة السودان الغربي ثقافيا عبر الحواضر التواتية، واستفاد الأوروبيون أيضا من حاضرة بجاية التي كان لها تأثير في النهضة الأوروبية.

يجسد التاريخ الثقافي للجزائر اليوم ذلك الموروث الفكري المتمثل في المخطوطات المتوزعة عبر مراكز عديدة داخل وخارج الوطن، وأولئك العلماء الذين دونت سيرتهم في كتب التراجم، ومختلف المصادر التي تحدثنا عن المسجد والمدرسة والتعليم والتأليف وأعلامه، كما يمثل تلك القيم والمبادئ والعادات التي تكونت عبر مراحل تاريخية بفعل انصهار العديد من المجتمعات داخل الرقعة الجغرافية للجزائر، ورغم تعدد مصادر البحث من أجل كتابة التاريخ الثقافي للجزائر فإن العناية به في الدراسات الأكاديمية ضئيل مقارنة بدراسة التاريخ السياسي، وقد فوجئت في مستهل بحثي عن عبدالرحمن الأخضري بغياب دراسة تاريخية مفصلة (رسالة ماجيستير أو أطروحة دكتوراه) عنه تنسب لقسم التاريخ في الجامعة الجزائرية رغم شهرته وفكره الموسوعي وتنوع مؤلفاته المخطوطة، وزاد من حسرتي حينما تنقلت بين مراكز المخطوطات ولاحظت وضعية المخطوطات.

إن التحول الثقافي الذي مرت به الجزائر نهاية القرن التاسع الهجري وخلال القرن العاشر، أثار فضولي للبحث عن الأسباب والعوامل المؤثرة خاصة وأن التحول أخذ صفة العمومية في العالم الإسلامي، و عن موقف العلماء من ذلك التحوّل و انتشار الفكر الإصلاحي، وهو ما شجعني لاختيار موضوع في فترة التحول الثقافي يكون ترجمة لعالم أبيّن فيها أفكاره التجديدية والإصلاحية، ولهذا اخترت موضوع عبدالرحمن الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح خلال القرن العاشر هجري السادس عشر الميلادي (920هـ/1516م-953هـ/1548م) .

أسباب اختيار الموضوع:

هناك أسباب ذاتية وأخرى موضوعية دفعتني لاختيار هذا الموضوع؛ فالأسباب الذاتية تتمثل في:

*إعجابي بالعلامة عبدالرحمن الأخضري، حين إنجازي لبحث حول حياته –كان ذلك في السنة الأولى ماستر مقياس الحياة الثقافية في الجزائر العثمانية– فأعجبت بشخصيته وأفكاره ونبوغه في العلم ومؤلفاته العديدة والمتنوعة.

*ميلي إلى الدراسات التي تعالج الإنتاج الفكري والأدبي وأعلامه في تاريخ الجزائر العام بصفة عامة، وفي الفترة الحديثة والمعاصرة بشكل خاص.

*المساهمة في كتابة التاريخ الثقافي للجزائر سيما في الفترة الحديثة .

أما الأسباب الموضوعية فتتجلى في:

*تعدد مؤلفات الأخضري والتي لا يزال معظمها مخطوطا وموزعا على خزائن المخطوطات.

*قلة الدراسات الأكاديمية المتخصصة في دراسة الإنتاج الفكري والأدبي للأخضري، وعدم عثوري على أي دراسة تاريخية أكاديمية حول حياة وآثار الأخضري إلا ما وجدته في ثنايا بعض المقالات.

أهداف البحث:

هناك عدة أهداف سأحاول الوصول إليها من خلال هذه الدراسة والإجابة عن إشكاليته، وتتمثل في:

*تسليط الضوء على شخصية العلامة عبدالرحمن الأخضري كعالم موسوعي نبغ في مختلف العلوم في زمن ضعف فيه المنتوج الفكري والأدبي.

*الكشف عن المناهج المستعملة في التعليم خلال القرن السادس عشر الميلادي من خلال دراسة المنهج الذي اعتمده عبد الرحمن الأخضري.

*إبراز دور المتون والمختصرات العلمية من خلال مؤلفات الأخضري.

*إبراز دور البيئة الجغرافية والاجتماعية والثقافية في نشأة وتكوين شخصية عبد الرحمن الأخضري.

*إبراز موقف وطريقة تعامل العلماء والفقهاء مع القضايا الاجتماعية والثقافية في الجزائر من خلال موقف الأخضري ومقاربته مع مواقف الثعالبي والمغيلي وعبدالكريم الفكون.

*الوقوف على منهج التجديد لدى الأخضري ومظاهره وبعض أفكاره التجديدية.

*تسليط الضوء على الفكر الإصلاحي عند الأخضري خصوصا في المجالين الاجتماعي والثقافي من خلال عرض القضايا وطريقة تعامل الأخضري معها.

*الوقوف عند إشكالية قديمة جديدة متجددة في كل عصر من التاريخ الإسلامي، تمثلت في صراع بين اتجاهين: أحدهما صوفي يحاول الدفاع عن مبادئه وقيمه بتأصيلها وفقا للشريعة الإسلامية، واتجاه آخر منكر لتلك القيم (أنها بدعة في الإسلام)، وظهر علماء آخرون يحاولون التوفيق بين الاتجاهين، وبالتالي فموضوع الدراسة يهدف إلى إبراز موقف الأخضري من تلك الإشكالية ونظرته إلى التصوف من الناحيتين النظرية والعملية.

*تسليط الضوء على مرحلة حساسة كانت منعرجا في تاريخ الثقافة والفكر في الجزائر، والعالم الإسلامي عامة، بدايتها مع نهاية القرن التاسع الهجري ونهايتها مع بداية القرن الحادي عشر الميلادي، ولهذا اخترت عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن عبدالكريم المغيلي وعبدالكريم الفكون كنماذج لعلماء التجديد والإصلاح ومقارنة أفكارهم بأفكار الأخضري من أجل إبراز مكانته ودوره في حركة التجديد والإصلاح.

إشكالية البحث:

تتمحور إشكالية البحث حول حياة عبدالرحمن الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح؟ وتتفرع عنها مجموعة من الأسئلة:

ما هي الظروف العامة للجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي؟ وما مدى تأثيرها على الحياة الثقافية؟ ما هي العوامل المؤثرة في نشأة وتعلم عبد الرحمن الأخضري؟ هل الأخضري نسبة إلى الأخضر أحد بطون الدواودة من أولاد رياح أم أن نسبه يرجع إلى العباس بن مرداس؟ من هم شيوخ الأخضري؟ وما مدى تأثيرهم على فكره؟ ما المنهج الذي اتبعه في التعليم؟ كيف تميز الإنتاج الفكري والأدبي للعلامة الأخضري؟ ما دوره في حركة التجديد والإصلاح؟ وما موقفه من القضايا السياسية المعاصرة له؟ كيف تميزت مواقفه من قضايا الثقافة والمجتمع؟ ما هي صورة الواقع التعليمي في فكر الأخضري؟ ما موقفه من التصوف والمتصوفة المعاصرة له؟ كيف تميز الفكر الإصلاحي للعلامة الأخضري مقارنة بعلماء التجديد والإصلاح؟ ما مدى تعامل هؤلاء العلماء مع قضايا الجهاد، نظام الحكم، والتواجد العثماني؟ وما موقفهم من الفساد الأخلاقي، ظاهرة التدخين، والنفوذ اليهودي في المجتمع الجزائري؟ وما مدى تعاملهم مع الاشكاليات الثقافية؟.

خطة البحث

حاولنا الإجابة عن هذه الأسئلة وأخرى والإلمام بالإشكالية من خلال خطة مكونة من ستة فصول؛ حيث عالجنا في **الأول** الأوضاع العامة للجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي؛ أي عصر الأخضري، بداية من التطورات السياسية منذ سقوط الدولة الموحدية وظهور الدولة الزيانية بالمغرب الأوسط وصراعها مع الدولتين الحفصية والمرينية، وكيف ساهم في ضعفها وظهور الإمارات المستقلة مما زاد في

تعفن الوضع السياسي والأمني وسهل من وقوع العديد من المناطق الساحلية في أيدي الإسبان ممهدا الطريق للتواجد العثماني في غرب البحر الأبيض المتوسط، وقد وقفنا عند هذه الأحداث السياسية من أجل إبراز آثارها في الحياة الاجتماعية والثقافية، ليكون العنصر الثاني من الفصل الأول حول التغيرات الاجتماعية خاصة الهجرة وأثرها في تغيير بنية المجتمع سواء الداخلية أو الخارجية، أما العنصر الأخير فخصصته للتحولات الثقافية سيما واقع التعليم وطبيعة الإنتاج الفكري، وقد ركزنا خلال هذا الفصل على منطقة الزاب لأنها البيئة الجغرافية لعبدالرحمن الأخضري.

وبسطنا في **الفصل الثاني** حياة عبدالرحمن الأخضري بداية من نسبه والإشكالية المطروحة حوله، ثم مولده والاختلاف حول سنة ميلاده، ثم تعرضنا بعد ذلك إلى نشأته والعوامل المؤثرة في ذلك من محيطه الأسري أو أفكار شيوخه ورحلاته العلمية لننهي الجزء الأول من هذا الفصل بترجمة شيوخ الأخضري وهم حسب ما أثبتته المصادر أخوه أحمد وأبوه محمد بن عامر الأخضري، وعمر الوزان، ومحمد الخروبي وذلك من أجل معرفة الارتباط الفكري بين الأخضري وشيوخه، أما الجزء الثاني من الفصل الثاني فتناولنا فيه إلى اشتغاله (الأخضري) بالتعليم ومنهجه فيه وتلامذته رغم قلة المصادر التي ترجمت لهم، ومنهم عبدالكريم الفكون الجد وأبو فارس عبدالعزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي، ونساخ تفلفل الذي أشار إليه الأخضري في بعض مؤلفاته، وأنهينا الفصل بالحديث عن وفاة الأخضري والتباين بين من ترجموا للأخضري حول سنة وفاته.

وباشرنا في **الفصل الثالث**-بعد ترجمة لحياة الأخضري في الفصل الثاني- في معالجة آثار الأخضري من خلال التعرض لمؤلفاته في العلوم النقلية والعقلية؛ حيث شملت العلوم النقلية والتي ألف فيها الأخضري: علوم العقيدة والفقه والنحو والبلاغة ومختلف القصائد والمنظومات الشعرية، ففي العقيدة تحدثنا عن مؤلفه شرح صغرى السنوسي ومخطوط " الفريدة الغراء" الذي لم أتمكن من الوصول إليه، وفي الفقه ألف الأخضري مختصره في فقه العبادات خاصة باب السهو الذي لقي إقبالا في التدريس في مدارس ومساجد عديدة، ثم عرجنا للحديث عن مؤلفات الأخضري في النحو والبلاغة وأبرزها منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون وشرحه لها، أما القصائد الشعرية فقد صنفناها حسب مواضيعها من مدح ونصح وإرشاد وفي مقدمتها اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ونصيحة الشباب، وقصيدة في تحريم الخمر والتدخين، وفي الجزء الثاني من الفصل الثالث عالجنا مؤلفاته في العلوم العقلية بداية من علم الفلك ومنظومتيه "السراج في الهيئة" و"أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب"، ثم علم الفرائض والحساب ومنظومته "الدرة البيضاء"، وأخيرا علم المنطق ومنظومة "السلم المرونق" التي اشتهر بها الأخضري، ولم نكتف بوصف هذه المؤلفات بل أضفنا إليها الشروحات والحواشي المتعلقة بها.

ومن أجل توضيح دور الأخضري في حركة التجديد والإصلاح أفردنا **الفصل الرابع** للحديث عن الفكر التجديدي والإصلاحي عند الشيخ عبدالرحمن الأخضري في جزئيين؛ حيث شمل الأول الأفكار التجديدية، فحددنا فيه بداية مفهوم التجديد لغة واصطلاحا، ثم مظاهره من خلال مؤلفاته، لنتعرض بعد ذلك إلى البعد البيداغوجي في منهج التأليف عند الأخضري من خلال ثلاثة نماذج هي: الاعتماد على المنظومات التعليمية، اتّباع منهج الاختصار بشكل مبسّط، التركيز على براعة الاستهلال وحسن الختام، وأتممنا الجزء الأول من الفصل الرابع بالحديث عن موقف الأخضري من تدريس العلوم العقلية خاصة علمي المنطق والفلك، وتأثير منهج المناطقة في دراسة القضايا عند الأخضري، أما الجزء الثاني فقد شمل الإصلاح عند الأخضري بداية من تحديد مفهوم الإصلاح لغة واصطلاحا، والحركة الإصلاحية في الجزائر نهاية القرن التاسع الهجري وبداية القرن العاشر، ثم الإصلاح الاجتماعي عند الأخضري بداية من الانتقادات التي وجهها إلى المظاهر التي تفشيت بمجتمعه، ثم تركيزه على التربية الروحية والنفسية كنقطة ارتكاز في الإصلاح الاجتماعي والشباب كطاقة حيوية داخل المجتمع، وبعد ذلك تحولنا للحديث عن موقف الأخضري من التدخين خاصة وأنها من القضايا الفقهية المستحدثة ضمن عنوان جهود الأخضري في محاربة الآفات الاجتماعية، أما الإصلاح الثقافي عند الأخضري فقصرناه على انتقاد المنتسبين للعلم ومحاربة الفكر البدعي السلبي.

وتناولنا في **الفصل الخامس** مقارنة الأفكار الإصلاحية للأخضري مع الأفكار الإصلاحية لبعض علماء التجديد والإصلاح في قضايا الثقافة وهم: عبدالرحمن الثعالبي ومحمد بن عبدالكريم المغيلي وعبدالكريم الفكون، فخصصنا الجزء الأول من الفصل لترجمة مختصرة لحياة أولئك العلماء النماذج، وذكرنا بعد ذلك موقف أولئك العلماء من القضايا الثقافية التي اخترناها وهي: قضية التصوف، والمنطق، وقضية المنتسبين للعلم، أما **الفصل السادس** فكان موضوعه دراسة مقارنة حول القضايا السياسية المعاصرة لكل عالم ومدى تفاعله معها، وبعد ذلك تعرضنا إلى القضايا الاجتماعية؛ حيث ركزنا على ثلاث نقاط هي: الأخلاق الاجتماعية والتدخين وقضية اليهود ونفودهم داخل المجتمع.

المصادر والمراجع:

رجعت إلى العديد من المصادر والمراجع من أجل الإجابة عن التساؤلات المطروحة وإنجاز خطة البحث، ومن المصادر التي توصلت إليها: مؤلفات الأخضري التي لا يزال معظمها مخطوطا، ومنها مخطوط السلم المرونق وشرحه الذي بيّن فيه الأخضري موقفه من تدريس علم المنطق إلى جانب مبادئ المنطق، ومخطوط القدسية ورغم أنها تصنّف ضمن المؤلفات الصوفية فقد أشار الأخضري فيها إلى العديد من المظاهر الاجتماعية وهو ما يمكن الاستفادة منه في تدوين التاريخ الاجتماعي الثقافي للجزائر خلال القرن السادس

عشر الميلادي من جهة، ومن جهة أخرى التعرف على الأفكار الإصلاحية عند الأخضري في المجالين الثقافي والاجتماعي، وإلى جانب مخطوطي السلم المرونق والقدسية فقد اعتمدت على مخطوط اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ورغم أن عنواها المدح فقد جاءت مواضيعها متعددة، إضافة إلى مخطوطات أخرى للأخضري اعتمدت عليها كنصيحة الشباب والجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون والذرة البيضاء ورسالة في علم الحساب، كما استعنت بالعديد من الشروحات والحواشي والمنظومات التي اهتمت بمؤلفات الأخضري ومنها مخطوط "شرح السلم المرونق" لمحمد بن علي بن عمر الحفناوي، ومخطوط "حاشية على شرح الأخضري للسلم المرونق" لصاحبه سعيد بن إبراهيم قدوره، ومنظومة "الكوكب الزهري في نظم مختصر الشيخ الأخضري" لصاحبها محمد باي بلعالم، ومن الوثائق المنشورة التي عدت إليها واعتمدتها في ترجمة حياة الأخضري "رسالة العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبدالرحمن الشهير بـ الأخضري" لصاحبها أحمد بن داود الأخضري، وتعد هذه الوثيقة أقدم المصادر التي اهتمت بحياة الأخضري، نشرت في مجلة العلوم الإسلامية، ومن المصادر المطبوعة التي أفادتني كتاب "الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية" لمؤلفه الحسين بن محمد السعيد الورتلاني والذي حققه محمد بن عبد الكريم الجزائري، وكتاب "منشور الهداية في كشف حال من أدعى العلم والولاية" لعبدالكريم الفكون، و"مذكرات خير الدين" لخيرالدين بربروس، ومصادر أخرى.

وأثناء إنجاز هذا العمل رجعت إلى العديد من المراجع، ومنها كتاب التاريخ الثقافي لأبي القاسم سعدالله وقد أورد فيه ترجمة مختصرة لحياة الأخضري، كما اعتمدته لتوضيح التحولات الثقافية في الجزائر بداية الفترة العثمانية، وكتاب "العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري" الذي يعتبر دراسة قيمة حول شخصية وآثار الأخضري من تأليف فوزي المصمودي، إضافة إلى مراجع أخرى تتعلق بترجمة حياة العلماء-الذين اخترناهم نماذج- وإبراز أفكارهم ومقارنتها مع أفكار الأخضري ومواقفه ومنها كتاب "شيخ الإسلام عبدالكريم الفكون داعية السلفية" لمؤلفه أبي القاسم سعد الله، وكتاب "عبدالرحمن الثعالبي والتصوف" لـ عبدالرزاق قسوم، وكتاب "محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي" في جزئيين لمؤلفه خيرالدين شترة، وإلى جانب الكتب المطبوعة عدت إلى العديد من المقالات منها مقال المهدي بوعبدلي بعنوان "عبدالرحمن الأخضري وأطوار السلفية في الجزائر"؛ حيث سعى صاحب المقال لربط الفكر الإصلاحي عند الأخضري بالفكر السلفي، ومقال عبدالرحمن تبرمسين بعنوان "آثار عبدالرحمن الأخضري"، ومقال محمد حاج هني "الجهود البلاغية لعبدالرحمن الأخضري" وقد بيّن في هذا المقال التجديد عند الأخضري في مؤلفاته البلاغية، ومن الرسائل والأطروحات الجامعية التي رجعت إليها أذكر دراسة سعيد اعليوان بعنوان "عبدالرحمن

الأخضري وكتابه السلم المرونق في المنطق" وهي رسالة في الدراسات المعمقة من قسم الفلسفة، يضاف إليها أطروحة أرزقي شويتام حول المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني.

ما لمسته أثناء البحث عن مصادر ومراجع البحث هو قلة الدراسات باللغة الأجنبية التي ترجمت للأخضري أو اهتمت بمؤلفاته ومنها كتاب لوسياني في ترجمته لمنظومة السلم المرونق حيث أورد فيه معلومات تتعلق بحياة الأخضري معتمدا على الروايات الشفوية المتداولة، وأشرت إلى مختصر الأخضري في فقه العبادات المترجم إلى اللغة الفرنسية من أجل إبراز قيمة مؤلفات الأخضري التي حظيت باهتمام في الترجمة مثلما حققت رواجا في التدريس والشرح، ومن المصادر باللغة الأجنبية، دراسة هايدو حول تاريخ دايات الجزائر بعنوان " Histoire des Rois D'Alger "، ومن المراجع كتاب "لويس رين" حول المرابطين والإخوان بعنوان " Marabouts et khouans étude sur l' islamen Algérie"، ومن المقالات، مقال المهدي بوعبدلي حول حياة أحد شيوخ الأخضري، والذي نشره في المجلة الإفريقية بعنوان " Le cheikh Mohammed Ibn Ali El kharroubi".

المناهج المستخدمة في البحث:

إن طبيعة الموضوع وإشكاليته تفرض على الباحث المنهج الذي يعتمد عليه في دراسته، وموضوع الدراسة دفعني إلى توظيف أربعة مناهج رئيسية هي:

*المنهج التاريخي؛ أي وضع الموضوع في إطاره التاريخي، فرغم أنها ترجمة لشخصية عبد الرحمن الأخضري فلا يمكن عزلها عن الظروف التاريخية، ولا المنتج الفكري له عن المحصول الثقافي العام للجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي، أي وضع تلك الشخصية وترجمتها في إطار الصيرورة التاريخية والثقافية للجزائر خلال الفترة العثمانية.

*المنهج الوصفي؛ وذلك من خلال وصف مؤلفات الأخضري الأدبية والعقلية من حيث الشكل والمضمون.

*المنهج التحليلي؛ سيما في الفصل الرابع من خلال عرض أفكار التجديد والإصلاح عند الأخضري ومظاهرها.

*منهج المقارنة؛ واستخدمته في الفصل الخامس من خلال المقارنة بين مواقف الأخضري وعلماء التجديد والإصلاح.

الصعوبات:

لاشك أن أي باحث سيواجه صعوبات خلال إنجاز بحثه، تختلف درجتها من باحث لآخر حسب موضوع الدراسة والظروف المحيطة بصاحب البحث، وأهم الصعوبات التي واجهتها أثناء إنجاز موضوع الدراسة هي:

*صعوبة التعامل مع المصادر التاريخية؛ فمؤلفات عبدالرحمن الأخضري أغلبها مخطوط ومعظمها منظومات تعليمية.

*صعوبة قراءة بعض المخطوطات واستغراق وقت طويل في استخراج الكثير من أفكارها.

*صعوبة البحث الميداني والمتعلقة بالتنقل بين مراكز المخطوطات عبر مختلف مناطق الوطن.

*لاقيت صعوبة في الاطلاع على العديد من المخطوطات لدى ملاكها أو امتلاك نسخة منها إلا بعد زيارات متعددة وإلحاح.

*الاختلاف بين المصادر التاريخية في ترجمة عبدالرحمن الأخضري خاصة حول نسبه وتاريخ وفاته.

*زهادة الدراسات التي عالجت حياة وآثار الأخضري، وما وجد منها فهي ترجمة موجزة عن حياته أغلبها في المعاجم والموسوعات.

وقبل أن أنهي المقدمة أشكر الله عز وجل على توفيقه لي في إنجاز هذا العمل، كما أشكر أستاذي المشرف على مساعدته لي في تجاوز تعقيدات البحث بنصائحه وتوجيهاته الدقيقة، ومتابعته وتوجيهي إلى المراكز التي تحوي مصادر ومراجع متعلقة بموضوع الدراسة وتحمله عناء تصحيح العمل، وأشكر أيضا الشيخ سعد ابن شيخ الزاوية العثمانية بطولقة على ترحيبه ومساعدته لي في الاطلاع على العديد من المخطوطات، كما أشكر الأستاذ فوزي مصمودي المدير الجهوي لمتحف المجاهد ببسكرة، وابن الشيخ عبدالمجيد حبّة بالمغيّر، وعمال قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الجزائرية، وكل من ساعدني في إنجاز هذا العمل.

الفصل الأول

عصر المترجَم: الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي

أولا: التطورات السياسية

ثانيا: التغيرات الاجتماعية

ثالثا: التحولات الثقافية

مقدمة الفصل الأول:

إن دراسة أي شخصية علمية أو فكرية أو سياسية تتطلب الإحاطة بظروف عصره من أجل إبراز علاقة التأثير والتأثر من جهة، ومن جهة أخرى وضع تلك الشخصية في إطار السيرورة التاريخية؛ أي لا يجب فصل دراسة شخصية علمية ما عن الدراسة العامة للتاريخ الثقافي في فترة مخصصة، ولهذا فقد جعلت الفصل الأول للحديث عن عصر المترجَم؛ حيث عرف عصر عبدالرحمن الأخضري؛ أي الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي تطورات سياسية وتغيرات اجتماعية ساهمت في رسم ملامح التحول الثقافي، فاشتد الصراع بين قوى سياسية وعسكرية متعددة أبرزها القوتين العثمانية والإسبانية، كما ازدادت نسبة الهجرة الخارجية إلى الجزائر وهو ما كان له أثر في تشكيل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، كما أن الواقع الثقافي اتجه نحو الركود والتقليد في التأليف رغم غزارته، وعدم فاعلية المؤسسات التعليمية رغم الانتشار الواسع، وتراجع الاهتمام بالعلوم العقلية والفكرية، وسأعرض هذا دون التعمّق في التفاصيل من أجل رسم صورة عامة عن عصر المترجَم، حتى يتسنى للقارئ الحكم عليه وعلى آثاره وأفكاره انطلاقا من الظروف العامة التي عاصرها، والتي عرفتها الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي.

أولا: التطورات السياسية

عرفت الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي عدة تطورات سياسية؛ بداية من ضعف الدولتين الزيانية والحفصية وعدم قدرتهما السيطرة على مناطق نفوذهما في المغرب الأوسط(الجزائر)، وهو ما مهد لظهور إمارات مستقلة زادت للوضع السياسي والأمني أكثر تدهورا، مما بسط الأرضية للغزوات الإسبانية للمناطق الساحلية من الجزائر، في هذه الظروف ظهر الأخوين بربروس خير الدين وعروج واشتهر بجهادهما البحري وإنقاذهما لمسلمي الأندلس المضطهدين، ليتحول مشروعهما من مشروع انقاذ إلى مشروع إقامة دولة تابعة للخلافة العثمانية، ونظرا لكون الأخضري عاصر أغلب هذه التطورات السياسية والتي كان لها أثر على الواقع الثقافي ارتأيت أن أعالجها من أجل رسم صورة عامة للجزائر السياسية خلال القرن العاشر الهجري.

1-الدول المتصارعة والإمارات المستقلة:

خلف سقوط الدولة الموحدية ظهور ثلاث دويلات: الدولة المرينية بالمغرب الأقصى، والدولة الزيانية بالمغرب الأوسط(الجزائر)، والدولة الحفصية بالمغرب الأدنى(تونس)، وقد حاولت كل دولة من هذه الدويلات خلافة الدولة الموحدية مما أدى إلى ظهور صراع ونزاع يمكن أن نسميه بـ" صراع الحدود وحرب الوراثة"؛ أي أن كل دولة كانت تسعى إلى توسيع رقعتها الجغرافية من أجل الوصول إلى هدف توحيد المنطقة المغاربية تحت سيطرتها، ونظرا لموقع الدولة الزيانية فقد جعلها تتعرض لخطر التوسع الحفصي من الشرق، والتوسع المريني من الغرب، فضلا عن نزعات الاستقلال الداخلية، ويذكر الحسن الوزان أن المرينيين أحتلوا تلمسان نحو عشر

مرات، وكان مصير ملوك بني زيان حينئذ إما القتل أو الأسر أو الفرار إلى المفازات عند جيرانهم الأعراب، وتعرضوا أحيانا أخرى إلى الطرد من قبل ملوك تونس إلا أنهم كانوا يسترجعون ملكهم كل مرة[1].

أدى ضعف الدولتين الزيانية والحفصية إلى ظهور إمارات مستقلة، وأبرزها إمارة كوكو في القسم الغربي من جبال القبائل الكبرى التي يحكمها ابن القاضي، وإمارة بو عكاز المعتمدة على عصبية العرب الذواودة، وقد نصبت سلطانها على الزاب والحضنة وبعض جهات الصحراء، وحكم الثعالبة متيجة وضواحيها[2]، هذا فضلا عن العديد من القبائل والمجموعات القبلية التي لم يكن لها أي ولاء سياسي، وقد حكم هذه الإمارات شيوخ وأمراء تنازعوا على السلطة فيما بينهم، ومثال ذلك ما حدث في تنس إذ يذكر خيرالدين في مذكراته: «كانت مدينة تنس إحدى مدن الجزائر يرأسها أحد الأمراء العرب، لقد كانت المدينة في وضع لا تحسد عليه من الخلاف والنزاع، فذاق الأهالي من ذلك الأمرّيين، ولأجل ذلك كان من السهل أن يتسلط الإسبان على هذه البلدة»[3].

أما القبائل التي كانت عضدا للدولة الزيانية فقد أصبحت عاملا من عوامل انهيارها بانفصالها وتمردها، وقد أصبحت إمارات في شبه استقلال ومن بين هذه الإمارات نذكر:

أ-إمارة السويد: احتلت هذه الإمارة حوض الشلف وسفوح ونشريس وأراضي مغراوة وقد استمر نفود شيوخ سويد في المنطقة حتى نهاية الدولة الزيانية، «فالوثائق الوطنية والاسبانية تؤكد مشاركة هذه القبيلة في الأحداث التي عرفتها الناحية، وبالخصوص موقفها من محاولات الاسبان المتكررة للسيطرة على مستغانم لأهميتها الاستراتيجية»[4].

ب- إمارة حصين: وتتكون هذه الإمارة من قبائل حصين التي تتمركز في جبال تيطري والنواحي المجاورة لها كجبال متيجة.

جـ-إمارة بني عامر: وتتشكل هذه الإمارة من قبائل بنو عامر واستقروا بالجانب الجنوبي من تلمسان إلى جبل كزول بتهرت حتى عين إفكان قرب معسكر، وتسالة ومنها امتد نفوذهم إلى ضواحي وهران[5].

والجدير بالذكر أن هذه الإمارات كانت لها يد في الصراعات داخل الأسرة الحاكمة للدولة الزيانية؛ حيث استعانت بأطراف خارجية في نصرة حاكم على آخر أو تغيير حاكم، ومن أمثلة ذلك أن قدم وفود من بنو عامر وسويد إلى السلطان الحفصي من أجل تغيير الأمير الزياني وإحلال مكانه أبو جميل زيان بن

---

[1] الحسن بن محمد (الوزان)، وصف إفريقيا، ج02، ط02، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983، ص08.

[2] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، عالم المعرفة، الجزائر، 2010، ص83.

[3] خيرالدين (بربروس)، مذكرات خيرالدين، تر: محمد دراج، ط01، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010، ص80.

[4] مختار (حساني)، تاريخ الدولة الزيانية، ج01، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009، ص46-47.

[5] المرجع نفسه، ص47.

عبدالواحد بن حمو الزياني المتواجد بتونس حينها، فاستجاب السلطان الحفصي لذلك وجهز لهم جيشا بقيادة محمد بن فرح الجبائي[1] الذي تمكن من دخول تلمسان بعد حصارها.

وخلاصة القول، فإن صراع الدولة الزيانية مع الدولتين الحفصية والمرينية من جهة، ومع الإمارات والقبائل ذات النزعة الاستقلالية من جهة أخرى، نتج عنه تعقيدا في الواقع السياسي والأمني، فلم يكن هناك أي طرف استطاع فرض سيطرته بقوة سياسية وعسكرية توحّد المغرب الأوسط وهو ما فتح المجال لتوسيع دائرة النزعات الاستقلالية وزيادة الأطماع الخارجية، كما أن وثيقة عقد البيعة في مدن ومناطق المغرب الأوسط أصبحت تمنح لكل جيش يمر بها خوفا من النهب والسلب.

2-الغزوات الإسبانية والبرتغالية على شمال افريقيا:

لاشك أن أوضاع المغرب السياسية، كانت إحدى الدوافع المشجعة للغزو الإسباني؛ ففي تقارير أحد الجواسيس الذين أرسلهم الملك فرديناند Ferdinand يقول: «إن كامل شمال افريقيا يجتاز فترة انهيار نفسي يظهر معها أن الله أراد أن يجعل هذه البلاد ملكا لصاحب الجلالة المسيحية»[2]، يضاف لها أسباب أخرى دينية وسياسية واقتصادية؛ فالأسباب الدينية تتمثل في التعصب الديني والرغبة الجامحة في محاولة تنصير المسلمين وإبعاد الإسلام عن إسبانيا بمحاربته في شمال افريقيا، وتتجلى الأسباب السياسية في رغبة ملوك إسبانيا في توسيع مملكتهم وتكوين إمبراطورية، أما السبب الاقتصادي فقد تكوّن في ظروف هجرة المسلمين واليهود من الأندلس وانهيار النظام الاقتصادي بها مما دفع بالإسبان إلى الغزو كما يذكر أحمد توفيق المدني: «أمام هذه الحالة لم يبق للإسبان من سبيل لكسب المعيشة إلا ذلك النوع من اللصوصية المسلحة العدوانية التي تدعى الاستعمار، فاندفعوا في غزوات ومغامرات...يستحوذون فيها على كل شيء ظلما وعدوانا»[3].

ويبرر ذي غرامون GRAMMONT الاعتداءات الاسبانية على شمال افريقيا بملاحقة مسلمي الأندلس الذين تحولوا إلى قراصنة تهدد السواحل الاسبانية فيقول: «في سنة908هـ/1505م، نظم القراصنة المور القاطنون بالمرسى الكبير هجوما على شاطئ فالاتاس فخربوا ورجعوا من هذا الهجوم محملين بالأسرى والغنائم، وبعد ذلك بأيام قلائل عندما سمعوا بأن مدينة جيجل هوجمت من طرف بواخر من مالقا، تجرأ القراصنة على الدخول ليلا إلى ميناء مالقا وأضرموا النار في البواخر التجارية، واضطر الملك فرديناند Ferdinand إلى تحطيم هذا الوكر من أوكار القراصنة»[4]، أي ملاحقة مسلمي الأندلس في شمال افريقيا.

---

[1] محمد العروسي (المطوى)، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1986، ص633.

[2] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المرجع السابق، ص62.

[3] المرجع السابق، ص78-79.

[4] GRAMMONT (H.D) , Histoire D'Alger sous la Domination Turque (1515-1830) , Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887, P05.

إذا: السبب المباشر هو ملاحقة مسلمي الأندلس في سواحل شمال افريقيا ومنعهم دون تشكيل قوة عسكرية لاسترجاع مجد الأندلس، وكان من أكبر دعاة مواصلة الحرب كما يذكر مبارك الميلي الكاردينال كسيماناس Le Cardinal Ximenes: «وقد خشي الكاردينال كسيماناس Le Cardinal) (Ximenes –المشهور بتعصبه الديني والذي كان من أبرز الدعاة إلى مواصلة الحرب ضد المسلمين في شمال إفريقيا– خشي أن يكون سقوط غرناطة وفرار فلول العرب والمسلمين من الأندلس، ايذانا بتوقف الهجومات ضد العرب والمسلمين لذلك أثار مخاوف اليزابيت من المسلمين الذين فروا إلى المغرب والجزائر وتونس»[1]، ومن يتابع التطورات السياسية في شرق البحر الأبيض المتوسط وغربه، سيستنتج أن ملاحقة مسلمي الأندلس ما هي إلا ذريعة وأن الأسباب الحقيقية تلك التي ذكرناها والمتمثلة في محاربة الإسلام والمسلمين وتشكيل إمبراطورية إسبانية وتعويض فقدان القسطنطينية وإيجاد منفد للثروة والمال عن طريق النهب بعد انهيار الاقتصاد الأندلسي.

وقد انطلقت الحملات الإسبانية من مالقا بتاريخ 29 أوت 1505م ووصلت إلى المرسى الكبير بتاريخ 11 سبتمبر من نفس السنة وقد تم احتلاله بعد المقاومة، ثم احتلال مدينة وهران912هـ/1509م دون مقاومة تذكر حيث فضل أهلها عقد اتفاقية بدل المواجهة العسكرية فيقول أحمد توفيق المدني: «فقرروا– أي سكان وهران– عقد اتفاقية مع الاسبان تضمن لهم الحياة وحرية الانسحاب من المدينة...وقد أعطى القائد العام الاسباني أجل ثلاث ساعات للمسلمين كي يخلوا المدينة وبقية الحصون وينسحبوا منها....وقد أخلى المسلمون المدينة أول الأمر من النساء، ثم تبعهم الرجال، وعندما تم انسحاب المسلمين دخل الإسبان المدينة، ورفعوا فوقها أعلامهم وأقاموا صلاة الشكر لله»[2]، ويدل احتلال المرسى الكبير ووهران على مدى الضعف الذي وصلت إليه الدولة الزيانية وعدم قدرتها على حماية أبرز مواقعها الاستراتيجية والاقتصادية.

وبعد احتلال المرسى الكبير ووهران فُتح المجال لاحتلال مناطق ساحلية أخرى؛ حيث يتحدث مارمول كربَخال Marmol Carvajal عن احتلال مدينة بجاية :«في عام ألف وخمسمائة وعشرة أبحر الكونت بيذرو نافارو Pedro Navarro في اتجاه بجاية ومعه أربعة عشر سفينة كبيرة محملة بالجنود ولم يشعر به أحد ولا استعد له في مدينة بجاية، لذلك فوجئ أهلها بهجومه ففروا إلى الجبال ولم يثبت سكانها للدفاع عنها وعددهم ثمانية آلاف، وكانوا يتصورون أن بيذرو نافارو Pedro Navarro لن يلبث أن يسحب بعد نهب المدينة، إلا أنه لم يفعل، بل إنه قام ببناء حصن على الشاطئ»[3]، ويدل احتلال وهران وبجاية –إحدى المراكز الحساسة في المغرب الأوسط– بتلك السهولة على ما وصل إليه الوضع السياسي والعسكري وعدم وجود قوة سياسية قادرة –على الأقل– توحيد الجزائر وبناء قوة عسكرية تواجه الأخطار الخارجية.

---

[1] مبارك بن محمد (الميلي)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج03، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت)، ص19.

[2] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المرجع السابق، ص87-88.

[3] مارمول (كربخال)، إفريقيا، ج02، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط-المغرب الأقصى، 1989، ص377.

وأمام وصول أخبار سقوط أبرز الموانئ الجزائرية في يد الإسبان قرر «بقية الموانئ الجزائرية وأهمها دلس وشرشال ومستغانم دفع الجزية والتخلي عن نشاط القرصنة وذلك بتفادي النهاية المماثلة، وفي سنة 916هـ/1510م وقعت مدينة الجزائر اتفاقية الاعتراف بسيادة فرديناند Ferdinand ووافق سكان المدينة دفع الضريبة، كما تخلوا لإسبانيا عن إحدى الجزر الصغيرة التي تحمي الميناء، وقد بنى بيدرو نافارو Pedro Navarroعلى تلك الجزيرة قلعة أطلق عليها اسم البنيون»[1]، وبالتالي فإن المدفع الاسباني كان يتحكم في مدينة الجزائر على بعد ثلاثمائة متر تقريبا.

والملاحظ في الحملات الإسبانية على شمال افريقيا، استغلال الاسبان للوضع السياسي المتعفن والخلافات السياسية بين أفراد الأسرة الحاكمة، فمثلا استعان يحي الثابتي[2] بالإسبان في ثورته على عمه أبو حمو المعروف "بوكلمون" واحتل تنس بتأييد الإسبان المرسى الكبير وتحت حمايتهم[3]، وهكذا دخل الثابتي مع عمه في حروب داخلية في الوقت الذي كان يحتاج فيه سكان السواحل لقوة عسكرية تحميهم من خطر النهب الاسباني، وهو ما جعلهم يستنجدون بقوة عسكرية خارجية تجمعهم بها الروابط الدينية والمسؤولية الجماعية في حماية المسلمين والاسلام في شمال افريقيا من الخطر الاسباني، تمثلت هذه القوة في الخلافة العثمانية. فكيف وصلت إلى غرب حوض البحر المتوسط؟ وكيف أصبحت الجزائر جزءا منه؟

3-التواجد العثماني بالجزائر:

ظهر التواجد العثماني[4] في غرب البحر الأبيض المتوسط في وقت لم يستطع سكان المغرب أو أي قوى سياسية مواجهة الخطر الاسباني، إضافة إلى المجازر التي تعرض لها مسلمي الأندلس من جهة، ومن جهة أخرى تنامي قوة اسبانيا والبرتغال[5] والتي من شأنها أن تهدد الخلافة العثمانية. ويمكن أن نلخص هذا التواجد خلال القرن السادس عشر الميلادي في أربعة نقاط رئيسية:

3-1النشاط البحري للإخوة بربروس في غرب البحر الأبيض المتوسط: بدأ النشاط البحري للأخوين بربروس عروج وخير الدين في غرب البحر الأبيض المتوسط عندما قررا أن يكون مركز انطلاق لجهادهما

[1] وليم (سبنسر)، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبدالقادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006، ص35.

[2] هو شقيق أبو زيان الثالث الملقب بمسعود الذي تولى العرش سنة 1503م، لكن عمه ثار عليه وأخذ منه العرش وسجنه.

[3] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا 1492-1792، المرجع السابق، ص98.

[4] العثمانيون نسبة إلى عثمان الأول مؤسس الدولة العثمانية، تعود أصولهم إلى قبائل من وسط آسيا هاجروا إلى منطقة الأناضول وأسسوا دولتهم في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي بعدما استقلوا عن دولة السلاجقة، وصلت إلى قمة المجد في القرن السادس عشر خاصة بعدما أصبحت تمثل الخلافة الإسلامية منذ سنة 1517.

[5] في عام 1469 توحد مملكتي قشتالة وأراغون بعد زواج الملكة إيزابيلا بالملك فرديناند الثاني، والتي مهدت لظهور إسبانيا الحديثة، حيث كانت لها طموحات توسعية من أجل تكوين إمبراطورية خاصة في المناطق الاستراتيجية في البحر الأبيض المتوسط وهو ما ستواجه قوة الخلافة العثمانية ويكون مسرح الأحداث غرب البحر الأبيض المتوسط.

البحري؛ فيقول خيرالدين في مذكراته: «كنت أنا وأخي ويحي رايس، ركب كل منا سفينة وأتينا تونس فدخلنا على السلطان وقدمنا له الهدايا ثم قلنا له: نريد أن تتفضل علينا بمكان نحمي فيه سفننا بينما نقوم بالجهاد في سبيل الله وسوف نبيع غنائمنا في أسواق تونس فيستفيد المسلمون من ذلك وتنتعش التجارة كما ندفع لخزينة الدولة ثُمن ما نحوزه من الغنائم»[1]، وقد وافق سلطان تونس على طلبهم ومنحهم "جربة"[2]، ومن تم بدأت غزواتهم البحرية واشتهروا في غرب البحر الأبيض المتوسط، وفي إحدى المواجهات من أجل الاستلاء على قلعة بجاية المحتلة من طرف الإسبان فَقَدَ عروج إحدى ذراعيه.

تمكن خيرالدين من فتح قلعة بجاية، واستولى على عشر سفن إسبانية محملة بالمعدات الحربية كانت قادمة لنجدة إسبان بجاية، كما استولى على ثمانمائة برميل من البارود وعدد لا يحصى من الغنائم، ويعبر عن ذلك خيرالدين بقوله: «سررنا بالبارود بصفة خاصة؛ لأن الذي كان لدينا منه قد أوشك على النفاد، ولم يعد سلطان تونس يزودنا به، بل لاحظنا إعراضه عنا يوما بعد يوم، فقررنا أن نحل مشاكلنا بأيدينا»[3]، وقد ازدادت شهرت الأخويين بربروس بعد فتح قلعة بجاية سواء عند ملوك أوروبا أو سكان بلاد المغرب، وحتى سلطان تونس الذي بدأت تتغير نواياه اتجاههما نظرا للاستقبال الذي لقياه من طرف سكان تونس.

3-2استنجاد مدن السواحل الجزائرية بالأخوين عروج وخير الدين:

بعد الانتصارات التي حققها الأخويين بربروس في غرب البحر الأبيض المتوسط، خاصة بعد فتح قلعة بجاية بدأت الوفود تتوافد على مدينة جيجل -مقر الأخويين عروج وخير الدين- من أجل انقاذهما من ظلم الإسبان؛ فيقول خيرالدين: «عندما كنت مع أخي في مدينة جيجل وصلت وفود عديدة من المدن الجزائرية، كان أهمها وفد مدينة الجزائر التي كانت تمثل مركز البلاد، كان أهالي الجزائر يشتكون من ظلم الاسبان ويرجون تدخلنا لإنقاذهم، فخرج أخي عروج في خمسمائة بحارة متجها إلى مدينة الجزائر بعد أن خلفني في جيجل»[4]، ويرجع عمار بوحوش سبب الاستنجاد إلى «الظروف الصعبة التي كانت تمر بها الجزائر بداية القرن السادس عشر وتفاقم الخطر الاسباني والايطالي واحتلالهما لموانئ جزائرية وفرض الجزية على سكان هذه المدن الساحلية هي العوامل الرئيسية التي دفعت بالجزائريين أن يستنجدوا بالأخويين عروج وخير الدين لإنقاذهم»[5].

---

[1] خيرالدين (بربروس)، المصدر السابق، ص46.

[2] جِرْبَة هي جزيرة تونسية تقع في جنوب شرق تونس في خليج قابس، تبلغ مساحتها 514 كم2 (شريطها الساحلي طوله 125 كم). تتواصل بالقارة عبر طريق يمتد على 7 كم الذي شُيّد منذ العهد الروماني والذي يؤدي إلى مدينة جرجيس.

[3] المصدر نفسه ، ص73.

[4] المصدر نفسه ، ص74.

[5] عمار (بوحوش)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997، ص51-52.

استجاب عروج لطلب تلك الوفود « وقد زاد من رغبة الأخوين بربروس في تحرير ميناء الجزائر وسكانها من دفع الضرائب سماع خبر وفاة فرديناند Ferdinand في 22 جانفي 1516»[1]،فاتجه إلى مدينة الجزائر، وقد تم له تحريرها بعد معركة شديدة استغل فيها الظروف الطبيعية، ومنها أرسل أخوه خير الدين إلى تنس فدخلها واستولى على قلعتها دون قتال بعدما فرّ منها الإسبان؛ فيقول خير الدين عن فتح قلعة تنس: «أما أنا فقد نزلت إلى البر في ألف وخمسمائة جندي وعسكرت قبالة القلعة، كنت أتوقع مقاومة شديدة، إلا أنني وجدت أبواب القلعة مفتوحة وقد خرج لاستقبالنا بضع مئات من المسلمين مرحبين بنا»[2]، وهو ما يعني أن الإسبان المتحصنين فروا من القلعة.

3-3ضم الجزائر للدولة العثمانية:

إن تحالف ملوك تلمسان مع الإسبان وتحريض الأهالي ضد العثمانيين، أحد الأسباب الرئيسية التي جعلت عروج يفكر في القضاء على مملكة تلمسان فسلطانها يصفه خيرالدين فيقول: «ملكا بائسا خاضعا لكفار إسبانيا، أما الأهالي فقد كانوا يعانون من ظلم الإسبان ومن ظلم سلطانهم أيضا، ومنذ مدة فقد جاء التلمسانيون إلى الجزائر متوسلين إلى أخي عروج أن يأخذ لهم حقهم من ظلاّمهم»[3]، وهو ما يعني أن من بين الأسباب كذلك استنجاد سكان تلمسان بالأخوين بربروس، كما أن خير الدين كان يرى تلمسان أنداك مصدر القلق والفوضى وعدم الاستقرار في المغرب الأوسط، ولا يتم الاستقرار إلا بعد القضاء على مصدر القلق، فيقول: «لقد كانت تلمسان أكبر بلد في الجزائر وفتحها في غاية الصعوبة، وكان معلوما أنه ما لم تفتح تلمسان، فإن الجزائر لن تعرف الاستقرار»[4]، ولهذه الأسباب توجه عروج إلى تلمسان.

تمكن عروج من دخول تلمسان والاستلاء عليها مع أربعة آلاف من جنوده، وقد ساعده في ذلك مبايعة الأهالي له بعدما ثاروا على سلطان الزيانيين الموالي للإسبان، وأقام عروج بتلمسان مع ألف من جنوده وأرسل ثلاث آلاف لحماية الجزائر، وانتظر نهاية فصل الشتاء لمواجهة الإسبان في وهران، ومع حلول فصل الربيع جمع سلطان تلمسان «عشرين ألف من البربر مقدما لهم مختلف الوعود والاغراءات، ثم التحقت به قوات أخرى من وهران مكونة من عشرة آلاف جندي»[5]، وقد حاصرت هذه القوات قلعة تلمسان إلى أن وقعوا معاهدة بتسليم القلعة مقابل ترك عروج ومن معه للرحيل إلى الجزائر، و في طريق العودة وقعوا في كمين استشهد على إثره عروج وأرسل رأسه إلى إسبانيا.

---

[1]HAEDO(F.D), Histoire des Rois D'Alger, Traduit par : Grammont (H.D), Adolphe Jourdan éditeur, Alger, 1881, P16.

[2]خيرالدين (بربروس)، المصدر السابق، ص81.

[3]المصدر نفسه ، ص86.

[4]المصدر نفسه، ص86.

[5]المصدر نفسه ، ص88.

وصل خبر استشهاد عروج لمدينة الجزائر، مما استشعر خيرالدين بخطورة الموقف، فقد يعزز هذا الانتصار رغبة الإسبان في الاستلاء على الجزائر والقضاء على التواجد العثماني الفتي في غرب البحر الأبيض المتوسط، مما جعله يفكر في وضع استراتيجية ترتكز على التحضير العسكري لأي مواجهة محتملة أولا، وثانيا التمهيد لضم الجزائر للدولة العثمانية لكسب دعم عسكري دولي، وثالثا كسب رضى الأهالي من أجل صناعة قوة داخلية؛ حيث يقول عمار بوحوش: «وبعد استشهاد عروج في معركة بتلمسان ماي 1518، قرر خير الدين أن يسلك سياسة جديدة تتمثل في الحصول على تأييد السكان الجزائريين، وذلك بالتودد إلى علمائهم وكسب ودّهم، وإقناعهم بأهمية انضمام بلدهم إلى السلطة العثمانية التي تزود جيشه بالسلاح والمؤونة والدعم السياسي لمواجهة الهجومات الاسبانية»[1]، وقد تم ذلك؛ حيث أرسل سكان مدينة الجزائر رسالة إلى السلطان العثماني سليم الأول[2] من أجل دخول الجزائر ضمن الخلافة العثمانية، وأصبحت كذلك منذ923هـ/1519.

3-4القضاء على الدولة الزيانية وتوسيع نظام الحكم العثماني في الجزائر

بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية وضرب السكة والخطبة باسم سليم الأول، انتظر خيرالدين الفرصة للانتقام من أخيه، والاستلاء على تلمسان مرة أخرى، فستغل سبب تدمر السكان من السلطان واستنجاد أخيه بخير الدين فيقول في مذكراته: «وفي إحدى الأيام وصل إلى الجزائر أحد أمراء بني زيان طالبا مساندته ضد أخيه الكبير، فأرسلت معه قوة مكونة من ثلاثة آلاف فارس، وألف راجل إلى تلمسان، لقد كان سبب إرسالي هذه القوة هو كون جواسيسي قد أعلموني بأن سلطانها مولاي عبدالله بدأ يثير الناس علينا ويتكلم عنا بسوء...وهكذا فإنه ما إن علم بوصول قواتنا حتى لاذ بالفرار إلى وهران مستغيثا بالإسبان»[3].

في سنتي 1549 و1550م، نظم سلطان الدولة السعدية حملتين على تلمسان واستطاع السيطرة عليها، مما جعل حسن باشا يجهز جيشا متكون من خمسة آلاف جندي يضم عثمانيون وأندلسيون وأهل الجزائر وبعض القبائل الموالية، ويوجهه إلى تلمسان؛ حيث اصطدم بجيش "الحرّان" السعدي الذي انتصر عليه[4] وتكسرت أطماع السعديين في تلمسان ومهدت الطريق لضم تلمسان لحكومة الجزائر سنة960هـ/1555م ونهاية الدولة الزيانية في عهد صالح رايس، ومن تم بسط السيطرة العثمانية على معظم مناطق المغرب الأوسط.

---

[1] عمار (بوحوش)، المرجع السابق، ص54.

[2] وُلد سليم الأول في 10 أكتوبر سنة 1470م، الموافقة سنة 872 هـ، في مدينة أماسيا على ساحل البحر الأسود في الأناضول. وهو أحد الأولاد الذكور الثمانية للسلطان بايزيد، الذين توفي منهم خمسة في صغرهم وبقي اثنان إلى جانب سليم هما "كركود" و"أحمد"، أصبح سلطانا للخلافة العثمانية منذ 1512، عرفت الدولة العثمانية خلال حكمه وحكم ابنه سليمان القانوني أعز قوتها، كما حوّل السياسة العثمانية من التوسع في شرق أوروبا إلى توحيد العالم الإسلامي ضمن نطاق الخلافة العثمانية وحماية مسلمي شمال أفريقيا والأندلس وسواحل اليمن والخليج العربي من التهديدات الاسبانية والبرتغالية.

[3] خيرالدين (بربروس)، المصدر السابق، ص102.

[4] مختار حساني، المرجع السابق، ص220-221.

4-الأوضاع السياسية بإقليم الزاب:

عرف إقليم الزاب على غرار أقاليم المغرب الأوسط تنافس بين دويلات المغرب الثلاث من أجل السيطرة عليه «فتارة يكون تابعا للحفصيين، وتارة أخرى يصير للزيانيين، وتارة أخرى يمسي ضمن نفوذ الدولة المرينية، وأحايين كثيرة يتمتع بالاستقلال»[1]، إلا أن أكثر مناطقه كانت ضمن النطاق الجغرافي للدولة الحفصية التي استولت على مناطق واسعة من الشرق الجزائري بما فيها قسنطينة أيام ضعف الدولة الزيانية، ومناطق أخرى من إقليم الزاب كانت تتمتع بالاستقلال.

ويذكر الحسن الوزان عن الحكم السياسي في إقليم الزاب وتحديدا مدينة بسكرة، فيقول: «وقد تعاقب على حكم هذه المدينة رؤساء كثيرون، فكانت مدة خاضعة لملك تونس حتى وفاة الملك عثمان(توفي سنة894هـ/1488م)، فثارت المدينة حينئذ بإيعاز من إمامها الذي نصب نفسه أميرا عليها ولم يستطع ملك تونس استرجاعها منذ ذلك الحين»[2]، أما "نفطة"[3] –وهي إحدى مناطق إقليم الزاب الكبير– فقد كانت من أكثر المناطق رفضا للحكم الحفصي فيتحدث عنها الوزان: «لكنها دخلت منذ ما يقرب من مائة سنة في ثورة دائمة ضد ملك تونس، فحاربها الملك الحالي، واحتلها ونهبها وقتل الكثير من أهلها»[4]، وهو ما يبين النزعة الاستقلالية لكثير من مناطق الزاب.

وقد ازداد الوضع السياسي والأمني في إقليم الزاب أكثر تدهورا لكثرة الصراعات والنزاعات بين العائلات وشيوخ القبائل الطامحة في المناطق المستقلة، كما انتشر النهب واللصوصية، فنجد كتب العديد من الرحالة يتحدث عن انعدام الأمن في الطرقات، بل أن الأخضري الذي نقوم بدراسته من حيث ترجمته وآثاره وأفكاره قد تعرض لسرقة كتبه ولوازمه، وقد استغل العثمانيون ذلك الوضع ودخلوا بسكرة سنة945هـ/1541م بقيادة حسن آغا.

ثانيا: التغيرات الاجتماعية

أثرت التطورات السياسية التي عرفتها منطقة شمال افريقيا والجزائر خاصة على الجانب الاجتماعي؛ حيث توالت الهجرات الأندلسية للجزائر بعد الاضطهاد والمجازر الاسبانية، كما أن استقرار الحكم العثماني في الجزائر نتج عنه ظهور مدن استقطبت العناصر البشرية من المناطق المجاورة لها، أو ما عرف بالهجرة الداخلية، وهو ما سنعالجه مع توضيح أثر الهجرة في تشكيل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري ومجتمع المدينة بصفة خاصة.

---

[1] فوزي(مصمودي)،الزاب المصطلح والدلالات،ط01،منشورات مديرية الثقافة لولاية بسكرة،بسكرة-الجزائر، 2013،ص52.

[2] الحسن بن محمد (الوزان)، وصف إفريقيا،ج02، المصدر السابق، ص139.

[3] ذكر محمد حاجي في ترجمته لرحلة الحسن الوزان أن نفطة زارها العياشي ويقصد بها حاليا قرية أوماش التي تقع 20 كلم جنوب بسكرة.

[4] المصدر نفسه، ص140.

1- الهجرة وتشكّل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري:

لاشك أن اتساع نطاق الهجرة الداخلية والخارجية قد أثر في تشكيل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري، خاصة مجتمع المدينة؛ فظهرت عناصر وفئات وأجناس بشرية جديدة كان لكل منها أثره في الجوانب الحضارية.

1-1الهجرة الداخلية والخارجية : تمثلت الهجرة الخارجية في هجرة العثمانيون إلى الجزائر؛ خاصة بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية، وكان أغلب المهاجرون جنود ضمن الفرق الانكشارية[1] أو بحارة، وإلى جانبهم ظهرت الهجرات الأندلسية بسبب المحنة التي عرفتها الأندلس؛ فيقول أحمد توفيق المدني: «واستمرت المحنة ما يزيد عن قرن (1493-1610م)، وتوالت هجرات الأندلسيين إلى بلاد المغرب العربي...فكان جملة من خرج من إسبانيا من المسلمين خلال قرن ونيف، يبلغ الثلاثة ملايين من الرجال، ويقدر عدد من تمكن من الخروج الأخير بنحو نصف مليون نسمة»[2]، أما اليهود فقد «هاجر منهم نحو مليون وثمانمائة ألف تفرقوا بين إفريقية الشمالية وبلاد الدولة العثمانية الشرقية وقتل منهم بعد التعذيب والتنكيل زهاء المائتي ألف»[3].

عرفت الجزائر إلى جانب الهجرة الخارجية هجرة داخلية مع بداية استقرار الحكم العثماني في الجزائر، وتمثلت في هجرة سكان الأرياف نحو المدن بحثا عن العمل والارتزاق، وقد أطلق عليهم اسم "البرانية"، ويعود أصول أفراد فئة البرانية «إلى قبائل جرجرة، وجيجل، وبسكرة، وبني مزاب، والأغواط، والذين كانوا يتوافدون على المدن الجزائرية الرئيسة مثل: مدينة الجزائر، وقسنطينة وتلمسان، والمدية قصد الحصول على عمل معين في الورشات، والقطاعات الاقتصادية، أو عند العائلات الحضرية والقنصليات الأجنبية، وانضم بعض أفراد قبائل جرجرة إلى الفرقة الانكشارية، وأصبحوا يشكلون فرقة الزواوة»[4].

وقد كان البسكريون يوظفون كحراس على الممرات لمختلف أحياء مدينة الجزائر، فيغلقونها ويحكمون إقفالها خلال الليل ، كما احتكر الميزابيون أعمال المشرفين على الحمام وشكلوا أغلبية الجزارين والرحوين، والقبائل والشاوية فقد عملوا كخياطين ورعاة وعمال غير ماهرين وخدم للبيوت[5].

---

[1] باللغة التركية العثمانية تعني: "الجنود الجدد" أو "الجيش الجديد"، وهي طائفة عسكرية من المشاة العثمانيين شكلوا تنظيماً خاصاً لهم ثكناتهم العسكرية وشاراتهم ورتبهم وامتيازاتهم، وكانوا أقوى فرق الجيش العثماني وأكثرها نفوذا، أسسها أورخان الأول 1324، كانت الانكشارية سببا في استقرار وقوة الدولة العثمانية بداية عهدها، كما كانت سببا في ضعفها وتوسع نطاق الاغتيالات وهو ما جعل السلطان محمود الثاني يصدر قرار بإلغائها سنة 1826.

[2] أحمد توفيق (المدني)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، المرجع السابق، ص45.

[3] المرجع نفسه، ص46.

[4] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ-كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006، ص56.

[5] وليم (سبنسر)، المرجع السابق، ص100.

1-2 أثر الهجرة في البنية الاجتماعية:

لاشك أن تنوع الهجرة الداخلية والخارجية من شرق وغرب وشمال البحر الأبيض المتوسط قد أثر في بنية المجتمع الجزائري، فظهرت عناصر اجتماعية جديدة منها:

-الأتراك العثمانيون: يختلف أصول العثمانيون الذين قدموا إلى الجزائر، فهم من أجناس متعددة اللسان والعرق والجغرافية، فهناك الأتراك العثمانيون بالمولد؛ أي ذو الأصول التركية القحة، وجاء البعض من الأناضول والبعض الآخر من إقليم الروميلي، أما الذي يجمع بين هذه الأجناس المختلفة فهو الولاء للإسلام والسلطان العثماني؛ أي رابطة الخلافة العثمانية[1]، وقدر هايدو Haedo عدد منازلهم خلال القرن السادس عشر بـ 1600 منزل[2]، وقد تشكلت النواة الأولى لفئة الأتراك العثمانيين في الجزائر من الجند الانكشاري، ومن المتطوعين الذين أرسلهم السلطان العثماني سليم الأول إلى خير الدين بربروس في أعقاب انضواء الجزائر تحت لوائه، ويضاف إليهم الأتراك العثمانيون الذين كانوا يتوافدون من المشرق[3].

ساهم العثمانيون في إثراء الحياة الاجتماعية من خلال نشر بعض عاداتهم، وتقاليدهم لاسيما في مجال المأكولات، والملابس مثل إدخال المعطف المعروف بالقفطان، وفي الفن المعماري، وفي الموسيقى، كما أصبح المذهب الحنفي[4] مذهب السلطة والعثمانيون[5].

-الأعلاج: وهم الأوروبيون الذين يعتنقون الدين الإسلامي، وتعود أصولهم إلى مختلف بلدان أوروبا ولا سيما المطلة على البحر الأبيض المتوسط، وقد اتخذ هؤلاء الأعلاج الجزائر وطنا لهم ليحسنوا أوضاعهم المادية وتحقيق طموحاتهم؛ فقد كانوا يشكلون منذ النصف الأول من القرن 10هـ/16م أغلبية رجال البحرية الجزائرية[6].

---

[1] نادية (مباركي)، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنيين 10هـ/16م-11هـ/17م من خلال مرافقها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005، ص20.

[2] HAEDO (F.D), «Topographie et Histoire générale D'Alger», Traduit par : Monnereau et Berbrugger (A) , Revue Africaine , T 14, Alger, 1870, P496

[3] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، المرجع السابق، ص59-60.

[4] المذهب الحنفي ينسب 'إلى أبي حنيفة النعمان بن ثابت (80هـ-150هـ) من أصل عربي، من عرب العراق الذين استوطنوا قبل الإسلام. الإمام أبو حنيفة من التابعين وهو امام وفقيه من أهل العراق أخذ الفقه عن حماد بن أبي سليمان الذي أخذه عن إبراهيم النخعي عن عبد الله بن مسعود، ومن أشهر تلامذته الإمام أبو يوسف (يعقوب بن إبراهيم)، وقد انتشر المذهب في البلقان والقوقاز ومصر وأفغانستان وباكستان وبنغلاديش وشمال الهند ومعظم العراق وتركيا وسوريا ومعظم المسلمين في الاتحاد الروسي والصين ، و في السعودية يوجد أعضاء يمثلون المذهب الحنفي في هيئة كبار العلماء السعودية، وقد تبنته الدولة العثمانية.

[5] نادية (مباركي)، المرجع السابق، ص21.

[6] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، المرجع السابق، ص60.

-الأندلسيون: وهم المهاجرون الأندلسيّون من المسلمين إلي شمال إفريقيا، وقد حل عدد كبير منهم بالبلاد الجزائرية بسبب الاضطهاد الاسباني عقب سقوط غرناطة آخر معاقل المسلمين بالأندلس سنة895هـ/1492م، واستمرت الهجرة بعد ارتباط الجزائر بالدولة العثمانية وتزايد عددهم بشكل كبير فقدرهم هايدو في الربع الأخير من القرن السادس عشر بـ1000 دار أي حوالي 5000 فرد وقد تضاعف هذا العدد بداية القرن السابع العاشر الميلادي[1].

ويرجع سبب اختيار الأندلسيين الهجرة إلى الجزائر خلال القرن السادس عشر وإثارهم البقاء فيها إلى استقرار الحكم العثماني ودوره في نجدتهم، حيث يقول أحد الباحثين: «وعلى ما يبدو أن اختيار الأندلسيين الهجرة إلى الجزائر وإثارهم البقاء فيها عن الانتقال إلى غيرها من الدول، يعود إلى وجود القوة العثمانية بها، مما جعلها أكثر أمنا واستقرارا، وذكرت المصادر أن خير الدين بايلرباي الجزائر 1519-1535م، جهز ستة وثلاثين مركبا، التي قامت بست رحلات إلى الشواطئ الإسبانية نقلت خلالها سبعين ألف أندلسي، وتكررت بعد ذلك عمليات الانقاذ»[2].

و كان لهؤلاء الأندلسيين إسهاما فعالا في الازدهار الاقتصادي الذي عرفته الجزائر، وذلك عن طريق توظيف رؤوس أموالهم ومؤهلاتهم في مختلف الصنائع والحرف والتجارة، فساهموا بشكل كبير أيضا في تنشيط الجهاد البحري وتطوير الزراعة، كما لا يجب إغفال دورهم الإيجابي في التطور العمراني لمدينة الجزائر؛ حيث أضفوا على الحياة الحضرية «طابعا راقيا متميزا لا يزال حيا إلى يومنا هذا في ما يسمى بالميراث الفني الأندلسي»[3].

-الكراغلة: وتسميهم بعض المصادر بالمولدين وأصولهم من آباء أتراك وأمهات جزائريات، وتعد هذه الفئة من أهم الفئات الاجتماعية في بعض المدن الجزائرية، بعد فئة العثمانيين والأعلاج نظرا لما كانت تتمتع به من امتيازات مادية، مثل تعيين أفرادها في مناصب الدولة، والتمتع ببعض التسهيلات وإعفاءهم من بعض الضرائب، أما عدد أفراد هذه الفئة فكان في تزايد مستمر، وقد حدده مدى ارتباط العثمانيون بالأهالي ومصاهرتهم لهم، وقد ظهر الكراغلة في بداية الأمر في مدينة الجزائر، وأصبحوا في أواخر القرن 10هـ/16م يشكلون قوة متميزة تنافس العثمانيين في الامتيازات[4].

---

[1] أمين (محرز)، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008، ص91.

[2] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، المرجع السابق، ص57.

[3] أمين (محرز)، المرجع السابق، ص92.

[4] شويتام (أرزقي)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، المرجع السابق، ص63.

-اليهود: خلف سقوط الأندلس –إلى جانب هجرة المسلمين- هجرة اليهود إلى شمال إفريقيا؛ حيث تضاعفت خلال القرن السادس عشر الميلادي «فقد وجد في مدينة الجزائر حوالي 2000 يهودي، وتركزت تجارتهم على الغنائم التي كان القراصنة يحضرونها من غزواتهم البحرية، حيث كانوا يتاجرون بها في إيطاليا وإنكلترا والنمسا وغيرها من المدن الأوروبية، وذلك عن طريق عملاء لهم أو بواسطة أبناء جلدتهم من اليهود، وقد حققوا من ذلك أرباحا طائلة كما عمل بعضهم على بيع الذهب وتصنيعه وتصريف العملات، وكان اليهود يقطنون في أحياء خاصة بهم، فقد سمح لهم بفتح بعض الدكاكين إلا أنهم أجبروا على ارتداء لون خاص يختلف تماما عن الألوان التي يرتديها السكان»[1].

2-الأوضاع الاجتماعية بإقليم الزاب:

كان للواقع السياسي في إقليم الزاب أثر على المجتمع؛ فتميز بكثرة الصراعات والنزاعات بين القبائل والعائلات، كما انتشرت اللصوصية وسنتعرض في الفصول القادمة أن الأخضري نفسه تعرض للصوصية فسرقت منه كتبه، وعن الصراعات يعطينا حسن الوزان مثالا عن سكان البرج وما يعانون من قلة مياه السقي مما نتج عنه كثرة الخصومات والصراعات فيقول: «وكثيرا ما تهيج الخصومات بينهم بسبب ذلك-أي توزيع مياه السقي- ويسقط القتلى»[2]، ويتحدث عن سكان طولقة فيقول: «سكانها فقراء ومثقلون بالإتاوات من قبل الأعراب وملك تونس، لكنهم في غاية البخل والكبر، ينظرون للغرباء نظرة السوء »[3]، والحقيقة أن هذه النظرة تعبر عن مدى انتشار الخوف والتخوف وانعدام الأمن والأمان.

وقد انتشر في المجتمع الزابي بعض العادات منها ما ذكره أبو سالم العياشي في حديثه عن عقبة بن نافع فيقول: «وفي مسجده مأذنة كبيرة متقنة البناء، وفي أعلاها عمود، والحجاج يزعمون أن من تمسك بذلك العمود وحركه وقال: أقسمت عليك أيتها المأذنة بحق سيدي عقبة إلا ما تحركت، فتهتز، وقد طلعت إليها ورأيت ذلك وليس كما زعموا، وإنما هو من اتقان البناء وفرط طوله، فإذا صودم بقوة ظهر فيه شبه اهتزاز وذلك يقع في كل بناء، وغالب من دخل المسجد من الحجاج يكتب خطه على أساطين المسجد وحيطانه، ويكتب اسمه واتخذوا ذلك ديدنا وعادة مستمرة»[4]، وكان الهدف معرفة الزائر هل قبلت منه زيارته أو لا، وقد تأثر الأخضري بظروف مجتمعه وحاول اصلاحها.

---

[1] عزيز سامح (البر)، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط01، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1989، ص145-146.

[2] الحسن بن محمد (الوزان)، وصف أفريقيا، ج02، المصدر السابق، ص139.

[3] المصدر نفسه، ص140.

[4] عبدالله بن محمد أبو سالم (العياشي)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج02، ط01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006، ص539.

ثالثا: التحولات الثقافية:

نقصد بالتحولات هو الانتقال من مرحلة ثقافية إلى أخرى لها مميزات وخصائص تميزها عن باقي الفترات، ومن يتتبع الواقع الثقافي في الجزائر نهاية القرن الخامس عشر وخلال القرن السادس عشر الميلاديين سيجد أنها بداية لفترة عرفت فيها الجزائر غياب الفكر التجديدي إلا ما ظهر في كتابات بعض المصلحين، وقد فسّر المؤرخون ذلك بعدة تفسيرات سنحاول عرض بعضها من خلال ذكر ملامح التحول الثقافي.

1-ملامح التحول الثقافي

يرجع "ألفرد بل" سبب التحول الثقافي إلى أن «القرن السادس عشر الذي شهد سقوط الحكومات الثلاث الاسلامية التي توزعت الشمال الإفريقي : بني وطاس سنة954هـ/ 1549م، بني عبد الواد960هـ/1555م، والحفصيين979هـ/ 1574م، قد أحدثت تغيرات عميقة في تاريخ الديانة والحضارة في تلك البلاد، كما شهد تطور الاسلام نحو تصوف شعبي عام اتسم بعدم التسامح، ونحو قدرية قانعة تعترض النشاط والسعي إلى التقدم، وبهذا يبدأ عصر تأخر للحضارة الاسلامية في كل الميادين، وخصوصا في ميدان العلوم الدينية والدنيوية»[1].

عدّد ألفرد بل ملامح التحول الثقافي وتراجع الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا، فيقول: «وابتداء من القرن الخامس عشر وخصوصا في القرون التالية، سينطوي الشمال الافريقي على نفسه في تصلب ضيق، وسيغلق أبوابه دون عسى ما تقدمه أوروبا من فوائد»[2]؛ أي السبب الأول من أسباب التحول هو: انغلاق المغرب على نفسه وعدم التسامح مع كل ما هو أجنبي، والسبب الثاني يرجعه إلى تراجع الدور الثقافي للمدن، وبداية الانتقال من دين ساكني المدن إلى دين ساكني الأرياف فيقول: «والطابع الأبرز للإسلام في العصر الوسيط في المغرب هو أنه كان قبل كل شيء دين ساكني المدن...والمدينة هي مركز علوم الدين تصير بجامعها مركز الدراسات الإسلامية بخلاف الأرياف والبادية»[3] ومنذ القرن الخامس عشر انتقلت الزعامة من الجامع في المدينة إلى الزوايا التي أغلبها في الأرياف والبوادي «فقد استطاعت الزاوية أن تكتسب ثقة الجماهير بفضل التعليم الذي جعلته في متناول الجميع...وصارت بديلا إلى حد كبير عن المدارس والمساجد الجامعية »[4].

وفي الواقع أن ظاهرة التحول الثقافي لم تكن صفة الجزائر فحسب أو الدول المغاربية، بل هي ميزة عرفها العالم الاسلامي ككل رغم خصوصية كل منطقة؛ ويرجع ذلك التحول، إلى الأزمات التي تعرضت لها منابع الثقافة التي كانت تزود المنطقة المغاربية، فسقطت الأندلس كحاضرة ثقافية سنة895هـ/1492م،

---

[1] ألفرد (بل)، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، تر: عبدالرحمن بدوي، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1987، ص401.

[2] المرجع نفسه، ص402.

[3] المرجع نفسه، ص ص(402-404).

[4] المرجع نفسه، ص405.

وخربت القيروان بعد احتلالها من طرف الاسبان، فيقول أحد الباحثين عن واقع القيروان مطلع القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي: «وما كاد يطلع القرن العاشر الهجري حتى أخذت في التراجع-أي القيروان- بمفعول الفتن والاحتلال، ثم انعدم منها العلم تماما عند الاحتلال الاسباني الذي أستباح معاهدها وأحرق كتبها، وقتل علمائها حتى مجيء الحكم العثماني »[1]، كما تراجع الدور الثقافي لبجاية وقسنطينة وتلمسان أواخر حكم الزيانيين بسبب الخلافات والحروب الداخلية.

يضاف إلى تخريب منابع الثقافة، هجرة العلماء الجزائريين إلى الدول العربية والاسلامية، فقد كان «معظم علماء تلمسان انتقلوا إلى المغرب الأقصى في عهد السلطان عبدالله الغالب (1557-1574م)، بعد الحروب التي اندلعت بين العثمانيين والزيانيين المتحالفين مع الإسبان، وكان من بين العلماء المهاجرين أحمد بن أحمد العبادي التلمساني، الذي استقر بفاس عام966هـ/1561م، وكان علماء تلمسان من الأوائل الذين كانت تربطهم صلات وطيدة بالمغرب الأقصى»[2]، وإلى جانب العبادي فقد هاجر من الجزائر بداية العهد العثماني أبو الحسن المطغري، وعلي بن هارون الذي كان من كبار فقهاء المالكية، وأحمد الوهراني محمد بن عبدالرحمن بن جلال التلمساني (1502-1573م) الذي قربه السلطان إليه وأصبح مفتي فاس بعدما كان مفتي تلمسان، كما هاجر العديد من علماء الجزائر نحو تونس ومنهم قاسم بن يحي الفكون، وبهجرة هؤلاء العلماء[3] فقد فقدت الجزائر طاقة فكرية كانت تزود مجالات التربية والتعليم والتأليف.

2-التعليم ومؤسساته: تميز التعليم في الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي وطيلة العهد العثماني بعدم تدخل الدولة في شؤونه إلا في بعض الحالات، وترك كقطاع خاص يتولاه الجزائريون بأنفسهم؛ فيقول أبو القاسم سعد الله: «ورث بنو عثمان هذا النظام-التعليم-، كما ورثه حكام الدويلات الإسلامية الأخرى فعاملوه على أنه قطاع خاص لا دخل للدولة فيه، ولم ينشئوا له وزارة ولا إدارة ولم يتدخلوا في شأنه إلا للوجاهة أو لدافع ديني أو خيري، فعلوا ذلك تقليدا لما سبقهم من الحكام المسلمين، فأوقفوا الأوقاف على المؤسسات التعليمية كما فعل المواطنون، وتقربوا إلى الله ببناء المساجد والزوايا وإعفاء المرابطين والصالحين من دفع الضرائب، وشيدوا دور العبادة وبيوت العلماء وحبسوا الكتب وكافأوا بعض مؤلفيها»[4].

أما العلماء الذين يشتغلون بالتعليم فقد اعتبروا «كمرشدين دنيين واجتماعيين يرتبطون بالمجتمع عن طريق التوعية الفكرية والدينية، وأحيانا يكونوا في وجه الانحراف السياسي والتقاعس عن الجهاد والتعسف الضريبي

---

[1] أرزقي (شويتام)، «العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية»، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، قسم التاريخ- كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، الجزائر، 2011، ص95.

[2] أرزقي (شويتام)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، المرجع السابق، ص325.

[3] المرجع نفسه، ص ص(325-327).

[4] أبو القاسم (سعدالله)، «لوحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، وزارة المجاهدين، عنابة-الجزائر، 14-15 جوان 2009، ص18.

وهذا ما زاد من قوتهم ومكانتهم»[1]، وبالتالي فقد احتلوا مكانة اجتماعية سعى كل طالب علم للوصول إليها نظرا لما تجني عليه من الثروة والحظوة السياسية، وهو ما عجل بظهور فئة سماها البعض بـ "أدعياء العلم".

وعلى العموم فقد انتشر التعليم في المدن والأرياف والقرى، إلا أنه اتخذ صفة البساطة والتقليد وعدم التعمق؛ حيث يعلق سعد الله على ذلك فيقول: «وإذا نظرنا إلى التعليم من حيث الكم فإنه كان شائعا عند أغلب المواطنين، فانتشار القراءة والكتابة هو الذي أبهر الفرنسيون حين درسوا ولاحظوا أن التعليم في الجزائر كان أكثر رواجا فيها منهم في بلادهم، ولكن يجب الاعتراف بأن نوع التعليم عندنا وعندهم كان مختلفا، فبينما كانت كثرة المتعلمين عندنا لا يستعملون علمهم إلا في مجالات محدودة أغلبها دينية وأدبية، كان الأوروبيون يستعملون علمهم في الحياة العملية»[2]، ويصل أبو القاسم سعدالله إلى خلاصة حول التعليم في الجزائر العثمانية والقرن السادس عشر الميلادي جزء لا يتجزأ منه فيقول: «والخلاصة التي نخرج بها هي أن التعليم كان منتشرا ومجانا وخاصا ولكنه ليس تعليما وظيفيا، فهو تعليم أقرب إلى التعبد والتبرك منه إلى سلاح للحياة وخدمة الدين والعلم بمفهومه الواسع المستنير»[3].

تمثلت مؤسسات التعليم في الكتاتيب والمدارس والمساجد والزوايا؛ فالكتاتيب هي المؤسسة الأولى التي يمر بها التلميذ، وهي مختصة في تحفيظ القرآن ومبادئ القراءة والكتابة، أما الذين يرغبون في مواصلة الدراسة يحفظون القرآن عن ظهر قلب ثم يلتحقون بإحدى المدارس لكي يتلقون دروس في الفقه والتوحيد والنحو على يد العلماء من الأئمة ومفتين وقضاة، هذا في الحواضر أما الريف فيلتحقون غالبا بالزوايا لإكمال دراستهم[4]، وقد انتشرت الكتاتيب في الجزائر خلال القرن السادس عشر انتشارا واسعا، وهو ما يعبر عن تراجع دور المدارس والمساجد في التعليم، فاختزل التعليم في تحفيظ القرآن وبعض أمور الفقه والدين المتعلق بالعبادات في الكتاتيب، وهو ما أعطى طابع البساطة للتعليم.

أما المساجد؛ فهي المهد الأول للتعليم، فقد كان المسجد مكان لحلقات العلم والمناظرة ونقطة التقاء فكري يقصده العلماء والرحالة، إلا أن ظهور المدارس والانتشار الواسع للكتاتيب قد قلص من النفوذ التعليمي للمسجد، فأصبحت أغلبها في القرى والأرياف مخصصة للصلاة والعبادة وإلقاء بعض الدروس على العامة، وفي بعض المدن الكبرى حافظة المساجد على مكانتها، بل أصبح لكل مدينة جامعها الأعظم، كالجامع الأعظم بقسنطينة وجامع بجاية وجامع تلمسان والجامع الكبير بالجزائر [5].

---

[1] رشيدة (شدري معمر)، العلماء والسلطة العثمانية بالجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، لإشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002-2003، ص49.

[2] أبو القاسم (سعدالله)، «لوحة عن نظام التعليم في الجزائر في العهد العثماني»، المرجع السابق، ص21.

[3] المرجع نفسه، ص24.

[4] رشيدة (شدري معمر)، المرجع السابق، ص51.

[5] المرجع نفسه، ص52.

احتلت الزوايا الصدارة بين مراكز الثقافة والتعليم خاصة بين الأرياف، ويعود هذا الأمر إلى غياب المؤسسات الثقافية الأخرى وهو ما يسمح لها بالقيام بوظيفة تعليمية إضافة إلى وظيفتها الدينية[1] والاجتماعية، بل أن هناك زوايا كانت مخصصة للتعليم وأخرى للإطعام وإواء الغرباء...، وقد عرفت الزوايا نهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر تطورا ملحوظا كرد فعل على ضياع الأندلس؛ حيث عمل شيوخها على إحياء الرباط والجمع بين العبادة والتعليم والجهاد، كما أنها كسبت ثقة الناس بسبب تيسيرها التعليم للجميع إضافة إلى دورها في حل الخصومات والنزاعات داخل المجتمع، ومن بين الزوايا التي عرفتها الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي: زاوية أولاد الفكون وزاوية ابن نعمون وزاوية أولاد جلال بقسنطينة، وزاوية أولاد راشد بالغرب الجزائري، وزاوية سيدي عبدالرحمن الثعالبي بالجزائر العاصمة[2].

أصبحت الزوايا أبرز مؤسسات التعليم؛ فقد عرفت توسعا وتطورا في الجزائر خلال القرن السادس عشر، لما عرفته من اهتمام كبير من طرف أهالي المدن والقرى من جهة، كما أنها لاقت قبول واستحسان من طرف الحكام الأتراك لأن شيوخها وقفوا إلى جانبهم أثناء الحملات الأولى لصد العدوان الإسباني، وقد كان الكثير من الزوايا في السواحل الجزائرية عبارة عن رباطات يقيم فيها الجند، وبعد القضاء على الخطر الخارجي تحولت هذه الزوايا إلى مؤسسات لنشر العلم فضلا عن الدور الاقتصادي والاجتماعي لها[3].

تعد المدارس إحدى مؤسسات التعليم؛ حيث يدرس فيها مختلف علوم الدين واللغة والأدب والعلوم العقلية، ومن بين المدارس التي عرفتها الجزائر خلال القرن السادس عشر مدرسة مازونة ذات الشهرة المغاربية التي شيدت في نهاية القرن من طرف الشيخ محمد بن الشريف الأندلسي؛ حيث كانت ملتقى العلماء ومقر للمبادرات الفكرية، وقد درس بها عدة علماء بارزون أمثال أبو راس الناصري[4]، وقد اشتهرت بوجه خاص بعلم الفقه والحديث وعلم الكلام[5]، وإن كثرت المدارس إلا أنها لم ترتق إلى مؤسسات التعليم العالي؛ حيث اتصفت بطابع التقليد في التربية والتعليم والتكوين.

---

[1] المرجع نفسه، ص54.

[2] المرجع نفسه، ص56-57.

[3] عبدالقادر (قرمان)، «زوايا الجزائر في العهد العثماني دورها الإصلاح والتعليم وكيفية المحافظة عليها»، يوم دراسي حول تأمين التراث، مديرية الثقافة، ولاية بوعريريج-الجزائر، 28 أفريل، 2009، ص04.

[4] هو محمد أبو راس بن أحمد بن ناصر الراشدي، وُلِد بنواحي مدينة معسكر بالجزائر سنة 1165هـ/ 1751م، وتوفي سنة 1238هـ/ 1823م، له إسهامات كثيرة في مختلف العلوم ومما ألفه في التاريخ نذكر: "زهرة الشّماريخ في علم التاريخ"، و "درّ الشّقاوة في حروب درقاوة"، و "الحلل السّندسية فيما جرى بالعدوة الأندلسية"، و "عجائب الأسفار، ولطائف الأخبار".

[5] رشيدة (شدري معمر)، المرجع السابق، ص59.

3-الإنتاج الفكري

يصعب حصر الإنتاج الفكري لعلماء الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي في مبحث أو مبحثين، ولهذا سأذكر باختصار ما تميزت به حركة التأليف في العلوم النقلية والعقلية؛ حيث أن اتجاه التأليف في الفترة المدروسة قد اقتصر على بعض العلوم الشرعية وعلم الباطن (التصوف) نظرا لمكانته الفكرية والاجتماعية فقد احتل مكانة الفلسفة عند العباسيين والفقه عند المرابطين، ويتحدث "ألفرد بل" عن مكانة التصوف فيقول: «ومن المؤكد على الأقل أنه حين عاد للتصوف-الذي نما في الأوساط الجاهلة أو القليلة الثقافة، في الزوايا والجماعات الدينية- إلى الازدهار في منتصف القرن الخامس عشر بين الأوساط الجامعية والفقهاء والمتكلمين في المدن، فإن انتصاره صار مؤكد من الآن فصاعدا وسيعطي للإسلام في الشمال الافريقي شكلا جديدا مختلفا بعض الاختلاف عن شكله الذي كان له خلال العصر الوسيط»[1].

انعكس انتشار التصوف ورغبة كل عالم في الجمع بين الشريعة والحقيقة على الانتاج الفكري؛ فدونت العديد من الكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات المتعلقة بالتصوف؛ فيقول سعد الله: «بقدر ما سيطر روح التصوف على الحياة العلمية والاجتماعية في الجزائر خلال العهد العثماني، بقدر ما كثر إنتاج العلماء في هذا الميدان، فنحن نجد الكثير من الكتب والرسائل والتقاييد والمنظومات التي تتناول التصوف من قريب أو بعيد كالأذكار والأوراد، والردود، والمناقب، والمواعظ، والحكم، والشروح الخاصة بقصائد الصوفية، والمدائح النبوية التي تنظر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم نظرة صوفية روحانية»[2]، ويرى ألفرد بل أن انتشار الدراسات الصوفية قد أثر على حركة التأليف في العلوم الأخرى، خاصة مع وجود النزعة القدرية فيقول: «ومثل هذه النزعة في التصوف-أي التوكل- بتصوراتها القدرية كان حتما أن تؤدي إلى احطاط الدراسة والعلوم والفنون، وبالجملة إلى انحطاط الحضارة الاسلامية»[3]، والحقيقة أن التصوف لم يكن وراء انحطاط الحضارة الإسلامية، بل أن الانحطاط هو الذي أعطى للتصوف مفاهيم وتصورات جديدة كغيره من العلوم الأخرى.

يضاف إلى الدراسات الصوفية -كإحدى خصائص التأليف في الفترة المدروسة- انتشار ظاهرة التقليد، والتي جعلها أبو القاسم سعد الله السبب وراء ندرة الانتاج في العلوم الشرعية فيقول: «وظاهرة التقليد، بالإضافة إلى تخلف الثقافة عموما، كانت مسؤولية على ندرة الانتاج في العلوم الشرعية التي تحتاج إلى ثقافة واسعة وعميقة كالتفسير؛ ذلك أن مفسر القرآن الكريم يحتاج إلى ثقافة دينية وتاريخية ولغوية قوية لكي يقدم على عمله، بالإضافة إلى استقلال عقلي كبير وهذا ما لم يتوفر للجزائريين خلال العهد العثماني»[4].

---

[1] ألفرد (بل)، المرجع السابق، ص408.

[2] أبو القاسم (سعدالله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص111-112.

[3] ألفرد (بل)، المرجع السابق، ص409.

[4] أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، المرجع السابق، ص11.

ولم يكن التقليد ميزة التأليف فحسب، بل حتى في الفتاوى والدراسات الفقهية، فالتجديد والمجددون لم تكن لهم مكانة في الأوساط الفكرية والاجتماعية «وأهم ما تميزت به العلوم الشرعية في هذا العهد التقليد والتكرار والحفظ، فالفقهاء قلما اجتهدوا أو استقلوا بآرائهم، بل كانوا يقلدون سابقيهم تقليدا يكاد يكون أعمى، فإذا ما حاول أحدهم أن يشذ عن هذا التيار أقاموا عليه الدنيا وأقعدوها، واجتمع عليه المجلس الشرعي الذي كانت تتدخل فيه الدولة، وفي أحسن الأحوال كان يحكم على المستقل برأيه بعزله من وظيفته، أما في أسوأ الأحوال فالحكم عليه بالتكفير والزندقة، ومع ذلك حاول بعض الفقهاء تحطيم هذا الجدار ومنهم عبدالكريم الفكون»[1].

تميزت حركة التأليف في العلوم الشرعية بقلتها في علم التفسير والقراءات فخلال القرن السادس عشر لم يسجل عمل في التفسير كعمل عبدالرحمن الثعالبي «أما التفسير تأليفا فالخوض فيه قليل، ورغم شهرة مدرسة تلمسان العلمية فإنها لم تنتج مفسرين للقرآن الكريم جديرين بالإشارة... ونفس الشيء يقال عن مدرسة بجاية وقسنطينة؛ فرغم شهرة عمر الوزان وعبدالكريم الفكون الجد خلال القرن العاشر (الهجري)، فإننا لم نعثر على تأليف في التفسير...وهكذا ينتهي القرن العاشر الهجري (16م) دون أن نسجل تأليفا واحدا في تفسير القرآن الكريم»[2]، كما أن الاهتمام بالتأليف في علم القراءات قلّ «فقد اشتهر الجزائريون بتدريس القراءات أكثر مما اشتهروا بالتأليف فيها»[3].

تراجعت حركة التأليف في العلوم العقلية نظرا للتصورات العامة لها فقد نُظر إلى علم الكلام بأنه يؤدي للزندقة والكفر وهو ما انعكس على قلة الاهتمام بتدريسه والتأليف فيه «ولعل بعض العلماء كان يهرب من التعمق في علم الكلام لأن ذلك يؤدي في نظرهم إلى الكفر أو الخروج عن الدين، وليست الخلافات المذهبية والفلسفية إلا نتيجة لمدارسة علم الكلام والتعمق فيه والتمادي في الاستنباط والبحث عن الأدلة»[4]، وقد كانت مؤلفات محمد بن يوسف السنوسي في العقائد هي المصدر المحلي لدراسة علم الكلام، «ورغم أن السنوسي كان يجمع بين علمي الظاهر والباطن فإن شارحيه ودارسي مؤلفاته قد مالوا، تبعا لروح العصر إلى علوم الباطن، وقد أصبح كل من خالف هذا التيار يتهم بالتجسيم والاعتزال والايمان بظواهر النصوص، ومن تم يحكم عليه بالكفر والزندقة»[5].

يتحدث أبو القاسم سعد الله عن التأليف في المنطق خلال العهد العثماني بصفة عامة وفي القرن السادس عشر بصفة خاصة فيقول: «إذا حكمنا على انتاج الجزائريين في علم المنطق مما وجدنا لهم منه فإنه

---

[1] المرجع نفسه، ص09.
[2] المرجع نفسه، ص16.
[3] المرجع نفسه،20.
[4] المرجع نفسه، ص92.
[5] المرجع نفسه، ص92.

إنتاج قليل بل نادر، فباستثناء عمل علماء العهد العثماني يكاد يعد على يد أصابع اليد الواحدة، وفي نظرنا أن هذا النقص في علم هام كعلم المنطق يعود إلى سببين رئيسيين الأول صعوبة هذا العلم، لأنه يتطلب الاطلاع الواسع على كتابات الأولين والأجانب والاضافة إليها ونقدها...(والسبب الثاني اعتباره)من علوم الظاهر التي قد تؤدي إلى الكفر والالحاد والزندقة»[1].

وخلاصة القول حول حركة التأليف في الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي، فقد كانت انعكاسا للواقع الثقافي ومظهرا من مظاهره؛ حيث تميزت بالتقليد وكثُرت الشروحات والحواشي، وقل الاهتمام بالتأليف في العلوم العقلية وحتى علمي التفسير والقراءات من العلوم الشرعية، في المقابل ظهرت العديد من الدراسات الصوفية التي تعالج سير وتراجم أعلام الصوفية ومناقبهم والأذكار والأوراد.

4-الأوضاع الثقافية بالزاب:

تميزت الأوضاع الثقافية في إقليم الزاب في الفترة المدروسة بما تميز به الواقع الثقافي في الجزائر بصفة عامة من قلة التحصيل وتراجع دور المساجد؛ فيتحدث أبو سالم العياشي عن أهل الخنقة[2] «وهم أهل خير وبركة لهم رغبة في العلم وتعلمه، إلا أنهم في بلاد قل فيها أهل التحصيل»[3]، وفي موضع آخر يتحدث عن أحد مساجد بسكرة: «والمسجد في غاية السعة وإتقان البناء، إلا أنه قل عامروه وضعف ساكنوه، فلا ترى به مدرسا ولا قارئا مع أن هذه المدينة من أعظم المدن وأجملها لمنافع كثيرة»[4]، فهذا الحكم ليس عام بل يوجد بعض النماذج من العلماء العاملون الذين صادفهم العياشي فيقول عنهم: «وقد لقيت بها-أي في بسكرة- في سنة تسع وخمسون رجلا من الصالحين ممن جمع بين العلم والعمل والزهد والورع والصدق التوجه إلى الله، واسمه سيدي بوطيب نصير، لم ترا عيني قبله ولا بعده أمثل منه في هديه وسمته، تخشع القلوب لوعظه وتلين لكلامه»[5].

إن الواقع الثقافي في الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي قد تأثر بالتطورات السياسية؛ حيث يقول بوزيان الدراجي: «في القرن العاشر؛ الذي عاش فيه عبدالرحمن الأخضري. ففي هذا العصر توقف تدفق روافد المعرفة، وانطفأت أنوار الاجتهاد والابتكار، وجفت منابع العلوم والفنون إذ ابتليت موارد المعرفة بالغور والانحسار، فنكبت البلدان المغاربية-عموما- بالغزو الصليبي، الوافد من إسبانيا ومالطا وصقلية، وكانت

---

[1] المرجع نفسه، ص149.

[2] تقع خنقة سيدي ناجي في أقصى شرق ولاية بسكرة عدد سكانها حاليا حوالي 4000 نسمة. تنتمي بلدية خنقة سيدي ناجي إلى دائرة زريبة الوادي ولاية بسكرة، وتقع على بعد 100 كم شرق عاصمة الولاية بمحاذاة حدود ولاية خنشلة على سفح جبال الأوراس وعلى ضفاف واد العرب الكبير

[3] عبدالله بن محمد أبو سالم (العياشي)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج02، المصدر السابق، ص538.

[4] المصدر نفسه، ص540.

[5] المصدر نفسه، ص540.

المماليك المغربية في أسوء حالها من الضعف والتفكك، ووصل التعفن والفساد بدولتي: بني زيان بتلمسان والحفصيين ببجاية وقسنطينة إلى حد سعى فيه أهل الغيرة من الجزائريين إلى الاستنجاد بالعثمانيين، قصد وقف جيوش الإسبان وصدهم عن أسوار المدن الساحلية»[1] .

خاتمة الفصل الأول:

تميزت الأوضاع السياسية في الجزائر بداية القرن السادس عشر الميلادي بضعف الدولتين الزيانية والحفصية وتقلص نفوذهما، فضلا عن صراعهما المستمر من أجل كسب مناطق للنفوذ ، كما ظهرت العديد من الإمارات المستقلة، وقد ساعدت هذه الظروف الإسبان على احتلال معظم المناطق الساحلية، مما مهد الطريق لظهور قوة عسكرية أخرى منافسة في غرب البحر الأبيض المتوسط تمثلت في التواجد العثماني، و كان لهذه التطورات السياسية انعكاسات اجتماعية وثقافية؛ حيث سببت الكثير من الحروب في تجفيف العديد من منابع الثقافة وهجرة العلماء وإحراق العديد من الكتب والمكتبات، كما اتسع نطاق الهجرة الخارجية والداخلية وهو ما سبب في تغيرات اجتماعية.

عرفت الجزائر خلال القرن العاشر الهجري هجرة خارجية خاصة بعد انضمام الجزائر للدولة العثمانية، فاستقطبت الجزائر مسلمي ويهود الأندلس المضطهدين، والمجندون من الأتراك والأعلاج وأجناس أخرى، كما ارتفعت الهجرة الداخلية نحو المدن، وقد كان للهجرتين الداخلية والخارجية أثر في تشكيل بنية المجتمع الجزائري فبرزت عناصر وفئات اجتماعية عديدة منها: الأتراك، المسلمين الأندلسيين، اليهود، الأعلاج، الكراغلة، البرانية...، وكان لها أثر في الحياة العامة، كما أن الظروف العامة للجزائر خلال الفترة المدروسة ساهم في ظهور آفات اجتماعية تمس بالأخلاق والدين وهو ما جعلها محل انتقاد بعض العلماء منهم الأخضري الذي سنتعرض لرأيه في الفصلين الرابع والخامس.

تمثل التحول الثقافي في الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي في الأزمات التي تعرضت لها منابع الثقافة؛ حيث تعرضت بجاية للنهب الاسباني، وتأثرت قسنطينة بحروب النزعة الاستقلالية والرغبة الحفصية في استمرار السيطرة، كما تأثرت تلمسان بالحروب الداخلية والخارجية للدولة الزيانية، وهو ما سبب في هجرة بعض العلماء من الجزائر، مما انعكس ذلك على تراجع المستوى الثقافي والفكري، فقل الاهتمام بالعلوم العقلية، واعتمد نهج التقليد في التأليف والاعتماد على المختصرات والشروح والحواشي، كما ظهرت في هذه المرحلة الحساسة الزوايا كمؤسسة تعليمية تقوم بالأدوار الثقافية إلى جانب الدور الاجتماعي والجهادي وتراجع دور المسجد.

[1] بوزياني (الدراجي)، عبدالرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط02، دار بلاد، الجزائر، 2009، ص20.

في هذه الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية عاش عبدالرحمن الأخضري، وبرز كعالم موسوعي نبغ في مختلف العلوم النقلية والعقلية، وله أفكار إصلاحية خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي. فمن هو عبدالرحمن الأخضري؟ وما مؤلفاته الشرعية، الأدبية والفكرية؟.

الفصل الثاني

ترجمة عبدالرحمن الأخضري

أولا: عبدالرحمن الأخضري المولد والنشأة

1-نسبه.

2-مولده ونشأته.

3-شيوخه

3-1 والد الأخضري محمد الصغير

3-2 عمر الوزان

3-3 محمد بن علي الخروبي

3-4 عبدالرحمن بن القرون

ثانيا: عبدالرحمن الأخضري المعلم والعالم

1-اشتغاله بالتعليم

2-تلاميذته

3-وفاته.

مقدمة الفصل الثاني:

إن دراسة فكر عالم من الأعلام وآثاره تتطلب معرفة بظروف نشأته وجوانب أخري من حياته فهي جزء من تكوينه الفكري، فمحيطه العائلي والاجتماعي وظروف عصره تُأثر بشكل أو آخر في توجهه الفكري حتى وإن كان هذا الفكر يسري عكس التيار الفكري لمجتمعه وعصره، كما أن التعريف بالكاتب يسهل في بعض الأحيان التعرّف عن الكتاب والهدف من وراء تأليفه، ومن هذا المنطلق فقبل التطرق إلى آثار عبدالرحمن الأخضري ودوره في حركة التجديد والإصلاح من خلال التعرض لأفكاره التجديدية والاصلاحية ومقارنتها بأفكار بعض المصلحين لابد الحديث عن حياته بداية من نسبه ثم مولده ونشأته، شيوخه، تلامذته وأخيرا وفاته.

أولا: عبد الرحمن الأخضري المولد والنشأة

1- نسبه:

اختلف المترجمون لسيرة "عبد الرحمن الأخضري" حول نسبه؛ فمنهم من يرجعه إلى "العباس بن مرداس" كما ذكر الورتلاني[1]؛ حيث يقول: «السيد الصغير منسوب لأخضر على ما اشتهر في ألسنة الناس، ونسبه في نفس الأمر ليس كذلك، بل المتواتر على أعالي أسلافه وأسلاف أسلافه أن نسبته إلى العباس بن مرداس »[2]، ولعل الورتلاني أكد ما ذكره الأخضري نفسه في شرحه للسلم المرونق الذي يقول فيه: «والأخضري نعت لعبد، وهو تعريف لنسبنا على ما اشتهر في ألسنة الناس، وليس كذلك بل المتواتر على أعالي أسلافنا أن نسبنا للعباس بن مرداس السلمي الذي يقول منشدا[3]:

---

[1] الحسين بن محمد السعيد بن الحسين الورتلاني، ولد سنة 1125هـ/1713م، عرف برحلاته المتعددة لطلب العلم والحج، كما عرف بالتأليف والشرح والتعليق في الفقه والتصوف والبلاغة والنحو، من بين مؤلفاته: الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية، ورحلته التي سماها "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار"، وله شروحات وحواشي عديدة على صغرى السنوسي. ينظر:
يحي (بوعزيز)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ص(44-47).

[2] الحسين بن محمد السعيد (الورتلاني)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2012، ص412.

[3] هذه الأبيات رواها مسلم في صحيحه في معرض حديثه عن غزوة حنين: قال: "أعطى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أبا سفيان بن حرب، وصفوان بن أمية، وعيينة بن حصن، والأقرع بن حابس كل إنسان منهم مئة من الإبل، وأعطى عباس بن مرادس دون ذلك، فقال عباس بن مرداس الأبيات المذكورة في المتن، قال: فأتم له رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مئة. ينظر: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري (النيسابوري)، صحيح مسلم،ج4، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان، ص1402-1403.

أتجعل نهبي ونهب العبيـــد ما بين عينيـــه والأقـــرع
فما كان قيس ولا جَسْـــرَةُ يفوت ابن مرداس في مجمـــع
وما كنت دون امرئ منهـما ومن يخفض اليوم لا يرفـــع
لقد كنت في الحرب ذا نظـر فلم أعطِ شيئا ولم أمنـــــع»[1]

إذن نسب الأخضري يعود إلى العباس بن مرداس حسب ما ذكره الأخضري نفسه وأكد عليه الورتلاني، من قبائل بني سليم؛ القبيلة العربية التي وفدت مع الهلاليين إلى بلاد المغرب الإسلامي بإيعاز من الفاطميين، واستقر معظم بطونها بتونس وليبيا وقليل منهم بالجزائر، بينما الهلاليون استوطنوا بالجزائر، ويعد «أسلاف الأخضري من القلة القليلة السليمة التي استقرت بالجزائر، وقد نزحوا إلى بلدة بنطيوس واستقروا بها في مرحلة تاريخية غير معلومة، ويعتقد أن جده "محمد بن عامر" هو الذي ترك البادية وسكن بنطيوس وكانت لهم ملاذا ولأبنائهم إلى يوم الناس هذا»[2] .

وبالتالي فإن المصمودي يؤكد ما قاله الأخضري نفسه أن نسبه للعباس بن مرداس السليمي، إلا أن "عبد الرحمن الجيلالي" نفى ذلك وأرجع نسبه إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح؛ حيث ورد في كتابه "تاريخ الجزائر العام" ما نصه: «هو العلامة الإمام والمصلح الديني المقداد المحقق الشيخ عبد الرحمن بن سيدي الصغير- بالتصغير- بن محمد بن عامر الأخضري، نسبة إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد رياح المنتمين إلى الأخضر بن عامر بن رياح، ولا تزال هناك ناحية بالقرب من بسكرة تعرف بنسبتها إلى الأخضر هذا، ونرى المترجم نفسه يزيف هذه النسبة للأخضرية ويثبت لنفسه المرادسية»[3]، فعبد الرحمن الجيلالي يستدل على نسب الأخضري باستمرار نسل الأخضر بن عامر بن رياح بالقرب من بسكرة، لكن هذا الدليل لا يثبت نسب الأخضري لانعدام وثيقة تاريخية اعتمد عليها الجيلالي تثبت ما قاله أو كتب عن من عاصر الأخضري أو أجداده، ورغم ذلك فإن "يحي بوعزيز" يرجح نفس الرأي فيقول: «تنتمي عائلته إلى قبيلة الذواودة من عرش أولاد رياح»[4]، لكن لماذا يزيف الأخضري هذه الحقيقة؟.

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، مخطوط رقم 24، مكتبة جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر، ص 15.

[2] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري (1514- 1575) شخصيته وآثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008، ص18.

[3] عبد الرحمن (الجيلالي)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص79.

[4] يحي (بوعزيز)، «الشيخ عبد الرحمن الأخضري العالم والباحث»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة –الجزائر، ديسمبر 2008، ص35.

إن الإجابة عن هذا السؤال جعل العديد من الباحثين يشككون في نسب الأخضري إلى الأخضر بن عامر بن رياح، بل بعضهم رفض ذلك «ولقب الأخضري هذا اشتهر به، ولكن ليس من بطن رياح الذي يلقب بهذا اللقب؛ حيث ذكر ابن خلدون وقال " نزل هذا الفرع ببسكرة والزاب[1] الشرقي أولاد فاري وأولاد بوغافة..، والأخضر الحلفاوية توجد بين باتنة والقنطرة، ويقال أن أسرته أقامت بهذه المنطقة في عهد الحماديين[2] وحين نشبت الحرب بين سلطان بجاية وسلطان مسيلة هاجرت أسرته إلى البلاد المصرية، وما لبثت أن عادت إلى البلاد التونسية برفقة أبي الحسن الشاذلي الصوفي المشهور، وأخيرا استقر بهم المقام في نواحي بسكرة وبنوا زاوية هناك»[3].

إن هذا الاختلاف حول تحديد نسب الأخضري، يبين لنا مدى التحول الاجتماعي في المغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى القرن العاشر الهجريين، واختلاط الأنساب، مما استعصى على مترجمي السير تحديد نسب العديد من العلماء[4]، وأمام استعراض هذه الآراء، فإن الرأي الذي نأخذ به هو نفسه ما ذهب إليه الأخضري في شرحه للسلم المرونق لسببين هما:

1- أن الأخضري عند ذكر نسبه إلى العباس بن مرداس قد تحقق في الأمر ورفض ما هو شائع لدى الناس، كما أن مخطوط السلم المرونق يعتبر وثيقة تاريخية نعتمد عليها ما لم توجد وثيقة تاريخية أخرى تثبتها أو تنفيها.

2- أن اجتهاد عبد الرحمن الجيلالي ومن أخذ برأيه؛ اجتهاد لغوي لا تحقيق تاريخي عندما يقول:

---

[1] أحد الأقاليم في الشرق الجزائري والذي له تاريخ عريق، وحدوده الجغرافية تمددت وتقلصت عبر الفترات التاريخية من الاحتلال الروماني إلى سقوط دولة الموحدين وتنقلت عاصمته بين قسنطينة وباتنة والمسيلة وأخيرا بسكرة والذي يكاد الزاب اليوم كمصطلح جغرافي يقتصر على ولاية بسكرة، ويقسم الزاب إلى زابين: الزاب الغربي ويشمل بلدات برج بن عزوز وطولقة وفوغالة وليشانة وبوشقرون وأورلال وليوة ومخادمة...، والزاب الشرقي يشمل سيدي عقبة وعين الناقة وشتمة والفيض وخنقة سيدي ناجي... حول اقليم الزاب من حيث المصطلح والدلالة والتطور التاريخي ينظر دراسة:
فوزي (مصمودي)، الزاب المصطلح والدلالة، ط01، منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين فرع ولاية بسكرة، الجزائر، 2013، ص ص(62-65).

[2] نسبة إلى الدولة الحمادية (398هـ-547هـ)/(1007م-1152م)، حكم الدولة على امتداد هذه الفترة تسعة أمراء، بداية بمؤسسها حماد بن بلكين وانتهاء بـ يحي بن عبدالعزيز الذي اسقط ملكه وملوك قلعة بني حماد على يد الموحدين، وعرفت الجزائر(المغرب الأوسط) ازدهار ثقافي في عهد الدولة الحمادية واشتهرت بجاية بذلك وأصبحت حاضرة علمية تضاهي الحواضر العلمية بالمغربيين الأقصى والأدنى. ينظر:
عبدالحليم (عويس)، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط02، دار الصحوة، القاهرة-مصر،1991.

[3] عمار (طالبي)، «عبد الرحمن الأخضري، حياته وأعماله»، مجلة العلوم الإسلامية، ع2، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر، ماي 1987، ص123.

[4] على ذكر اختلاط النسب فإن العلماء الأنثربولوجيين استثنوا مسألة الدم في تحديد مفهوم القبيلة المغربية نظرا للتحولات الاجتماعية، وأخذوا بعناصر أخرى مثل: الأرض، العادات والتقاليد...، ومن بين أولئك العلماء جاك بيرك.

" والأخضري نسبة إلى الأخضر بن عامر بن رياح"، ولما لا يكون الأخضري نسبه إلى جبل الأخضر[1] كما تذكر بعض الروايات أو إلى بطن خضيرة حسب رواية[2] "لوسياني" في القرن ال19 الميلادي نقلا عن شيخ كان موظفا في الأوراس.

2- مولده ونشأته:

هو العلامة أبو زيد عبد الرحمن الصغير بن محمد بن عامر الشهير بالأخضري مالكي المذهب أشعري العقيدة، يعد من علماء الجزائر البارزين خلال القرن العاشر الهجري (16م)[3]، ولد سنة 920هـ/1516م حسب ما ذكره صاحب مخطوط "العقد الجوهري"؛ فيقول: «وولد رحمه الله سنة عشرين وتسعمائة عربية الموافقة لسنة اثنين وخمسمائة وألف مسيحية، ويدل على تحقيق هذا قوله رضي الله عنه في أرجوزته المنطقية؛ حيث قال:

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين.

وكان عمره إذ ذاك إحدى وعشرون سنة حسبما أخبر ذلك قبل البيت المذكور بقوله:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة»[4]

ويمكن أن نثبت ذلك- أي ولد سنة 920هـ/1516م- بما ذكره في منظومته الدرة البيضاء؛ فيقول في آخرها:

وقد فرغت من جمع النظم بأفضل الشهور شهر الصوم

من سنة أربعين مكملة من بعد تسعمائة محصلة

وإن عنى به عذول منتبه فلبني العشرين عذر متجه[5]

---

[1] يذكر مخلوف المنياوي " الأخضري نسبة إلى جبل الأخضر بالمغرب على ما ذكر بعض الطلبة من المغاربة"، ينظر: مخلوف (المنياوي)، حاشية على شرح الشيخ أحمد الدمنهوري لمتن الإمام الأخضري المسمى بالجوهر المكنون، ط1، المطبعة العلمية، القاهرة-مصر، 1315هـ، ص07.

[2] يذكر لوسياني" أنه –أي الأخضري- من أسرة سيدي عبد المؤمن الذي له زاوية في بلالة في سفح جبل أحمر خدو على بعد 3 أو 4 كلم من تفلفل، حيث تزوج بامرأة من تفلفل من بطن خضيرة ومن هذا الزواج نشأ عبد الرحمن الأخضري، وجاء لقبه الأخضري من اسم هذا البطن أو القبيلة التي كانت تقيم في تفلفل" ينظر:

Dominique Lociani, le sollam, Alger, 1921, P17.

[3] حمدادو (بن عمر)، «تراث الشيخ عبدالرحمن الأخضري من خلال بعض خزائن المخطوطات والمكتبات»، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران-الجزائر، 2004-2005، ص142.

[4] أحمد بن داود (الأخضري)، رسالة العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بـ"الأخضري"، نشر في: مجلة العلوم الإسلامية، ع02، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، ماي 1987، ص 135.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، الدرة البيضاء، مخطوط ضمن مجموع رقم 399، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص67.

وبعملية حسابية نستنتج أن الأخضري ولد سنة 920هـ/1516م، مادام أنه ألف الدرة البيضاء وعمره عشرون سنة في سنة 940هـ/1536م، والسلم المرونق ألفه سنة941هـ/1537م وعمره 21 سنة ورغم ذلك فقد تحدثت بعض المصادر والمراجع أنه ولد سنة 919هـ/1515م[1]، والأغرب ما ذهب إليه صاحب كتاب "أعلام الفكر والتصوف في الجزائر" إلى أن مولد الأخضري سنة 915هـ الموافق لسنة 1512م، وتوفي سنة 949هـ الموافق لـ 1546م[2]، فلماذا اعتمد هذه التواريخ مع العلم أن معظم مؤلفات الأخضري مؤرخة وهو الذي ذكر سنة شرحه للجوهر المكنون عام 953هـ/1548م.

نشأ الشيخ عبد الرحمن الأخضري نشأة علمية تميزت بالعلم والصلاح ساعده في ذلك محيطه العائلي، فقد اكتنفه أبوه ورعاه تربية وتعليما[3]؛ فتربيته بدت معالمها في تأثر الأخضري بوالده في التصوف ونقده متصوفة عصره؛ فيقول في إحدى منظوماته:

قد أحسن الوالد العبـــارة إذ قال قولا صادق الإشـــارة
فقال في أولئك الدجـــاجلة مقـــالة صـــادقة وعـــادلة
وزنتـهم بالشرع فهـــو نائي مثالهم كالأرض والسمـــــاء
وزنتـــهم بمنهج الحقيـــقة[4] فلم أجد لهم منها دقيـــقة[5]

وقد أخذ الأخضري عن والده العديد من العلوم خاصة علم الفرائض والحساب «فقد قرأه على والده فقط حسبما ذكر –رضي الله عنه– في شرح الدرة في باب الوصايا[6]، وقد تمكن من نظم الدرة البيضاء اعتمادا على الدروس الشفهية التي كان يلقيها والده ويلقنها إياه، وفي ذلك قال الأخضري: «إني كنت آخذ في تعليم هذا الفن عن والدي مشافهة، ولم آخذ في قراءة كتب، وكان وضع هذا النظم في أوائل تعليمي، وكان السبب الذي منعني من قراءة نظم أبي إسحاق ما فيه الحشو والتطويل بلا فائدة، من ثقل كثير أبياته فجزاه الله خيرا»[7]

---

[1] منها: خيرالدين (الزركلي)، الأعلام، ج03، ط15، دار العلم للملايين، بيروت–لبنان، 2002، ص331.

[2] عبد القادر بوعرفة (الهلالي)، أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران –الجزائر، 2004، ص 92.

[3] مبروك (مقدم)، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وأثار، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص113.

[4] الحقيقة علم يقوم على ثلاثة أركان وهي: الأول العلم بذات الله عز وجل ووحدانيته، ونفي التشبيه عن ذاته المنزهة جل جلاله، والثاني العلم بصفات الله وأحكامها، والثالث العلم بأفعال الله وأحكامها. ينظر:
رفيق (العجم)، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت–لبنان، 1999، ص670.

[5] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، مخطوط ضمن مجموع رقم 946، المكتبة الوطنية، الجزائر، ص 145.

[6] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص135.

[7] المصدر نفسه، ص136.

مما يستشف أن أغلب العلوم التي استوعبها الأخضري كانت مشافهة من طرف والده وبعض الشيوخ، وأنه تجنب أخذ العلم من الكتب مباشرة إلا بعد ان اشتد عوده وكملت شخصيته ونال من العلم ما اكتملت به ملكته العلمية[1]، وهو المنهج الذي كان معتمدا في تحصيل العلوم آنذاك، وإلى حد الآن تنتهجه بعض المدارس القرآنية والزوايا؛ فالبداية العلمية للطالب يأخذ عن الشيخ، وعند وصوله مرتبة التمييز بين الآراء والمذاهب يمكن للطالب أن ينتقل إلى مرحلة المطالعة من مختلف الكتب. وقد قرأ الأخضري على شقيقه «الورع الزاهد سيدي أحمد، لأنه أكبر منه سنا كما هو المتواتر جيلا بعد جيل»[2]، فأبوه وأخوه عالمان وجده محمد بن عامر كان من علماء الوقت فقد جمع عملا في الفتاوى الفقهية[3]، فهو إذن نشأ في أسرة علمية[4] توارثت العلم جدا عن جد.

تميز الأخضري بعدة مميزات وصفات منذ صغره منها «ذكاؤه الخارق ونباهته الحادة وقدراته الفائقة، واستعداداته التربوية والعلمية، ونبوغه المبكر، واعتماده على العصامية؛ حيث كان كثير المطالعة شفويا باقتناء كل ما يقع في يديه من كتب، لا سيما التي يأتي بها الحجيج والتجار والرحالة»[5]، ومما يدل على موهبته العلمية أنه اقتحم مجال التأليف قبل اكتمال العقد الثاني من عمره فقد ألف "الدرة البيضاء في الحساب والفرائض" وهو ابن عشرين سنة، وألف "السراج" وهو ابن تسعة عشر سنة، و"أزهار المطالب في علم الاسطرلاب" وهو ابن عشرين سنة، وألف "السلم" وهو ابن إحدى وعشرين سنة، وألف "القدسية في التصوف" وهو ابن أربع وعشرين سنة، وألف " الجوهر المكنون في المعان والبيان" وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، وجعل عليه شرحا وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وغير ذلك من الفنون»[6].

تميز الأخضري بموهبته الشعرية فقد قارع معظم العلوم الفكرية، والأدبية، واستطاع أن يلخص مفاهيمها ويعالج قضاياها في شكل نظم موجز سهل الحفظ رغم حداثة سنه، كما كان من محيي الكتابة والتأليف منذ صغره، فقد ذكر لي الشيخ "عبد القادر عثماني"[7] حسب المتداول أن الشيخ عبد الرحمن الأخضري كان يؤلف يوميا خمسة كراريس.

---

[1] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري...، المرجع السابق، ص24.

[2] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص135.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة –الجزائر، ديسمبر 2008، ص24.

[4] ظهرت في المغرب الأوسط على غرار المغرب الأدنى والاقصى العديد من الأسر العلمية التي تولت مهمة التعليم والتدريس المجاني مثل عائلة الفكون في قسنطينة...

[5] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري ...، المرجع السابق، ص26.

[6] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص145.

[7] شيخ الزاوية العثمانية بطولقة –بسكرة، قمت بزيارته في تاريخ:2014/01/22.

ذكر أحمد بن داود أن الأخضري سافر إلى تونس طلبا للعلم «ولما بلغ من العلم ما بلغ بعثه والده إلى تونس ليزيد من العلم، فمكث في الزيتونة مدة ورجع إلى بلده مشتغلا بعبادة ربه»[1]، إلا أن هذه الرحلة غير موثقة تاريخيا، ولا يعرف عنها شيء سوى هذه العبارات الذي ذكرها أحمد بن داود، وهو ما جعل الباحث "فوزي مصمودي" يؤكد على أن «مسألة ذهابه إلى تونس وتتلمذه على بعض علماء الزيتونة تحتاج إلى تحقيق علمي دقيق، وتمحص حثيث، لاسيما أن جل الذين ترجموا له وتناولوا حياته لم يشروا إليها باستثناء حفيده "أحمد بن داود" في رسالته "العقد الجوهري في تعريف الشيخ الشهير بالأخضري»، ويضيف مجتهدا في أن المترجم لم يشر إلى هذه الرحلة في مؤلفاته إطلاقا مثل ما فعل مع بعض المناطق التي زارها أو تداول على زيارتها فيقول: «لكن من عادة الشيخ الأخضري التطرق إلى أسماء بعض المدن التي زارها أو التي لها علاقة به كواد ريغ[2]، قسنطينة، بلعلى، تيفلفل[3]، قوجيل، وكذلك الأمر مع مشايخه وأساتذته، والاستدلال بأقوالهم في منظومته المختلفة، كما فعل مع والده محمد الصغير، وشيخ والده الشيخ الزروقي الفاسي... ومع ذلك لم نجده يذكر تونس أو الزيتونة أو مشايخها أو علمائها، مما يزيد في ترجيح عدم ذهابه إليها»[4]، وإذا صحت رواية ابن داود فإن المدة التي سافر فيها الأخضري تكون في الفترة الممتدة من 941هـ/1537م إلى سنة 945هـ/1541م؛ أي ما بين تأليفه لمنظومة السلم المرونق ومنظومة القدسية.

إن عبد الرحمن الأخضري نشأ وتربى في محيط علمي وأسرة توارثت العلم أبا عن جد، واحتكت بعلماء الحركة الإصلاحية، خاصة حركة أحمد زروق[5] وتلامذته، وقد تأثر بذلك الأخضري من خلال ما نستنتجه من أفكاره الإصلاحية وجذورها التاريخية في الفصل الرابع.

---

[1] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص135.

[2] واد ريغ بكاملها ، المنطقة التي تقع في منخفض مستطيل الشكل ، يبتدئ من رأس الوادي بأعالي مدينة المغير وبالضبط بقرية عين الصفراء بلدية أم الطيور ولاية الوادي الجزائرية عند شط ملغيغ شمالا ، ويمتد في شكل مستطيل على نحو 160 كلم جنوبا إلى غاية قرية قوق التابعة لبلدية بلدة عمر .

[3] قرية من قرى بلدية غسيرة دائرة تكوت ولاية باتنة، تبعد عن مدينة باتنة حوالي 90 كلم وعن مدينة بسكرة حوالي 50كلم، وعن بنطيوس بلد الأخضري ما يقارب 80 كلم.

[4] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري...، المرجع السابق، ص28.

[5] أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق، ولد846هـ/1442م، له تعليق على حكم أبي عطاء الله السكندري ومجموعة من الأقوال الصوفية عنوانها "تحفة المريد"، وله كذلك تعليق على رسالة أبي زيد القيرواني، و"مناقب الحضرمي" وهو ترجمة لشيخه، وله في التصوف عدة كتب منها: قواعد التصوف، عدة المريد الصادق، النصيحة الكافية، إعانة المتوجه المسكين، وقد تميزت أفكار زروق بالإصلاحية فهو من بين العلماء الذين دعوا إلى الجمع بين الظاهر والباطن وبين الحقيقة والشريعة وأن لا تعارض بين الفقه والتصوف وأن لا هناك علماء فقهاء وآخرون فقراء ولقد لقيت أفكاره معارضة مما اضطره أن يغادر موطنه الأصلي فاس. حول ترجمة مفصلة لحياة أحمد زروق ينظر: علي فهمي (خسيم)، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة،ط03،دار المدار الإسلامي، مصر، 2002، ص ص(26-148).

3-شيوخه:

يتأثر طالب العلم بمعلمه أو أستاذه أو شيخه في بناء شخصيته وسلوكه وأفكاره، وقد يذهب بعض الطلبة إلى أبعد من ذلك فيتأثر بشيخه حتى في الملبس والشكل والحركات ...إلخ، وهذا التأثر طبيعة في الإنسان لا يمكن أن يستثنى منها أي طالب علم، لكن درجات التأثر تتفاوت من طالب لآخر، وحتى نتعرف على أحد مصادر أفكار الأخضري، وكيف ساهم – هذا المصدر- في بناء شخصيته؛ كان لابد من الرجوع إلى ترجمة شيوخه ومنهم:

3-1 والد الأخضري محمد الصغير:

هو محمد الصغير بن محمد بن عامر الأخضري؛ «كان من مشاهير أهل العلم، والفضل والأخلاق في المغرب العربي، فقيه لغوي، حكيم منطقي ، علامة، مشارك في سائر العلوم مثل علم الحساب والدين والمنطق، وله في العقل والمنطق إضافة إلى مقامه الكبير بين القوم من الشيوخ والمريدين»[1].

ألف "محمد الصغير" شرحا على مختصر العلامة خليل في فقه العبادات، كما ألف كتابا في التصوف[2] بيّن فيه موقفه من المنتسبين للتصوف، وقد ذكر ذلك ابنه في منظومته القدسية:

قد أحسن الوالد العبـــــارة إذ قال قولا صادق الإشـــارة

فقال في أولئك الدجـــاجلة مقالة صادقة وعادلـــــــة

وزنتهم بالشرع فهـــو نائي منهم كمثل الأرض والسمـــاء

وزنتهم بمنهج الحقيـــــقة فلم أجد لهم منها دقيـــقة

كما قام الشيخ محمد الصغير بشرح ألفية ابن مالك الأرجوزة النحوية الشهيرة، وقد جاء شرحه في خمس وستين ورقة – توجد نسخة منها في المكتبة الملكية في الرباط- إلا أن شرحه اعتمد على الإطالة، ويمكن اعتباره تعليقا وليس شرحا علميا كما هو معهود عليه لدى الشراح[3].

تأثر الأخضري بفكر والده، ومما يدل على ذلك كثرة الاستشهاد بأقواله وإدراج بعض أبيات والده في منظوماته ومن أمثلة ذلك البيت الأخير في منظومة السلم المرونق:

قد انتهى بحمد رب الفلق ما رمته من فن علم المنطق[4]

---

[1] محمد (شطوطي)، الشيخ عبدالرحمن الأخضري الكاشف والمنطقي، دار الرسالة للكتاب، الجزائر، 2008، ص06.

[2] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص145.

[3] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري...، المرجع السابق، ص21.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، مخطوط ضمن المكتبة الشخصية، استلمته من صديقي الأستاذ ملاي محمد، بتاريخ: 2014/02/19، بقسنطينة، ص10.

وفي شرحه لهذا البيت يقول: «هذا البيت لوالدنا سيدي الصغير بن محمد رضي الله عنه وأرضاه وجعل الجنة مثواه، ومن عذاب النار صانه و وقاه، أخبرني بأنه قاله في منامه بعد أن أخبرته في هذا الموضوع فأمرني بإدخاله رجاء بركته طالبا من الله حصول الملكة متوسلا إليه بخير من على سبيل الهدى سلكه»[1].

3-2 عمر الوزان:

هو عمر بن محمد الكماد الأنصاري القسنطيني المعروف بالوزان والملقب بأبي بكر وأبي حفص[2]، تعلم في قسنطينة وصار من أعلامها وأعيانها، واشتغل بالعلوم العقلية والنقلية كالفقه وعلم الكلام والتصوف[3]، جمع في حياته –على غير عادة العلماء في عصره- بين العلم والتصوف والثروة المادية التي جاءته من زوجته ابنة أحد الأغنياء وهو "ابن آفانوس" الذي كان مقربا من أمراء قسنطينة، وكان له مدرسة خاصة شأن الأسر الكبيرة الميسرة، ولكن الوزان تجنب الأمراء وأصحاب السلطة ورفض الوظيفة الرسمية السلطانية العثمانية واعتذر عن قبول وظيفة القضاء، وكرس حياته للاشتغال بالعلم والتدريس والتأليف[4].

ألف عمر الوزان عدة مؤلفات منها: البضاعة المزجاة، وكتاب "الرد على الشابية" وهو كتاب رد به على ابن عرفة القيرواني الشابي لما ثار على السلطان الحفصي الحسن ، كما ألف في علمي الفقه والكلام وغيرها، وحاشية على شرح العقيدة الصغرى للسنوسي، كما أسهم الوزاني في إخراج العديد من التلاميذ المحلين منهم عبد الكريم الفكون الجد، ويحي بن عمران الزواوي، ويحي بن سليمان الأوراسي الذي اشتهر بثورته على العثمانيين في منطقة الأوراس، وأبو الطيب البسكري، وعبدالرحمن الأخضري، ومحمد الكماد أحد أقربائه[5]، وقد زرع الوزان في تلامذته حب الإصلاح ونبذ التقليد الأعمى، ومن الطلبة الذين تأثروا بفكره الشيخ علي المرواني، الذي كان يفتي بالشاذ في قسنطينة ولا يبالي بقضاة عصره في طرح أحكامهم ونقضها ولو بالشاذ، وكان يقول معتذرا: «إذا لم يعمل بالشاذ الآن فمتى، إذ لا حاجة إليه يوم القيامة»[6].

استمر فكر الوزان إلى ما بعد عصره فلم يتوقف عند طلبته وتلامذته، ويقول عنه عبد الكريم الفكون الحفيد في كتابه منشور الهداية عن الوزان ما نصه: «كان بحرا لا يجارى في العلوم فقها ونحوا وحديثا، وله في طريقة القوم اليد الطولى» توفي سنة خمس وستين وتسعمائة 956هـ/1551م ودفن في مدرسة ابن فانوس[7].

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص15.

[2] الشيخ (أبو عمران) وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر،2007، ص482.

[3] عبد القادر بوعرفة (الهلالي)، المرجع السابق، ص483.

[4] الشيخ (أبو عمران) وآخرون، المرجع السابق، ص483.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998، ص383-384.

[6] المرجع نفسه، ص450.

[7] عبد الكريم (الفكون)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1987، ص ص(35-37).

3-3 محمد بن علي الخروبي:

أحد شيوخ عبد الرحمن الأخضري وممن أخذ عنه الطريقة الزروقية الشاذلية،، تنقل بين المشرق والمغرب طالبا للعلم، وأخذ عن مجموعة من العلماء منهم أحمد زروق، ومحمد بن عبد الله الزيتوني، ومحمد بن مرزوق، وتلاميذه : عبد الرحمن الأخضري ومحمد بن يوسف السنوسي وجميعهم يمثلون أقطاب حركة التصوف في المغرب العربي... وقد كان فصيح اللسان وجريئا، وتولى الخطابة في أحد مساجد الجزائر، كما عرف أنه كان جماعا للكتب[1]، توفي سنة 961هـ/ 1555م[2].

ركز الخروبي في تآليفه على الأوراد والأذكار وعلوم التصوف ونسب إليه بعضهم تفسير للقرآن، وقد ظلت شروح الخروبي على حكم ابن عطاء الله في التصوف وعلى الصلاة المشيشية –نسبة إلى عبد السلام بن مشيش تأثر بالطريقة الشاذلية[3]– وعلى أصول الطريقة لأحمد زروق وعلى كفاية المريد ونحوها موضع دراسة المرابطين والعلماء فترة طويلة[4].

أخذ عبد الرحمن الأخضري الطريقة الشاذلية عن الخروبي عندما مر بـ "الزاب" قاصدا الحج وفي هذا يقول أحمد بن داود: «وشيخه في الطريقة الشاذلية عالم فاس ومدرسها الشيخ الخروبي أحد تلامذة الغوث أبي العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي الشهير بزروق، وذلك عند مرور الخروبي بالزاب قاصدا الحج، فرفع الأخضري الورد عنه، وأما ما توهمه بعض الأجلة من أن زروقا هو شيخ الأخضري مستدلا بقول الأخضري في القدسية:

وفي كتاب شيخنا الزروق عجائب فائقة تروق

وزروق شيخ لشيخه، ولكن يصح إطلاقه عليه من باب الحقيقة العرفية»[5].

---

[1]أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص498.

[2]Mahdi Bouabdelli, «Le cheikh Mohammed Ibn Ali El kharroubi», Revue africaine, volume 96 , 1952 , P338.

[3]نسبة إلى أبي الحسن الشاذلي، وقد انتشرت هذه الطريقة في مصر وانتقلت إلى بلاد المغرب ومن فروعها: الجزولية، الزروقية، اليوسفية، الشيخية، الناصرية، الشابية، الطيبية، الزيانية، الكرزازية، الدرقاوية، المِدَنية. حول الطريقة الشاذلية وفروعها المذكورة ينظر:

Octave Depont et Xavier Coppolani, Les confréries religieuses musulmanes, Alger, 1897, P(443-520).

[4]أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص499.

[5]أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص146.

3-4عبدالرحمن بن القرون الليشاني:

عالم صوفي مدرس من بلدة ليشانة التابعة لدائرة طولقة، تولى التدريس في بلدته، وممن درس عليه من الأعلام العلامة عبدالرحمن الأخضري ولا يعرف عنه أكثر من ذلك، قبته التي تحتوي ضريحه ما تزال موجودة إلى الآن في مقبرة بلده ليشانة[1] .

وإلى جانب هؤلاء الشيوخ يذكر المصمودي أن الأخضري " تتلمذ على يد الشيخ أبي الطيب عبد الهادي والشيخ الفطناسي[2]، وأخوه الأكبر أحمد الأخضري كما ذكر صاحب "العقد الجوهري": « وكانت قراءته على شقيقه الورع الزاهد سيدي أحمد، لأنه أكبر منه سنا كما هو المتواتر لدينا جيلا بعد جيل»[3]، والملاحظ على تكوين الأخضري أنه غلب عليه التكوين المحلي بتعلمه على يد شيوخ عائلته أو شيوخ بلدته وعن عمر الوزان أحد أعلام قسنطينة، أما سفره لطلب العلم فيبقى محل خلاف.

ثانيا: عبد الرحمن الأخضري المعلم والعالم

بعد التعرض لتعلّم الأخضري ونشأته وترجمة موجزة لشيوخه الذين ذكرتهم المصادر التاريخية، ومولده ونسبه والاختلاف حولهما، ننتقل مباشرة للحديث عن دوره في التربية والتعليم واشتغاله بهذه المهنة ثم أبرز تلاميذه، وأخيرا وفاته.

1- اشتغاله للتعليم:

التعليم مهنة نبيلة، ورسالة نورانية يسعى من خلاله العالم إلى تكوين وتربية جيل، وقد تزاحم هذا المهمة الصعبة رغبة التأليف، فيقع طموح العالم في إشكالية بين تأليف كتب لإيصال أفكاره للأجيال التي تليه وبين مهمة ومسؤولية التعليم الجيل الذي يعاصره، وفي التاريخ أمثلة عديدة، هناك من اعتذر عن التأليف لاشتغاله بالتعليم؛ وهناك من اعتزل مجالس التعليم من أجل التفرغ للتأليف، وهناك من استطاع أن يوفق بينهما؛ أي بين التعليم والتأليف ومن بينهم الشيخ عبد الرحمن الأخضري.

بدأ عبد الرحمن الأخضري مهنة التعليم والتدريس بعد أن رجع من رحلته العلمية من تونس حسب ما ذكر أحمد بن داود: «ولما رجع من تونس إلى بلده اشتغل بعبادة ربه متوجها للدار الباقية، مطلقا هذه الدار الفانية، معتكفا على تدريس العلم »[4]، فالاعتكاف على تدريس العلم هو التفرغ له وليس بداية اشتغاله بهذه المهنة، فقد اشتغل الأخضري بالتدريس كمساعد في زاوية أبيه، خاصة إذا علمنا ان النظام المتبع في الزوايا آنذاك هو منح شيخ الزاوية للتلاميذ النجباء وأصحاب المواهب بعض الطلبة لتدريسهم، وهو جزء من التكوين

[1] عبدالحليم صيد، معجم أعلام بسكرة، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص201.

[2] فوزي (المصمودي)، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري..، المرجع السابق، ص25.

[3] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص135.

[4] المصدر نفسه، ص136.

على تقلد المهنة بعد إثبات المستوى والحصول على إجازات، فالمرحلة التي تحدث عنها أحمد بن داود هي التي اشتهر فيه كعالم نبغ في معظم العلوم وأصبح مقصد الزوار والطلبة من كل مكان.

اشتهر الأخضري كعالم فقصده الطلبة من كل نواحي الزاب من أجل التتلمذ على يده، فقصدوه من تفلفال وأريس ومن واد ريغ ومن قسنطينة ونواحيها[1]، ولم تقتصر دروسه على طلبة العلم فقط؛ بل حتى الرجال ممن يحبون أن يستمعوا لدروسه للاستفادة منها، أو الاستفتاء في مسألة معينة «وأتى درسه رجال وأي رجال من كل فج عميق بعضهم من قرى الجبال ... والبعض من واد ريغ، والبعض من قسنطينة ونواحيها والزاب بأكثره»[2].

إن المطلع على مؤلفات الأخضري، سيستنتج أنها موجهة وفقا لمنهج علمي تعليمي، ومن ثم فإن أهم العلوم التي كانت ضمن المقررات التعليمية لطلبته هي علوم الدين خاصة الفقه، ثم المنطق فعلم الفرائض والحساب وعلم الفلك والتصوف، ويرى الأخضري أن هذه العلوم كلها ضرورية بحكم قاعدة «ما لا يتم الواجب به فهو واجب»، فالفقه واجب ديني وشرعي، والمنطق يساعد الطالب والعالم على تحليل وتبسيط المسائل والاجتهاد وعلم الفرائض والحساب مرتبط بالميراث كما يساعد على تسهيل المعاملات التجارية، وعلم الفلك يحدد الوقت، والوقت ضرورة شرعية مرتبط بفريضة الصلاة، والتصوف ضروري لمن تفقه في الدين.

لم يقتصر الأخضري على تعليم العلوم العقلية والنقلية، بل كان يلقي الدروس العامة، عالج فيها مختلف القضايا المتعلقة بالأخلاق، المجتمع، السيرة النبوية..، والبعض منها حولها إلى منظومات شعرية ومؤلفات منها: منظومة القدسية، ومنظومة نصيحة الشباب، وقصيدتين في مدح الرسول –صلى الله عليه وسلم–، كما وجدت قصيدة في تحريم الدخان لعبد الرحمن الأخضري، وقبل أن تتحول هذه القضايا إلى منظومات شعرية عالجها الأخضري في شكل دروس ومواعظ.

تميزت العلاقة بين الأخضري وطلبته بالأخوية؛ وهي إحدى المناهج التي استعملها في ممارسة مهنة التدريس من أجل إيصال أفكاره عن طريق التأثير بأخلاقه وعلمه، فهو لم يصف طلبته بهذه الصفة، أو التلاميذ إنما سماهم "الإخوان" وما يحمله هذا المصطلح من معان نفسية، وكثيرا ما كان يستخدم هذا المصطلح في مؤلفاته، فيذكر في شرحه للدرة البيضاء: «وقد وضعنا قبله شرح جملتي الحساب وبسنين متعددة، فلما أكملناهما ابتلينا في المقران بالطائفة المرتدة عليهم لعنة الله فسلبوها مع شيء من الكتب فصرفتنا صوارف الأقدار بعد ذلك عن الإعادة حتى رده الله تبارك وتعالى بفضله مع شيء من الكتب بسبب مصادفة بعض

[1] علي (مزياني)، «الشيخ عبد الرحمن الأخضري في بلعلة وتفلفل»، مجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة الجزائر، ديسمبر 2008، ص163.

[2] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص136.

الإخوان في أرض ريغ جزاهم الله» ثم يضيف «فدعاني كثير من الإخوان إتمامه بشرح الفقه»[1]، ومما نستنتجه من عبارة الأخضري أنه كان يتنقل بين مناطق الزاب لنشر العلم.

والواضع أن الأخضري قد أثر بعلمه أكثر مما أثر بتصوفه فكتبه في العلوم كانت تدرس في المشرق والمغرب وتوضع عليها الشروح والحواشي، ولم نعرف عنه تآليف في التصوف غير القدسية، وله أيضا أرجوزة في طبيعة النفس، ولكن الأخضري لم يكن كالمياني أو الخروبي يؤلف في الأوراد والأذكار وغيرها رغم أنه كان بارعا كما تدل كتبه، ويبدو أن عقله كان رياضيا أكثر منه عقلا صوفيا يميل إلى الغموض والروحانية[2].

فالأخضري إذا من أبرز علماء التعليم في الجزائر العثمانية، كما كان من أبرز علماء التأليف في مختلف العلوم والفنون، والمتأمل في مؤلفاته يجده قد أبدع في منهج التعليم، فهو لم يتبع الطرق التقليدية القائمة على الحفظ والحشو، بل ارتكز على مبدأ الاختصار في شروحه والجمع بين التفكير والحفظ والإدراك، ويستخدم اللغة والمصطلحات وفقا للمستوى التعليمي خاصة عندما يتعلق الأمر بـ"المبتدئين".

3- تلاميذه:

عثرنا في المصادر التي توفرت لدينا على ترجمة موجزة لبعض تلاميذ الأخضري ومن أشار إليهم صاحب "العقد الجوهري" وقال فيهم: «وتلاميذه مختلفون في درجات السبق حسبما هي عادة الله جارية في عباده ... فمنهم من وصل إلى درجة التدريس، ومنهم من ارتقى إلى معالم صنع الشرح والتقرير كالعالم الكامل الشيخ أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي»[3]، ومن تلاميذ الأخضري:

2-1- نساخ تفلفل:

هو رجل من تفلفل[4] كان يجيد الكتابة والخط، وكان الأخضري يرسل له مصنفاته ومؤلفاته لينسخها ثم يوزعها على تلاميذه، وقد أشار إليه الأخضري في شرح الدرة البيضاء آخر الجزء الثاني ما نصه: «وقد وضعنا قبله شرح جملتي الحساب وبسنين متعددة، فلما أكملناها ابتلينا في المقران بالطائفة المرتدة عليهم لعنة الله فسلبوها مع شيء من الكتب، فصرفتنا صوارف الأقدار بعد ذلك على الإعادة حتى رده الله تبارك وتعالى بفضله مع شيء من الكتب بسبب مصادفة بعض الإخوان في أرض ريغ جزاهم الله خيرا، فدعني كثير من الإخوان إلى تمامه بشرح الفقه، فلم يتيسر لي إلا في بعض زوايا الجبال عمرها الله تعالى وزكاها، والزاوية المذكورة تفلفل بلد الناسخ لا المؤلف والله المستعان.. إلخ كلامه»[5].

---

[1] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص137.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص26.

[3] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص138.

[4] لم نعثر على اسمه ولم يترجم له من المصادر سوى أحمد بن داود الأخضري.

[5] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص137.

يتبين لنا أن هذا التلميذ كان نساخا مما ذكره الأخضري في شرحه للجوهر المكنون عندما أرسل له الشيخ منظومة "الجوهر المكنون" لينسخها على عادته فتوقف التلميذ على استخراج بعض الكلمات منها، فطلب منه بجواب أن يبين له كتابتها حسب ما ذكره الشيخ في شرح المنظومة في فصل الموازنة من الفصل الثالث ما نصه: «وإنما ذكرت فيها هذا مع وضوحها مما تقدم أن بعض خاصة إخواني وأحبتي في الله كتب إلي كتابا من بلده يسألني عن هذا البيت؛ إذ لم يستخرج حروفه ...إلخ كلامه»[1]، فهو إذن من مقربي الشيخ الأخضري.

2-2 أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي:

يعد من أشهر تلاميذ الأخضري لارتباط اسمه بالتأليف والاهتمام بمؤلفات شيخه فقد قام بتخميس قصيدة الأخضري (لامية في مدح خالد بن سينان العبسي) والتي مطلعها:

سر يا خليلي إلى رسم شغفت به طوبى لزائر ذلك الرسم والطلل

ومن أمثلة ذلك تخميس البيت الأول حيث يقول:

سر يا خليلي إلى رسم شغفت بـه طوبى لزائر ذلك الرسم والطلل

قفـــا برسم دارا ومر بـــــــه وابك بكاء شجي في تقلبــه

وحي حيا ثوى في عز منصبـــه

وما يلاحظ على هذا التخميس أنه «أبدع أبو فارس فيه شكلا ومعنى؛ إذ أخرج قصيدة أستاذه بشكل مطرب من خلال التخميسات المتبعة، وهي طريقة في الشعر شاعت كثيرا في فن الموشحات التي تعتمد لإطراب النفس وإمتاع الروح»[2].

وضع أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي شرحا على منظومة شيخه المسماة بـ"السراج" في علم الفلك؛ « وهو شرح عجيب قليل الوجود لعدم طبعه وكان هذا الشرح مما يستعان به في النقل، وقد استعان به العالم الأجل سحنون في شرحه على السراج كما أخبر في ذلك الشرح»[3] فقد كرر اسم الشيخ عبد العزيز عدة مرات ومنها «..وأما ما قرر به الشيخ عبد العزيز ففيه نظر، فأنظره ... وقال الشيخ عبد العزيز في ثلاث أرباعه ثمانية وربع، اه، وجعل سحنون في شرحه في معرفة السنة الكبيسة جدولا ونسبه إلى الشيخ عبد العزيز بن مسلم تلميذ الأخضري»[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص137.

[2] فوزي (المصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري ...، المرجع السابق، ص39.

[3] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص138.

[4] المصدر نفسه، ص138.

2-3 عبد الكريم الفكون الجد:

أحد علماء القرن السادس عشر الميلادي، العاشر الهجري، وهب حياته للقراءة والتدريس والإمامة والخطابة بالجامع الأعظم بقسنطينة، وقد اتصف بحفظ الحديث ويحافظ على الأذكار، ويرجع إليه في النوازل والأحكام، وله دراية بعلم البيان كما أشار إلى ذلك صاحب منشور الهداية، فيقول عنه: «كان مشتغلا بما يعنيه دينا ودنيا معتكفا على الإقراء والتدريس، وكان إماما بالجامع الأعظم وخطيبه، وممن يرجع إلى قوله في النوازل والأحكام» ثم يضيف «كان له دراية بعلم البيان، وكان ممن يقرئ سعد الدين[1] المطول.. وتوفي سنة ثمانية وثمانين وتسعمائة (988هـ/1582م)»[2].

و للأخضري تلاميذ آخرون منهم عبد الكريم الفكون التميمي القسنطيني حسبما أشار بذلك العلامة الحاج مبارك القسنطيني في طالع حاشيته على الجوهر المكنون المسماة "نزهة العيون في بيان الجوهر المكنون"[3]، وقد استبعد أبو القاسم سعد الله أن يكون عبد الكريم الفكون وسعيد قدورة من تلاميذ الأخضري لأن المشهور في اعتقاده أن الأخضري توفي سنة 953هـ/1548م، وأن كلا من سعيد قدورة وعبد الكريم الفكون عاشا في أواخر القرن العاشر، ومن ثم استبعد أن يكونا من تلاميذ الأخضري اعتمادا على الفارق الزمني بينهما[4].

سرى في عرف أهل السير والتراجم أن " التلاميذ" يطلق على كل من تتلمذ على يد الشيخ مباشرة ودون واسطة، لكن يمكن أن نوسع مفهوم "تلاميذ الشيخ" إلى كل من تتلمذ على يديه مباشرة أو تتلمذ على مؤلفاته وبالأخص من تأثر بأفكاره وانطبعت شخصيته بشخصية الشيخ المؤلف دون الأخذ في الاعتبار الفارق الزمني بينهما، وإن صح هذا المفهوم فإن تلاميذ الشيخ عبد الرحمن الأخضري لا يمكن عدهم ولا إحصاؤهم، فمؤلفته لقيت إقبالا في مجال التدريس ووضع عليها الكثير من الشروح والحواشي.

3- وفاته

اتفق من ترجم للأخضري أن وفاته كانت بقرية كجال، واختلفوا في تاريخ وفاته؛ حيث جاء في رسالة العقد الجوهري ما نصه: «توفي الأخضري في قرية كجال من أرض التل، وكانت عادته يسافر هناك لقصد التبرد في فصل الصيف، وقد أوصى تلاميذه قبل مرضه أن حضره الموت يرفعوه إلى بلده بنطيوس، فلما حضره الموت، رفعه تلاميذه حفظا لتلك الوصية مع شيخهم وساروا به مدة من يومهم، حينئذ رجع بعضهم مستعينا بالبعض الآخر، أما الذين ساروا به وصل الزاوية في ذلك اليوم واجتمعت على الشيخ أناس كثيرة من

---

[1] يقصد به سعدالدين التفتازاني المتوفى سنة 791هـ.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص ص48-51.

[3] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص 144.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج2، المرجع السابق، ص252.

كل ناحية وصلوا عليه ودفنوه جوار والده وشقيقه وجده، ورجع القوم إلى منازلهم بكجال في ذلك اليوم الذي قدموا فيه ببركة الشيخ فطويت لهم الأرض»[1].

اختلفت المصادر التاريخية التي ترجمت للأخضري حول سنة وفاته، فرجح بعضها سنة 953هـ/1548م، والبعض الآخر سنة982هـ/1577م، ففي إحدى المصادر وجدت «وكانت وفاة الأخضري رحمه الله في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة كما أخبر بذلك الشيخ عبد الكريم الفكون، لأن شرح الجوهر الذي وضعت عليه مؤرخ في سنة ثلاث وخمسين وتسعمائة»[2]، والملاحظ أن صاحب هذا النص قد اعتمد على تاريخ آخر مؤلف ألفه الأخضري من بين المؤلفات التي وصلتنا، ونعلم أن للأخضري مؤلفات أخرى لم تصل لعوامل متعددة، فالعثور على إحدى هذه المؤلفات مؤرخة بتاريخ ما بعد 953هـ/1548م تجعل تاريخ وفاته في مراجعة، وبالتالي فاعتماد سنة953هـ/1548م وفاة الأخضري هي فرضية في نظر البعض أكثر منها حقيقة تاريخية ثابتة.

دفعت هذه الفرضية بعض الباحثين في البحث عن مؤلفات للأخضري مؤرخة بتاريخ ما بعد 953هـ/1548م، فعثر عبد المجيد حبة على نظم الدرة البهية للأخضري ذكر أنه ألفها سنة 981هـ/1577م، فيقول الأخضري في بعض أبياتها:

تم بحمد الله ما قصدنا من نظم هذه التي أوردنا
سميتها بالدرة البهية فهي لما في أصلها محوية[3]
في عام إحدى وثمانين سنة[4] من بعد تسع مائة مستحسنة.

ويرى أبو القاسم سعد الله أن الاستدلال بهذا البيت ضعيف، لأن البيت في نظره قد يكون حدث فيه تصحيف من قبل النساخ تقرأ بـ" احدى وثمانين" بدل "إحدى وثلاثين"[5]، لكن الشيخ عبدالمجيد حبة في رسالة "علماء منطقة الزيبان"[6] رد هذا لرأي واعتبر أن الدكتور سعد الله ادعى تحريف وتصحيف بيت "نظم الأجرومية" في إحدى وثمانين سنة، فيرى أن الثمانين هنا محرفة عن الثلاثين سنة، واعتبرها دعوة لا ترتكز على

[1] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص147.

[2] المصدر نفسه، ص146.

[3] المهدي (بوعبدلي)، «عبد الرحمن الخضري وأطوار السلفية في الجزائر»، مجلة الأصالة، ع53، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جانفي 1978، ص25.

[4]

[5] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص500.

[6] بحثت عن هذه الرسالة فلم أعثر إلا على نسخة واحدة منها في مكتبة المركز الثقافي الإسلامي في بسكرة، ولم أتمكن من الاطلاع عليها رغم المجهودات بحجة إعادة تجليدها!.

بينة، ولو كانت إحدى وثلاثين كما ذكر الدكتور "سعد الله" لكان عمر الأخضري حينها (أحد عشر سنة فقط وهذا مستحيل[1].

أما الأستاذ "تبرمسين" فيستدل على أن الأخضري توفي بعد 953هـ/1548م بآخر بيت في منظومة الجوهر المكنون، مبينا أنه ألفه في آخر سنة من الخمسين:

ثم بشهر الحجة الميمون متم نصف عاشر القرون[2]

«فمتم نصف عاشر القرون، وهي نهاية آخر سنة من الخمسين كما جاء في شرحه»[3].

وإذا رجعنا إلى شرح الأخضري للبيت، وما يقصد بـ"نصف عاشر القرون" فيذكر: «... ولا يغيب عنه قطب ولا بدل ولا أحد، من الأولياء الله إلا من لم يمكنه ذلك، ونصف القرن هو آخر عام خمسين»[4]، ومن ثم فإن المقصود بمتم نصف عاشر القرون هو متم عام خمسين وليس آخر سنة من الخمسين كما ذكر الأستاذ تبرماسين.

وبالنظر إلى التباين بين المترجمين لحياة الأخضري حول سنة وفاته، فإن الرأي الذي نرجحه هو الذي يرى أن الأخضري توفي سنة 953هـ/1548م، لعدة أسباب منها:

1- ذكر عبد اللطيف بن المسبح المرادسي[5] المتوفى سنة 980هـ/1576م في كتابه "عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان" الذي هو شرح لمختصر الشيخ الأخضري" لفظ "رحمه الله" في حديثه عن الأخضري ما نصه: «... وبعد فإني قصدت بهذا التعليق شرح المختصر للشيخ الفقيه العلامة ولي الله سيدي أبي زيد عبد الرحمن الأخضري رحمه الله»[6]، وبالتالي فهو يتحدث عنه قبل سنة 980هـ/1576م، ويقول عنه –رحمه الله-.

---

[1] فوزي (المصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري ..، المرجع السابق، ص55.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون، مخطوط رقم 213، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص 152.

[3] عبد الرحمن (تبرمسين)، «آثار عبدالرحمن الأخضري»، مجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر2008، ص39.

[4] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون...، المصدر السابق، ص 154.

[5] هو أبو محمد عبداللطيف المسبح المرادسي نسبا، كان مفتيا بقسنطينة مرجوعا إليه في وثائق أهلها وكان الحساب أغلب عليه من غيره، مدرسا في الفقه صاحب تفنن فيما يحتاج إليه من الوثائق، له شرح على مختصر عبدالرحمن الأخضري في العبادات. ينظر:

محمد أبو القاسم (الحفناوي)، تعريف الخلف برجال السلف، ج02، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906، ص419.

[6] عبد اللطيف بن المسبح (المرادسي)، عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة –مصر، 1332هـ، ص02.

2- معروف عن الأخضري منذ صغره حب التأليف، فكيف يمكن أن نسجل في الفترة الممتدة بين 953هـ/1548م إلى سنة 982هـ/1577م سوى تأليف واحد وهو "الدرة البهية" التي أرخت لوفاته.

3- ألف الأخضري في مختلف العلوم والفنون بمنهجي الاختصار والنظم، ثم شرع في وضع شروح لتلك المختصرات مثل: شرح السلم المرونق، والدرة البيضاء والجوهر المكنون وكل ذلك قبل سنة 953هـ/1548م، فلماذا لم نجد له شروحا بعد السنة المذكورة وهو المنهج المتبع لدى أغلب علماء التعليم بوضع مختصرات ثم شرحها.

تنسب للأخضري كرامات متعددة منها ما ذكرته كتب الرحالة وهو كشفه لقبر النبيء خالد بن سينان العبسي، فيقول أبو العباس الناصري: «عبدالرحمن الأخضري هو الذي أظهر القبر الذي في بلاد الزاب المنسوب لنبيء الله خالد بن سينان عليه السلام»[1]، وقد حدد مكان القبر بطريقة الكشف، فيقول أبو سالم العياشي[2]: « وغاية ما سمعت من بعضهم أن سيدي عبدالرحمن الأخضري أخبرهم أنه شاهد النور صاعدا من تلك البقعة إلى السماء ثلاث ليال أو نحوها، وأخبر أنه قبر نبي الله خالد، فإن كان أطلع على ذلك من كشفه فيسلم له فهو أهل لذلك»[3].

يدعم العياشي رواية تحديد قبر خالد بن سينان المنسوبة لعبدالرحمن الأخضري عن طريق الكشف[4] بثلاث أدلّة إن صحت صدق الرواية وهي: أولا ما عرف عنه من العلم والصلاح وبالتالي فهو أهل للكشف، والثاني: أن طريقة الكشف لم يبتدعها الأخضري وإنما قد حدثت أمثلة قبله «وقد رأينا وسمعنا في بلاد المشرق بمشاهد متعددة من قبور الأنبياء والأولياء أظهرها أهل الكشف الصادق فتزار بحسن النية وجميل الاعتقاد»[5]، أما الدليل الثالث: أن ابن عرفة تحدث في بعض تفاسير له عن وجود نبيء الله خالد بن سينان ببلاد المغرب

---

[1] أحمد بن محمد أبو العباس (الناصري)، الرحلة الناصرية، مخطوط رقم 1954، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص38.

[2] أبو سالم عبدالله بن محمد العياشي المالكي(1037هـ-1090هـ)/(1628م-1679م)، رحالة مغربي شهير من آثاره: اقتضاء الآثار بعد ذهاب أهل الآثار، تنبيه ذوي الهمم العالية على الزهد في الدنيا الفانية، يضاف إلى ذلك رحلته المعروفة بالرحلة العياشية أو ماء الموائد.

[3] عبدالله بن محمد أبو سالم (العياشي)، المصدر السابق، ص542.

[4] الكشف في اللغة رفع الحجاب، وفي الاصطلاح الاطلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الحقيقية وجودا وشهودا، وعند أهل السلوك هو المكاشفة ويطلقونها على رفع الحجاب بين الروح الجسماني والذي لا يمكن إدراكه بالحواس الظاهرة. ينظر:
أنور أبو الحزم (فؤاد)، معجم المصطلحات الصوفية، ط01، ناشرون، بيروت-لبنان، 1993، ص147.

[5] عبدالله بن محمد أبو سالم (العياشي)، المصدر السابق، ص542.

فيقول: « وقد ذكر لي بعض الناس أن خبر خالد بن سينان هذا مذكور في بعض التفاسير المنقولة عن الإمام ابن عرفة[1]، وأنه في هذا المكان»[2].

خلاصة الفصل الثاني:

يعتبر كتاب "العقد الجوهري في التعريف بسيدي عبدالرحمن الأخضري" لصاحبه أحمد بن داود المصدر الوحيد الذي ترجم للأخضري وقد اجتهد صاحب التأليف في ذلك معتمدا على بعض الاشارات الموجودة في الشروحات، وبعض الروايات المتداولة، وهو ما يجعل الباحث أمام العديد من التساؤلات والفرضيات يعجز عن حسمها في غياب الوثائق التاريخية.

اختلف من ترجم للأخضري حول نسبه؛ فمنهم من يرجعه إلى بطن من بطون الدواودة من أولاد رياح، وآخر إلى جبل الأخضر، وآخر يرجعه إلى قبيلة خضيرة والمرجح ما ذكره الأخضري نفسه إلى العباس بن مرداس، وقبيلة الأخضري إحدى قبائل بني سليم التي هاجرت إلى بلاد المغرب، واستوطنت أغلبها بالمغرب الأدنى(تونس)، والقلة القليلة منها هاجرت إلى المغرب الأوسط(الجزائر) ومنها عائلة الأخضري.

يرجع هذا الاختلاف حول نسب الأخضري وتاريخ ميلاده ووفاته إلى عدم وجود مؤلف من مؤلفاته يتحدث فبه عن سيرته، كما أن لا أحد من تلامذته كتب عنه مثلما هو معهود عند سير العديد من العلماء التي كتبوها ودونوها تلامذتهم، ولا نعرف أن هناك من كتب عن الأخضري ممن عاصره أو قريب من عصره سوى تلك المعلومات الشحيحة التي وردت في كتب الرحالة أمثال الورتلاني والعياشي والزياني.

تعددت الروايات حول تاريخ ميلاد ووفاة الأخضري، والمرجح أنه ولد سنة 920هـ/1516م، وتوفي سنة 853هـ/1548م؛ فتاريخ ميلاده يدل عليه التواريخ التي وضعها في منظوماته، أما تاريخ وفاته فسيبقى محل اجتهاد حسب ما يتوفر من الوثائق التاريخية بإثبات السنة المذكورة أو نفيها وتأكيد طرح الشيخ عبدالمجيد حبة الذي يرى أن الأخضري توفي سنة 983هـ/1578م.

---

[1] أبوعبدالله محمد بن محمد بن عرفة التونسي المولد والنشأة الورغمي الأصل، ولد 716هـ، وتوفي803هـ، عاصر الإمام الشريف التلمساني والإمام المقري والقاضي أبو عثمان العقباوي في تلمسان، وشيخ الشيوخ أبو سعيد بن لب والإمام أبو اسحاق الشاطبي بغرناطة والإمام القباب بفاس، وقد حبس وسجن قبل موته كثيرا نظرا لمعارضته وأفكاره، ومن مؤلفاته المشهورة مختصره في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك وتأليفه في المنطق فيه من القواعد والفوائد. ينظر:
أحمد بابا (التنبكتي)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبدالحميد عبدالله الهرامة وآخرون، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989، ص ص(463-471).

[2] عبدالله بن محمد أبو سالم (العياشي)، المصدر السابق، ص543.

تكوّن الأخضري تكوينا محليا وتتلمذ على مجموعة من العلماء من بينهم والده محمد الصغير وشقيقه الأكبر أحمد بن محمد الصغير، وعمر الوزان بقسنطينة، وعبدالرحمن بن القرون ببسكرة، وأخذ التصوف عن الخروبي، كما أن الأخضري كان كثير المطالعة وهو ما يجعلنا نرجح أن جزء من تكوينه قد يكون عصامي.

يعد الأخضري من علماء التعليم في الجزائر العثمانية، الذي اشتغل بمهنة التربية والتعليم وكوّن مجموعة من الطلبة وقد اشتهر البعض منهم على غرار أبو مسلم الفارسي، ولم يكن التعليم ليمنعه عن التأليف. فما هي آثار عبدالرحمن الأخضري؟ سنحاول الإجابة عن هذا السؤال في الفصل الثالث من خلال التعرض لمؤلفات الأخضري في العلوم العقلية والنقلية.

الفصل الثالث

آثار عبدالرحمن الأخضري

أولا: مؤلفات الأخضري في العلوم النقلية

1-في العقيدة والفقه

1-1في العقيدة

1-2في الفقه

2-التصوف.

3-النحو والبلاغة

4-في المدح والارشاد

4-1في المديح النبوي

4-2 في النصح والارشاد.

ثانيا: مؤلفات عبدالرحمن الأخضري في العلوم العقلية

1-علم الفلك

2-علم الحساب والفرائض

3-علم المنطق.

مقدمة الفصل الثالث:

أثرت التطورات السياسية والتحولات الثقافية في الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي العاشر الهجري على حركة التأليف؛ فاختزلت في المختصرات والشروح والحواشي، وهيمن على كل علم من العلوم العقلية والنقلية مؤلف من المؤلفات أو إنتاج عالم من الأعلام، ففي العقيدة مؤلف السنوسي "صغرى السنوسي"، وفي البلاغة "تلخيص المفتاح" للقزويني"، وفي التصوف والمنطق مؤلفات الغزالي...، وكان وضع مختصر أو شرح أو حاشية لأحد الشروح لتلك الكتب "المرجعيات" في أي علم من العلوم دليل على تبحر العالم فيه، ونظرا لهذا الطابع الذي تميزت به حركة التأليف فقد جعلها تتصف بالتقليد أكثر من التجديد، ورغم ذلك فقد برز علماء ألفوا في مختلف العلوم من بينهم عبدالرحمن الأخضري. سنحاول في هذا الفصل جرد ما توصلنا إليه منها بالتركيز على مضامينها.

أولا: مؤلفات الأخضري في العلوم النقلية:

نقصد بالعلوم النقلية، علوم القرآن ومختلف العلوم والفنون الأدبية، وتقابلها العلوم العقلية، وقد ترك عبدالرحمن الأخضري عدة مؤلفات في العلوم النقلية من عقيدة وفقه، والنحو والبلاغة والشعر، وسنحاول أن نذكر لمحة عن هذه المؤلفات.

1- في العقيدة والفقه:

رغم أن مؤلفات الأخضري تجاوزت الثلاثين مؤلفا، إلا أن حظ العقيدة والفقه لم يكن وفيرا برغم من شيوعهما في عصره، بانكباب العلماء على دراسة كتب ومختصرات فقه المذهب المالكي خاصة، وما تركه الأخضري هو شرح لصغرى السنوسي[1] ومختصر في فقه العبادات.

1-1 في العقيدة:

ترك عبد الرحمن الأخضري شرحا على صغرى السنوسي وهي رسالة في علم التوحيد والعقيدة، وتعرف بالعقيدة الكبرى والعقيدة الصغرى، وأصلها عقيدة أهل التوحيد، وأحيانا يكتفون بالوصف فيذكرون كبرى السنوسي ووسطاه وصغراه؛ أي نسبة للشيخ محمد بن يوسف السنوسي، الذي تعرض في رسالته إلى العقيدة

[1] مؤلفها محمد بن يوسف بن عمر بن شعيب أبو عبدالله السنوسي، ولد832هـ/1428م وتوفي 895هـ/1490م، كبير علماء تلمسان وزهادها في عصره، عالم في التفسير والحديث وعلم التوحيد فقد ألف " عقيدة أهل التوحيد" والمعروفة صغرى السنوسي وله شرح عليها كما له شرح على صحيح البخاري، وشرح أسماء الله الحسنى وله مؤلفات عديدة في المنطق والتفسير والبلاغة والطب والنحو والفرائض. ينظر:
عادل (نويهض)، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1980، ص180-181.

وعلم الكلام واعتبره المؤدي إلى معرفة الله سبحانه وتعالى وأنه مفتاح العلوم، وقد لقيت هذه العقيدة شروحات عديدة[1]، منها شرح عبدالرحمن الأخضري، الذي لا يزال مخطوطا وجدت نسخة منه في المكتبة الوطنية مكونة من خمس وعشرين صفحة.

استهل الأخضري في شرحه بإيضاح عبارة "الحمد لله" فيقول: بدأ بالحمد امتثالا لقوله صلى الله عليه وسلم: «كل أمر مهم (الحديث) واقتداء بالكتاب العزيز فإن قلت إذا ثبت هذا فما بال مالك وغيره كابن الحاجب لم يبدأ بالحمد، فذلك أعم في كتابه، فيحتمل أن يكونوا حمدوه عند ابتدائهم أو يقال استغنوا عنه بالبسملة؛ إذ المقصود الثناء على الله وهو حاصل بها، فالوجه الأول عيني على روايته بالحمد بالضم والثاني على روايته بالكسرة»[2]، ويواصل الأخضري في الحديث عن غاية "الحمد" ومصدره فيقول: «والابتداء به هو أن الأمور لما كانت لما يفعل للمستقبل، ولا قدرة للعبد على اتمامها، حض النبي –صلى الله عليه وسلم– على الابتداء به لعل الله يتم المراد بفضله والحمد مصدر مقيس هو الثناء باللسان على المحمود بجميل صفاته سواء تعلق بالفضائل أو بالفواضل، واختار بعضهم بالكلام بدل قوله باللسان ليشمل القديم والحادث، والشكر مصدر على غير القياس هو الثناء باللسان وغيره على المشكور بجميل نعمه»[3].

ويختم الأخضري مخطوطه بشرح عبارة السنوسي «نسأله سبحانه أن يجعلنا وأحبتنا عند الموت ناطقين بكلمتي الشهادة عالمين بها» فيقول: «السؤال كلام دال بالقصد الأول على طلب الفعل على سبيل الخضوع، وهو مع الاستعلاء أمر ومع الخضوع سؤال "أي الترجي" ومع التساوي رغبة، وعبر بالمضارع لإفادة التكرار والتجدد دون الماضي لإفادته الانقطاع وهذا شأن الناس في ذلك وسبحان الله والحمد لله رب العالمين»[4].

---

[1] من بين شروحات صغرى السنوسي نذكر شرح سعيد قدورة الجزائري، الذي ذكر أن سبب تأليفه هو توضيح ما أغفل عنه السنوسي في شرحه وأبو محمد عبدالقادر بن أحمد الراشدي، فيقول: « فإنه لما منّ (عليّ) الله سبحانه بإقراء العقيدة الصغرى مع شرحها للشيخ السنوسي رضي الله عنه ونفعنا به، وجرى على الخاطر فوائد كتب استحسنتها، وزوائد تلقيتها من فيض المشايخ وقيدتها، استخرت الله تعالى أن أجمع ذلك في هذا الكتاب تذكرة لنفسي ولمن أراده من الإخوان والأصحاب، مما لم يذكره الشيخ في شرحه لهذا الكتاب، ومما لم يذكره أيضا شيخ شيوخنا أبو محمد عبدالقادر بن أحمد الراشدي في تعليقه لوجوده بين الطلاب، اكتفيت بما فيهما عن إعادته هنا إلا ما احتجت إليه للتنبيه عليه من حل غامض أو تكميل غائض فلابد من إضافة هذا التقييد إليهما إذ لا تحسن فائدته إلا بهما». ينظر:
سعيد بن إبراهيم (قدوره)، شرح صغري السنوسي، مخطوط ضمن مجموع رقم 4781، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية، ص06.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح صغرى السنوسي، مخطوط ضمن مجموع رقم 1426، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص22.

[3] المصدر نفسه، ص 22.

[4] المصدر نفسه، ص47.

ألف الأخضري " الفريدة الغراء" وهي مخطوطة في العقيدة، أشار إليها عبد الرحمن الجيلالي، وأقر بوجود نسخة في مكتبة العائلة «... والفريدة الغراء في التوحيد مخطوطة عندنا نسخة بخزانتنا»[1]، ولم يتعرض إلى وصفها أو مضمونها، ولهذا يبقى السؤال المطروح حول مضمونها وموضوعاتها والقضايا العقائدية التي عالجها الأخضري في مخطوط " الفريدة الغراء"، كما أقر لي أحد أحفاد الأخضري بمقر سكناه بـ" بنطيوس" أنه يملك نسخة منها، لكن تعذر عليّ الاطلاع عليها.[2]

1-2 في الفقه:

وضع عبد الرحمن الأخضري مختصرا في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك رضي الله عنه، وهو المختصر الذي شرحه عبد اللطيف المسبح شرحا كان موضع نقد عبدالكريم الفكون الحفيد الذي عمد إلى شرح مختصر الأخضري أيضا، وقد سمى الفكون شرحه "الدرر على المختصر"[3] قال عنه: «نبهنا عن فوائد فيه لم توجد في المطولات، ونكت حسان قل أن تلقى في غيره، وتنبيهات وفروع أخذناها من فحوى خطابه، وربما نبهنا على ما طغى به قلم شارحه المذكور»[4].

افتتح عبد الرحمن الأخضري مؤلفه "مختصر في فقه العبادات" بـ«الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين أول ما يجب على المكلف تصحيح إيمانه، ثم معرفة ما يصلح به فرض عينه، كأحكام الصلاة والطهارة والصيام، ويجب عليه أن يحافظ على حدود الله تعالى ويقف عند أمره ونهيه ويتوب إلى الله سبحانه قبل أن يسخط عليه»[5].

يتعرض الأخضري بعد ذلك إلى شروط التوبة ويلخصها في عنصرين،؛ الندم على ما فات والنية ألا يعود فيما بقي من عمره بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، ثم انتقل للحديث عن الطهارة وقسمها إلى قسمين: طهارة حدث وطهارة خبث مفصلا في ذلك بأمثلة فقهية، وبعدها تحدث عن فرائض الوضوء ونواقضه، والتيمم ونواقضه، ثم يعالج الأخضري في ما بقي من مؤلفه: فرائض الصلاة وشروطها وفضائلها وسننها واختتم بباب السهو[6].

---

[1] عبدالرحمن (الجيلالي)، المرجع السابق، ص81.

[2] قمت بعدة زيارات إلى "بنطيوس" وآخرها كانت بتاريخ 2014/01/29، وخلاله سلم لي أحد أحفاد الأخضري والمشرف على زاويته قائمة بأسماء المخطوطات التي يمتلكها ومنها مخطوط " الفريدة الغراء" فطلبت منه الاطلاع عليها فأجابني «لقد طلبت مني جامعة الأمير المخطوطة ولم أمنحها» فلماذا وإلى متى سيبقى محتفظا بها.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، لمحات من حياة الشيخ "عبدالرحمن الأخضري"، المرجع السابق، ص27.

[4] عبدالكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص46.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، مخطوط ضمن مجموع رقم 399، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص68.

[6] يتكون مخطوط "مختصر فقه العبادات على مذهب الإمام مالك" من ثمان ورقات مدرجة ضمن مجموع يبدأ بالورقة رقم68 وينتهي بالورقة 75.

وينهي الأخضري مختصره بمسألة إذا سلم الإمام قبل كمال صلاته وهو متيقن بإتمامها فيقول: «وإذا (سلم)[1] الإمام قبل كمال صلاته فسبح به من خلفه فإن صدقك أكمل صلاته وسجد بعد السلام، وإن شك في خبره سأل عدلين وجاز لهما الكلام بعد ذلك، وإن تيقن الكمال عمل على ما أيقنه وترك العدلين إلا أن يكثر الناس خلفه فترك يقينه ويرجع إليهم، كمل بحمد الله وحسن عونه»[2].

لقي مختصر الأخضري إقبالا واسعا في مساجد ومدارس تعليم الفقه، لأهميته واشتماله على العديد من المسائل الفقهية المتعلقة بالطهارة والوضوء والصلاة خاصة باب السهو، وقد تعدد شرحه، وحوله بعض العلماء إلى منظومات شعرية تعليمية، ومن بين شروحاته؛ "شرح صالح عبد السميع الآبي الأزهري" الذي سماه "هدية المتعبد السالك" الذي بدأه بـ: «الحمد لله الذي وشح الدين بطلعة سيد الأنبياء والمرسلين وجعل أمته خير أمة وملته خير ملة، فهو سيد الأبرار، وهم السادة الأخيار»[3]، وينهيه بـ: «وأما إذا كثر المخبرون له جدا بحيث يقيد خبرهم العلم الضروري فإنه يرجع إليهم ولو تيقن خلاف ما أخبروه، والله أعلم»[4].

كما قام بشرحه "سعيد بن عمر جلياتوري" وذكر سبب ذلك: «...اعلم أرشدني الله وإياك إلى ما فيه سعادتنا في الدارين، وما به نجاتنا وراحتنا في الحياتين، إنه قد ظهر في بلادنا شرذمة متشدقه وقعوا في أعراض العلماء أئمة الاسلام، المتقين البررة....وحملوا عليهم جميع الآيات التي أنزلها الله تعالى في أهل الكتاب من النصارى واليهود...فلذا فسقوا وبدعوا وكفروا كل من يشتغل في تعلم أو تعليم تلك الكتب الفقهية-أي كتب أولئك العلماء-، وفي بعض المدن طرحوها في الطرقات والشوارع والحفر وأضرموا في البعض النيران المتأججة...فعزمنا بعد تردد وإحجام وتقهقر وإقدام، لما فينا من ضعف وقصور، وعجز وفتور أن أجمع شرح وجيز لمختصر الأخضري للشيخ عبدالرحمن الأخضري...ونبين بأن الكتب الفقهية ليست إلا شروحا وتفاسير لأحكام الكتاب والسنة وإجماع العلماء»[5].

شرح مختصر الأخضري كذلك الشيخ محمد بن محفوظ بن الشيخ بن دهمد[6]، الذي يعتبر من أشهر الكتب في العبادات المنتشرة اليوم في موريتانيا، وعن سبب تأليفه يقول المؤلف: « فشرعت في هذا التعليق

---

[1] في أصل المخطوط مكتوب "قام".

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، مختصر فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، المصدر السابق، ص75.

[3] صالح عبدالسميع الآبي (الأزهري)، هدية المتعبد السالك، الدار السودانية للكتب، السودان، (د.ت)، ص05.

[4] المصدر نفسه، ص156.

[5] سعد بن عمر بن سعيد (جلياتوري)، حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل، د.ن،(الجزائر؟)، د.ت.ن، ص3-4.

[6] هو محمد بن المحفوظ بن محمد بن الشيخ بن سيدي أحمد الملقب بـ"دهمد" الإديجبي نسبة إلى قبيلة إديجبه إحدى كبريات قبائل لمتونه، ولد سنة 1338هـ/1920م، من عائلة اشتهرت بالعلم ، من مؤلفاته كتاب "الغيوث الهوامع". حول ترجمته ينظر:

محمد بن محفوظ بن الشيخ (دهمد)، الفلق البهي على شرح نظم الأخضري للقلاوي، تح: محمد محمود ولد محمد الأمين،ط02، الناشر: محمد محمود ولد محمد الأمين، موريتانيا، 2005، ص ص(أ-و).

وودعت الشرح العميق لكوني في الشدة والضيق والشكوى إلى الله تعالى الرفيق، والحامل على هذا التصحيح والتنميق ما وقع من الفساد في هذا النظم من جميع الدَّهدَن في سائر البلاد، وعدم التنبيه لحرمة ما ظهر من عدم السداد، والله يعصمنا من الزلل ويوفقنا في القول والعمل»[1].

نظم الشيخ "محمد باي بلعالم" المختصر وسماه بـ "الكواكب الزهري"، قال في مطلع منظومته:

الحمد لله الذي قد وفقـــا من شاء من عباده إلى التقى
وفضل الفقه على العلـــوم فكان مثل البدر في النجوم
هذا الذي دفعني إلى الأمام لنظم ما ألفه الحبر الهمـــام
أعني الإمام الأخضري ألفا في حكمها مختصرا مصنـفا[2]

ويقول عن تسميته:

وبعد لما تم جمع الشمل وارتبط الفرع بحبل الأصـل
سميته بالكوكب الزهري لنظم نثر الشيخ الأخضري[3]

وفي ختامها يقول الشيخ باي بلعالم:

قد انتهى ما رمت نظمه في حا وحاء يوم الجمعة عند الضحى
من صفر الخـير وكان الابتـــدا في الخامس منه في عام تشجدا[4].

وقد التزم صاحب المنظومة في ترتيب الفصول حسب الترتيب الموجود في المختصر، وفضلا عن هذا الاهتمام الذي حظي به المختصر شرحا ونظما، فقد تم ترجمته إلى اللغة الفرنسية من طرف "جاهير هنري" و"نورالدين عبد القادر"[5].

2- التصوف:

تعرض الأخضري لدراسة التصوف، فألف منظومته "القدسية"، والتي اشتهر بها إلى جانب "السلم المرونق"، ورغم ذلك فهو لم يدرس التصوف كما فعل معاصروه، بمعالجة الطرق الصوفية وأورادها وأعلامها، وإنما درس التصوف من باب نقد متصوفة معاصريه والكشف عن أعمالهم مبرزا أوجه الاختلاف بينهم وبين

---

[1] المصدر نفسه، ص18.

[2] محمد باي (بلعالم)، الكوكب الزهري في نظم مختصر الشيخ الأخضري، ط1، دار ابن حزم، الجزائر، 2001، ص05.

[3] المصدر نفسه، ص24.

[4] المصدر نفسه، ص24.

[5] GHIKH Abderrahmane (La Khdari), Mokhtaçar fial-ibadi, Traduction Francaise par: Jahier Henri et Noureddine Abdelkader, Roudoci kaddour Mourad, Alger.

المتصوفة الحقيقين أصحاب النهج الصوفي السليم الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة، فاستهل منظومته بالحمد لله و الصلاة على النبيء المصطفى فيقول:

يقول راجي رحمة المقتدر المذنب العبد الذليل الأخضري

بحمد رب العالمين أبتدئ ثم صلاته على محمد[1]

ثم يتحدث بعد ذلك عن الجوهر الإنساني أو ما يطلق عليه بـ"الروحاني"، وهو الغاية من التصوف والتعبد، حيث يسعى المسلم إلى المجاهدة بتخطي العوائق والعوائد النفسية كما سماها الأخضري:

شيآن منهما حجاب ظاهر وباطن في النفس أي سائر

فالظاهر العوائد النفسية والباطن العوائق النفسية

فأول يدعى بالحجاب الحسي والثاني يدعى بالحجاب النفسي[2].

فيقصد الأخضري بـ"العوائد" كل ما هو متعلق بالحس ويجب على المرء اجتنابه أو المبالغة فيه كالأكل والنوم والراحة واللباس الفاخر وكل ما يتعلق بشهوة الجسم، و"العوائق" كل ما هو متعلق بالنفسي مثل حب الرياسة، الأنانية، حب التملك.... والملاحظ على الأخضري أنه استخدم منهج المناطقة في معالجة التصوف، فينطلق من تأصيل القضية (تحديد الماهية) ثم ينتقل إلى تحديد المفاهيم الفرعية، ثم يخلص في النهاية إلى هل يطابق الفعل (الواقع) الأصل (الفكر التنظيري والمنظرون الأوائل).

فأصل القضية عند الأخضري غاية التصوف، بطلب الكمال وعلاج النفس، ثم ينتقل إلى تحديد بعض المفاهيم مثل الجوهر الإنساني الذي يقول عنه:

اعلم بأن الجوهر الإنساني وهو الذي يدعونه الروحاني

منشؤه في العالم العلوي مستودع في القلب الجسمي

ويحدد الأخضري مفهوم الطهارة وعوائقها؛ ويقصد به تطهير النفس من الشهوات الحسية والمعنوية، والتي اعتبرها الأخضري بمثابة حجاب؛ تحجب المسلم عن الوصول إلى مرتبة الكمال[3]:

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، مخطوط ضمن مجموع رقم 946، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص142.

[2] المصدر نفسه، ص142.

[3] مرتبة الكمال وهي إدراك الانسان لحقيقة العقليات على ما هي عليه دون المتوهمات والحسيات التي يشاركه الحيونات فيها، ثم تعلم أن النفس بالذات متعطشة إليها، وبالفطرة مستعدة لها، وإنما يصرف النفس عن طلب مرتبة الكمال اشتغالها بشهوات البدن وعوارضه مهما استولت عليه ومهما كسر الشهوة وقهرها وخلص العقل عن رقها واستعبادها إياه وأنكب بالتفكير والنظر على مطالعة ملكوت السموات والأرض بل على مطالعة نفسه وما خُلق فيها من العجائب فقد وصل إلى مرتبة الكمال. ينظر:

رفيق (العجم)، المرجع السابق، ص800.

فأول يدعى بالحجاب الحسي والثاني يدعى بالحجاب النفسي

ومن المصطلحات التي تعرض لها الأخضري" مرتبة الكمال" حيث يقول:

واعلم بأن رتبة الكمال وخارق العادات في المثال

مطوية في النفس طي الحب في أكمامها ظهورها منها يفي

ومن أوصاف مرتبة الكمال: لقاح العلم والأعمال، الزيادة في العبادة (النوافل)، الحكمة، الطاعة، فيقول:

يبدو لقاح العلم والأعمال بقدر ما للقلب من كمال

كذاك من بعد لقاح العلم والعمل الأزهار عند القوم

وهو ظهور العلم والعبادة على الجوار مع الزيادة

وحكم تجري على لسانه وطاعة تجري على أركانه[1]

بعدما حدد الأخضري مفهوم مصطلحات: الجوهر الإنساني ، التطهير، مرتبة الكمال، شرع في ذكر طرق التطهير، والشروط التي يتوصل بها إلى مرتبة الكمال، فمن بين طرق التطهير؛ الذكر ويضع له شروطا:

لكن بشرط الخوف والحضور مع إذكار هيبة المذكور

ومن شروط الذكر ألا يسقط بعض حروف الاسم أو يفرط

والرقص والصراخ والتصفيق عمدا بذكر الله لا يليق

وإنما المطلوب في الأذكار الذكر بالخشوع والوقار[2]

ويوجه نقدا[3] لاذعا لمن لا يحترم شروط الذكر وابتدعوا فيه:

وقد رأينا فرقة إذا ذكروا تبدعوا وربما قد كفروا

وصنعوا في الذكر صنعا منكرا صعبا فجاهدهم جهادا أكبر

خلوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا في أعظم الأسماء

والألف المحذوف قبل الهاء قد أسقطوه وهو ذو إخفاء

وغرهم إسقاطه في الخط فكل من يتركه مخطط

كما انتقد من ادعى مراتب الكمال ولم يتصف بصفاتها ولا سعى بسعيها:

قد ادعوا مراتب جليلة والشرع قد تجنبوا سبيله

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص143.

[2] المصدر نفسه، ص143.

[3] سنتعرض بالتفصيل لنقد الأخضري لمتصوفة عصره في الفصل الثالث.

قد نبذوا شريــعة الرسول فالقوم قد حادوا عن السبيل

لم يدخلوا دائرة الطريقــة فضلا عن دائرة الحقيـــقة

كفاك من جميعهم خيانة إذا اختلوا الدنيا بالديـــانة[1]

ويتعجب الأخضري فيمن يدعي الحقيقة ويخالف الشريعة:

يا عجبــا لرافضي الشريـــعة ويدعي درجات رفيعة

وكيف يرقى سلــم الحقيـــقة مخالفا لسيد الخليـــقة

واحصرتي على الصراط المستقيم قد ادعاه كل أفاك أثيم

ويختتم الشيخ الأخضري منظومته بالصلاة على النبي ويؤرخ لمنظومته:

ثم صـلاة الله كـل حيــن على أجل من أتى بالديـــن

محمد سلطان أهل الحضرة وآلــه أجـل كـــل زمـــرة

في أربع وأربعين قـــد نجز من عاشر القرون قل هذا الرجز[2]

تعتبر قصيدة القدسية «من أجمل القصائد في الأدب الصوفي ومن نوادر التراث الفكري في الأدب العربي بالجزائر، ولا شك أن قارئها سيجد فيها متعة وأدبا وطرفة قد لا يجدها في قصائد كثير من الشعراء الذين طرقوا موضوع التصوف في الأدب العربي وحاولوا الابتكار والإبداع فيه»[3]، ومما يدل على ذلك الاهتمام الذي لقيته المنظومة في المشرق والمغرب تعدد طبعاتها؛ حيث طبعت مع فتاوى ابن صلاح، وفي كتاب "الزهر الباسم" وأخيرا في الرسائل الجلية[4].

وأوّل من شرح القدسية "الحسين الورتلاني" وسماه "الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية" الذي يقول فيه: «قد سألني بعض الإخوان –أذاق الله لنا ولهم حلاوة التحقيق وسلك بنا وبهم أنفع الطريق– شرح القدسية للشيخ العارف بالله سيدي عبدالرحمن الأخضري؛ إذ لم يعلم لها شرح ولقد حاز يد السبق فيها لفظا ومعنى»[5]، ويعتبر شرح الورتلاني من أشهر شروحات القدسية رغم أنه الأول، وذلك لتضلع صاحبه في علم التصوف وما يتعلق به.

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص148.

[3] عبد القادر (بوعزة)، «الشيخ عبدالرحمن الأخضري وقصيدته القدسية»، جريدة البصائر، ع216، الجزائر، 29 نوفمبر–06ديسمبر 2004، ص10.

[4] المهدي (بوعبدلي)، المرجع السابق، ص28.

[5] الحسين بن محمد السعيد (الورتلاني)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة–(ولاية بسكرة)–الجزائر، ص01.

3- النحو والبلاغة:

النحو والبلاغة من العلوم التي لقيت أهمية كبرى في المنظومة التعليمية للتعليم القرآني؛ حيث يحتلان الصدارة بعد تدريس القرآن والفقه بل مرتبطان بهما فلا يمكن فهم معاني القرآن الكريم ما لم يكن الطالب متمكنا من النحو والبلاغة، فظهرت فيها مؤلفات عديدة، ومما ألفه الأخضري في هذا المجال نذكر: "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" ثم شرحه وسماه "شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"، وهما مؤلفان في البلاغة، أما النحو فألف فيه: منظومة "الدرة البهية" ومغني اللبيب في كتب الأعاريب".

3-1- منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون: منظومة في علم البلاغة من بحر الرجز، تقع في مائتين وواحد وتسعين بيتا(291) مطلعها:

الحمد لله البديع الهادي إلى بيان مهيع الرشاد

أمد أرباب النهى ورسما شمس البيان في صدور العلما[1]

فابصروا معجزة القرآن واضحة بساطع البرهان

شرع الأخضري –بعد حمد الله والثناء عليه، والصلاة والسلام على النبي الكريم و صحابته الكرام- في ذكر اهمية البلاغة فيقول:

هذا وأن درر البيان وغرر البديع والمعان

تهدى إلى موارد شريفة ونبذ بديعة لطيفة

من علم أسرار اللسان العربي ودرك ما خص به من عجب

لأنه كالروح للأعراب فهو لعلم النحو كالبابي[2].

يذكر الأخضري أن سبب تأليفه هو نزول عند رغبة بعض الطلبة، ملخصا ما جاء في كتاب "درر التلخيص" لجلال الدين القزويني، وفي هذا يقول:

وقد دعا بعض من الطلاب لرجز يهدي إلى الصواب

ملتقطا من درر (التلخيص)[3] جواهر بديعة (التلخيص)[4].

سميته بالجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، مخطوط رقم 2118، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص211.

[2] المصدر نفسه، ص211.

[3] الأصل في النص: التلخيض.

[4] الأصل في النص: التخليص.

وضع المؤلف مقدمة –بعد الاستهلال– اشتملت على سبعة أبيات، تطرق فيها إلى تحديد مفهوم البلاغة والفصاحة، ثم شرع في استعراض مسائل المعاني ضمن 116 بيتا، لينتقل إلى علم البيان، والذي جاءت مباحثه موزعة على أربع وستين (64) بيتا، أما البديع فاشتمل على واحد وسبعين (71) بيتا[1] وختم الأخضري منظومته بتسع (09) أبيات خصصها لمحاسن البدء والانتهاء والصلاة ثم السلام على النبي المصطفى وأخيرا ذكر سنة تأليف هذا النظم:

وينبغي لصاحب الكلام	تأنق في البدء وفي الختام
بمطلع سهل وحسن القال	وسبك أو مراعاة استهلال
هذا تمام الجملة المقصودة	من صنعة البلاغة المحمودة
ثم صلاة الله طول الأمد	على النبي المصطفى محمد
تم بشهر الحجة الميمون	متم نصف عاشر القرون[2]

سعى الأخضري من وراء تأليف منظومة "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" إلى ترسيخ مسائل البلاغة العربية وتبسيط مفاهيمها للطلبة[3]، وقد أُدرجت ضمن المنظومات التعليمية البلاغية في بعض زوايا ومدارس التعليم، واعتنى بها العلماء بتدريسها وشرحها، وممن شرح منظومة "الجوهر المكنون" الشيخ "محمد بن محمد بن علي بن موسى" الثغري" نسبا، الجزائري منشأ أسماه " موضع السر المكنون في شرح الجوهر المكنون" ولا يزال هذا الشرح مخطوطا[4].

سعى الثغري إلى توضيح بعض الغموض الموجود في شرح الأخضري وسماه " البياض" مع إظهار جمال البلاغة وقوة البيان في منظومة الأخضري فيقول أبو القاسم سعدالله نقلا عن الثغري: «الحمد لله البديع الذي يشرح صدور البلغاء بجوهر المعاني وإيضاح التبيان أما بعد: فلما رأيت منظومة الشيخ سيدي عبدالرحمن الأخضري الموسومة بـ(الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون) من أجلّ ما صنف في علم البيان، محتوية على جل قواعد "التلخيص" وعيون مسائله بلفظ موجز وتهذيب وإتقان، فقد شرحها ناظمها شرحا مفيدا وأعرب عما في ضميره وأبان، لكن بقي في بعض الأماكن بياض في الشرح»[5].

---

[1] يتكون مخطوط الجوهر المكنون من 12 لوحة (النظام المستخدم في التصنيف الاليكتروني في المكتبة الوطنية)، كل لوحة تشمل ورقتين باستثناء اللوحة الأخيرة بدايتها 211 وتنتهي عند 222.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة الفنون، المصدر السابق، ص222.

[3] محمد حاج (هني)، «الجهود البلاغية لعبد الرحمن الأخضري 983هـ»، الملتقى الوطني السابع حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية الأدبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة الأفريقية، أدرار–الجزائر، 7/6 مارس 2012، ص124.

[4] عبدالرحمن (الجيلالي)، المرجع السابق، ص80.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، لمحات من حياة الشيخ عبدالرحمن الأخضري، المرجع السابق، ص(20– 31).

يعلق أبو القاسم سعدالله على هذا الشرح فيقول: «سار الثغري في شرحه على ما وعد، فأوضح فنون البلاغة وعالج موضوعاتها بتفصيل وتبسيط، حتى جاء الشرح في حجم ضخم، بالإضافة إلى أنه عرف فيه بالأخضري تعريفا وافيا، ومما يلاحظ أنه لم يبوب الشرح وإنما اتبع تبويب الناظم نفسه معتمدا في ذلك على وحدة البيت والباب والفصل، ويبدو أن شرح الثغري كان كثير التداول بين العلماء، وتبين ذلك من كثرة النسخ منه»[1]، ومن ثم فيعتبر شرح الثغري من أبرز وأحسن الشروحات على منظومة الجوهر المكنون.

شرح الشيخ محمد بن الفكون منظومة الجوهر المكنون حسبما أشار إليها الحاج أحمد بن مبارك القسنطيني في طالع حاشيته على الجوهر المكنون المسماة "نزهة العيون في بيان شرح الجوهر المكنون"[2]، وقد عني الكثير بطبعه ونشره، فطبع سنة 1292هـ/1876م بمطبعة المعارف-مصر، وفي سنة 1304هـ/1888م بمطبعة أبي زيد –القاهرة، وفي سنة 1306هـ/1890م بمطبعة الخيرية ومطبعة الترقية، وطبع سنة 1323هـ/1906م بمطبعة الحميدية بمصر[3]، وتعدد طباعته يدل على الاهتمام الواسع بمنظومة الجوهر المكنون من طرف طلبة العلم والعلماء على حد سواء، وأنه كان ضمن الدروس اللغوية في بلدان المشرق.

2-3 شرح الجوهر المكنون: ذكر الأخضري في منظومة الجوهر المكنون أن سبب نظمها هو أنه ألح عليه بعض طلبته في وضع "رجز" منظومة في البلاغة، وشرحه لتلك المنظومة من أجل توسيع الفهم والإدراك، وقد التزم في الشرح بالتقسيم الذي وضعه في المتن، مستثنيا بعض الأبيات في البداية[4]، فبعدما شرح "الحمد لله" شرحا مفصلا انتقل مباشرة إلى المقدمة دون شرح الأبيات التي تخص أهمية البلاغة، وسبب التأليف...

بين الأخضري في المقدمة معنى الفصاحة والبلاغة وفنونها، لينتقل إلى شرح الأبيات التي تخص الفن الأول من فنون البلاغة وهو علم المعاني بداية بتعريفه ، وقسّمه إلى أبوابه؛ فالباب الأول يشمل الإسناد الخبري وضمنه الإسناد العقلي، ويتكلم في الباب الثاني عن المسند إليه، والباب الثالث عن المسند، أما الباب الرابع والخامس فشرح فيها الأخضري الأبيات المتعلقة بالفعل والقصر، لتكون مواضيع: الإنشاء الفصل والوصل، والإيجاز وأُطناب والمساواة محاور الباب السادس والسابع والثامن على التوالي[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص31.

[2] حنيفي (هلايلي)، «عبدالرحمن الأخضري رائد التصوف السلفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع07، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، نوفمبر 2006، ص75.

[3] كمال (عجالي)، «قراءة في كتاب الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون للشيخ عبدالرحمن الأخضري»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة- الجزائر، ديسمبر 2008، ص97.

[4] استثنى الأخضري في الشرح 23 بيتا التي استفتح فيها قصيدته، وذكر فيها أهمية علم البلاغة، وأسباب تأليفه للجوهر المكنون، وعن تسميته؛ حيث انتقل مباشرة من شرح البيت الأول إلى الشروع في شرح مقدمة المنظومة بداية بمعنى الفصاحة.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون، المصدر السابق، ص ص(01 – 92).

والفن الثاني من فنون البلاغة "علم البيان"، وقسمه إلى بابين؛ كل باب يتكون من فصول شرح فيه كل الأبيات التي تتعلق بالتشبيه والحقيقة والمجاز والاستعارة بأنواعها وتفرعاتها والكناية[1].

وعلم البديع هو الفن الثالث من فنون البلاغة التي شرحها المؤلف، ويصنفه إلى صنفين هما: المعنوي واللفظي؛ فالمعنوي يشمل 53 نوعا منها: المطابقة، الموافقة، العكس ، التسهيم[2]، المشاكلة، المزاوجة، المقابلة، التورية، الجمع، تأكيد المدح بما يشبه الذم، تأكيد الذم بما يشبه المدح... إلخ، ويتكون اللفظي من الجناس وأنواعه، السجع وأقسامه، الموازنة، السرقات وتوابعها مثل الاقتباس والتضمين والعقد والحل والتلميح، ويجعل الفصل الأخير من فن البديع لـ: الإيهام والتهكم، والتغالي وسماه "فيما لا يعد كذبا"[3].

وجعل الخاتمة للحديث عن محاسن الابتداء ومحاسن الانتهاء بشكل مفصل عن براعة الاستهلال لبعض الشعراء ومحاسن الانتهاء للبعض الآخر[4].

جاء شرح الأخضري على منظومة "الجوهر المكنون" واضحا، واعتمد في شرحه على ضرب الأمثلة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والأشعار في أغلبها، مع ذكر مواطن الاختلاف في الكثير من القضايا البلاغية والأخذ بالقول الراجح فنجده في شرحه يكثر من كلمة "تنبيه" و"تنبيهات".

3-3- مؤلفات الأخضري في النحو: للأخضري منظومة في قواعد الإعراب توجد نسختين منها بالمكتبة الأحمدية بخزانة جامع الزيتونة مطلعها:

هذا بحمد الله نظم سهل مورده للطالبيـــــن نهـل

معتمدا على كتاب المغني لابن هشام شيخ هذا الفن

النسخة الأولى: مقياسها 11/19 سم، عدد أوراقها 35، وسطورها 154 مكتوبة بخط مغربي، ورقمها التسلسلي 6753، والنسخة الثانية: مقياسها 15/21سم، عدد أوراقها 25، وسطورها 20، خطها مغربي، ورقم تسلسلها5674 [5]وهذه المنظومة مقسمة إلى أبواب مثل: باب الكلام، وباب معرفة علامة الأعراب، وباب الأفعال، وباب النواصب، وباب الجوازم... إلخ، وآخر الأبواب البدل وهي مدونة في عشر أوراق.

---

[1] المصدر نفسه، ص ص(92-120)

[2] ويعرف كذلك بالإرصاد وهو: أن يذكر قبل العجز من الفاصلة أو البيت ما يشعر به إذا عرف الروي، نحو إذا اشتريت دار زيد فنعم ما تشتري، وإذا اكتريت دار عمرو فبئس ما تكتري. ينظر: المصدر نفسه، ص122.

[3] المصدر نفسه، ص ص(120-150).

[4] المصدر نفسه، ص ص(150-154).

[5] عبدالحفيظ (منصور)، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة)، ط01، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1969، ص321.

كما أن للأخضري منظومة "الدرة البهية" تتكون من 170 بيتا، وقد أشار إليها المستشرق لوسياني في ترجمته للسلم المرونق[1]، يقول في ختامها:

تم بحمد الله مـا قصدنـا من نظم هذه الذي أردنـا

سميتهـا بالدرة البهيـة فهي لما في أصلهـا محويـة

وكان في محـرم الحـرام بدءا وختمنا لذا النظـام

في عام إحدى وثمانين سنة[2] من بعد تسع مئة مستحسنة

4- في المدح والإرشاد:

اخترت في هذا العنصر أن أعالج قصائد ومنظومات الأخضري التي تعرضت لأغراض شعرية كالمدح والإرشاد محاولا التعريف بها، وقصائد المدح هي: قصيدتي اللامية والرائية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم إضافة إلى التائية، ثم اللامية في مدح خالد بن سينان العبسي، وفي الإرشاد سأعرف بقصيدتي "نصيحة الشباب" (تحفة الشبان) وقصيدة في تحريم الدخان.

4-1- في المدح:

نظم الأخضري قصيدة اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم من البحر المتدارك، تتكون من 242 بيتا، مطلعها:

الله المقتـدر الأزلي سبحانه جل عن المثل

سبحانه جل هو الصمد الفرد الجبـار الأزلي[3]

ثم يصلي على الرسول صلى الله عليه وسلم، وبعد ذلك يشرع في ذكر جوانب من سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وما خص به، منها: حادثة الإسراء والمعراج، الشفاعة يوم القيامة، حنيين الجدع، إطعام ألف بصاع...إلخ وقد سماها الأخضري بـ"الفضائل":

وفضائل أحمد لو كتبت في وقر الألف من الإبل

كل الكتاب وما وصلوا لفضـائله طول الدول

وفي ختام القصيدة يؤرخ لها فيقول:

هذي كلمات مشرقة مشكاة الناس ذي العمل

---

[1] D .Lociani, op.cit, P24.

[2] المهدي (بوعبدلي)، المرجع السابق، ص25.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، اللامية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، مخطوط بالزاوية العثمانية، طولقة –بسكرة، الجزائر، ص01.

نجزت بربيع الآخر من جمع حجج وقت المثـل[1]

نستنتج من خلال قراءتنا لهذه القصيدة، أن الأخضري سلك طريق النصح والإرشاد أكثر من تحدثه عن المديح النبوي من سيرة وأخلاق وفضائل ومعجزات، ومعظم أبيات هذه القصيدة دعا فيها الأخضري الإنسان المسلم للتوبة والكف عن المعاصي ومحاسبة النفس مستحضرا أحوال يوم القيامة من ثواب وعقاب، فتارة يتكلم عن الجنة ونعيمها من أجل الترغيب، وتارة أخرى يتحدث عن النار وأهوالها من أجل الترهيب.

نظم الأخضري إلى جانب اللامية، قصيدة التائية النبوية وهي قصيدة من البحر الطويل يمدح فيها الرسول صلى الله عليه وسلم، تتكون من ثلاثين بيتا مطلعها:

سرى طيف من أهوى فأرق مهجتي وما كدت أنجو من ضَنَائي وعبرتي

أيا لائمي في الحب إنك جاهـــل كأنك لا تدري بشـــأن المحبة[2]

ويقول في ختامها:

أيا خير خلقا لله يا سيد الورى و يا خير مبعوث لخير أمـــة

فإنك عند الله أعظم شـــافع وإنك عند الله خير ذخيـــرة

و يا قمرا بالله إن كنت طالعا على طيبة الزهراء دار المحبـــة

فسلم على بدر تجلى بأرضها وبلغ له حزني وشوقي ولوعتي[3]

سلك الأخضري في هذه القصيدة مسلك العاشقين، فهو ينوح من العشق كما ينوح الحَمَام، ونواح سيدنا يعقوب على فقدان ابنه يوسف مثل ما ذكر في القصيدة، وقد أبدع الأخضري في اقتناء الألفاظ والعبارات واستخدام الصور البيانية والمحسنات البديعية، فهو يقول في أحد الأبيات:

فأصبحت مثل العاشقين متيما وطار فؤادي نحو سور المدينة[4]

4-2 في النصح والإرشاد:

نظم الأخضري قصيدة " نصيحة الشاب" مكونة من 24 بيتا؛ ينصح فيها ويوجه نداءه للشباب المسلم باستغلال الوقت، واختيار الصحبة الصالحة، والعمل للآخرة، مطلعها:

---

[1] المصدر نفسه، ورقة 10.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، التائية النبوية، مخطوط دون تصنيف، خزانة الشيخ عبد المجيد حبة، المغير (ولاية الوادي)-الجزائر، ص01.

[3] المصدر نفسه، ص02.

[4] المصدر نفسه، ص01.

أوصيكم يا معشر الشبان عليكم بطاعة الرحمـــن

إياكم ان تهملوا أوقاتكم فتندموا يوما على ما فاتكم[1]

وفي ختامها يقول:

أما علمت أن الموت يأتي مسرعا وليس للإنسان إلا ما سعى

فيـــا سعادة امرئ قضـــاه بعمل يرضـــي بـه مولاه

فليس للإنسان من بعد الأجل إلا الذي قدمه من العمـل[2]

وقد ظهر الأخضري في هذه القصيدة بوجه المصلح الناصح لشباب عصره، وما يهمهم في هذه الفترة من حياة الإنسان مركزا على أهم القضايا وهي: الوقت، الصحبة، والعمل الصالح.

كما نظم الأخضري قصيدة في الدخان يقول في مطلعها:

باسم الإله باسمه المعظم والحمد لله الكريم المنعم

حمدا يفوق حمد كل حمد ثم صلاته على محمـــد[3]

وبعد ذلك يستغفر الله ويصلي ويسلم على النبي الهاشمي محمد، وسبب تأليف هذا الرجز هو سؤال وُجه له في نسبة تحريم الخمر والدخان؛ حيث يقول:

وقد سألني بعض الصالحيـــن ثبتني الله وإياهم على اليقين

ويقول على الدخان:

من مص الدخان من أجل المرض فلا شفـاه الله من ذا الغرض[4]

وما يلفت النظر في هذه القصيدة هو أن الأخضري وضع فصلا تكلم فيه عن من أتى بالدخان إلى بلاد المغرب وهم الأنجليز خلال القرن التاسع ثم العاشر الهجري، أما من عمّه ونشره في كافة المغرب فهو رجل من الخوارج اسمه "عبدالله تافلان" متلبسا صفة الطبيب والعارف بالله.

أول مـــن جلبـــه للإســـلام للبيـــض والسود والأنـــام

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، نصيحة الشباب، مخطوط ضمن مجموع رقم 59، خزانة عقباوي بن عبدالكريم، أقبلي دائرة أولف(ولاية أدرار)-الجزائر، ص395.

[2] المصدر نفسه، ص01.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، قصيدة في تحريم الخمر والدخان. نشرت في: فايزة الطيبي احمد، البحث الدلالي في العصر التركي من خلال السلم المرونق لعبد الرحمن الأخضري، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في الدراسات اللغوية والنحوية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف، موسم 2009/2008، ص 172.

[4] المصدر نفسه، ص175.

جنس من أصناف النصارى الإنجليز أعداؤنا في الدين في القول الأجيز

في القرن التـــاسع ثم العـــاشر لعــرب وعجـم وحـــــاضر

وقــد جلبــه معي الأبصـــــار وعَمَّـــهُ في ســائر الأمصـــار

رجــل من خوارج مذكـــــورة من طـــائفة لعيــنة مشهـــورة

أبـــوه عبد الله تـــــــافلان ملبســـاً للخلق بالبهتـــــان[1]

ساهم الأخضري مساهمة فعالة في الانتاج الأدبي في الجزائر العثمانية، في عصر تميز بما أطلق عليه البعض بـ "الجمود الفكري" وتراجع مستوى التأليف، فألف منظومات تعليمية في البلاغة والنحو، وقصائد في النصح والوعظ والإرشاد، لتكون مقصد شيوخ التعليم في منهجهم التعليمي والتربوي، واعتُمدت في العديد من الزوايا والمدارس القرآنية.

[1] المصدر نفسه، ص175.

ثانيا: مؤلفات الأخضري في العلوم العقلية

أطلق علماء المسلمين مصطلح "العلوم العقلية" على العلوم التي تعتمد على العقل والتفكير في التأليف، ومقابلها العلوم النقلية والتي يستخدم المؤلف آراء من سبقوه ويشير إليهم ولهذا سميت بالنقلية لأن صاحب التأليف ينقل عن من سبقه في الموضوع الذي يعالجه، وقد ترك الأخضري مؤلفات عديدة في العلوم العقلية، في الفلك وعلم الحساب والفرائض، والمنطق.

1- علم الفلك: للأخضري مؤلفان في علم الفلك وهما السراج في الهيئة، وأزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب.

1-1 السراج في الهيئة:

وهي منظومة في علم الفلك تتكون من 296 بيتا، نظمها سنة 939هـ/1534م «وقد تحدث فيها عن أمور عديدة، خاصة بالفصول وتعاقب الليل والنهار وبعض القواعد الفلكية، ويعد "السراج في الهيئة" من أهم الأعمال في علم الفلك لتوالي الشروح عليه»[1]؛ حيث افتتح الأخضري منظومته بالحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، لينتقل غلى تعريف علم الفلك وتبيين فضله ووجوب تعلمه فيقول:

وبعد فاعلم أن علـم الفلك علم عزيز من أجل مسلك

أعني الذي تدري به الأوقات والفجر والقبلة والساعات

وما بـه تطرق للغيـــب فذاك الحرام دون ريـــب[2]

فلأخضري يحدد مفهوم علم الفلك حسب مجالات البحث فيه، فهو إذن البحث في معرفة الأوقات سواء اليومية أو الشهور أو الفصول، وليس التكهن بما سيقع وسماه " التطرق للغيب"، ولم يكتف الأخضري بالترغيب بمعرفته –أي علم الفلك– بل جعله ضروريا وفرضا، فيقول:

واعلم أن الجهل بالأوقـات جهل بأمر الصوم والصلاة

فالعلم بالأوقات فرض يقبل لأنه به يتـم العمـــل[3]

وقد جعل الأخضري فصلا مفصلا عن معرفة ساعات النهار بالأقدام، وفصلا آخر لمعرفة السنة الكبسية، وفصلا لمعرفة بداية كل فصل من فصول السنة، وفصلا في معرفة سنين ذي القرنين، وفصل في الشهور الأعجمية، وفصل في معرفة ساعات الليل...

---

[1] ذهبية (بوشيبة)، «العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الحوار المتوسطي، ع3+4، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية، جامعة الجيلالي اليابس(ولاية سيدي بلعباس)-الجزائر، مارس 2012، ص132.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، السراج في الهيئة، مخطوط ضمن رقم 1451، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، ص 01.

[3] المصدر نفسه، ص01.

شرح منظومة "السراج في الهيئة" تلميذ الأخضري عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي، كما شرحها "سحنون بن عثمان الراشدي الونشريسي وسمى شرحه "مفيد المحتاج في شرح السراج" ويذكر أبو القاسم سعدالله أنه بدأه بـ «يقول العبد الذليل، المفتقر إلى مولاه الجليل سحنون بن عثمان بن سليمان بن أحمد بن أبي بكر الميدوي (أو اليديري)، لما رأيت تأليف الشيخ العالم التقي سيدي عبد الرحمن بن محمد الأخضري، المسمى بـ "السراج" في علم الفلك من أنفس الكلام وهو مفيد لمن احتاج إليه الأنام، وكان قليلا من تكلم عليه، جعلت هذا التقييد تكميلا لفوائده، ومبينا لبعض ما أنبهم عليه من ألفاظه، وأضفت عليه من ألفاظه وأضفت إليه زوائد من غيره، وسميته (مفيد المحتاج في شرح السراج)»[1]، وقد طبعت المنظومة مع شرحها في مطبعة شرف بمصر سنة 1315هـ/1899م، ثم أعيد طبعه بالجزائر سنة1328هـ/1911م[2] .

1-2 أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب:

منظومة علمية وتعليمية للشيخ عبدالرحمن الأخضري خصها بتعريف "الاسطرلاب" وهي آلة فلكية قديمة ترصد من خلالها مواقع الكواكب والنجوم والأجرام السماوية، ومعرفة الوقت وشتى القضايا الفلكية كما كانت تستعمل في تحديد ساعات الليل والنهار، وهي أنواع: مسطح وكروي وخطي، ونظرا لحاجة الناس لهذه الآلة في ذلك الزمان، وتعدد مزاياها، وباعتبارها علما قائما بذاته فقد جعل لها الأخضري منظومة حوت 256 بيتا[3] واختار لها بحر الرجز حتى يسهل على الطلبة والدارسين ترديدها وحفظها.

وجدت نسخة من المنظومة بالزاوية العثمانية وبدايتها:

القول في تسميـــة الآلات ورسم الاسطرلاب حيث يأتي

فلام ذات البطر والكرسي ما علا وفيه عروة قد رسمـــا[4]

وحذف من هذه النسخة 23 بيتا الأولى من المنظومة، والتي يقول في بدايتها:

الحمد لله الذي قد خلقا سبع سماوات طباقا طبقا

وزينها بزينة الكواكـــب بادية في الشرق والمغارب[5]

---

[1]أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص 32.

[2]عبد القادر (بوعزة)، المرجع السابق، ص 10.

[3]فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبدالرحمن الأخضري...، المرجع السابق، ص 146.

[4]عبدالرحمن (الأخضري)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة (ولاية بسكرة)-الجزائر، ص01.

[5]عبدالرحمن (الأخضري)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، مخطوط رقم 184، قسم المخطوطات، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية،ص01، محمّل بصيغة PDFمن موقع: www.PDFSharp.com.

وضع الأخضري هذه المنظومة من أجل التعريف بفن الاسطرلاب بشكل موجز ومفيد يستفيد منها المتعلمون والمتعلقون بهذه الآلة وسمى منظومته بـ"أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب":

فهذه رسالة مهذبـــة مفيــدة موجزة مقربـــة
باسطة لفن الاسطرلاب على بساط الحق والصواب
سميتها بأزهر المطـالب في هيئة الأفلاك والكواكب[1]

ويصف الأخضري آلة الإسطرلاب فيقول:

فلام ذات البطر والكرسي ما علا وفيه عروة قد رسمـــا
وظـــاهر اللام به مميـــز دوائر محيــطه بالمـــــركز
أولها دائـــرة للأشـــــــهر بنقصها من كل كامل وأبتر
حـــاوية لكل أيـــام السنة وهي التي بسطر مبيـــــنة
وبعدهـــا البروج الاثني عشرة[2] قسم البروج فوقها قد سطرا
فكـــل واحـــد مـــن الأبراج له ثلاثـــــون من الأدراج[3]

ويقول في ختامها:

وهاهنا انتهى بنا الكـــــلام في المقصد المحمـــــود والسـلام
قد انتهى بحمـد بارئ الملك جميع ما قصدت من علم الفلك
من أمهات علم الاسطرلاب وربنا الهـــادي إلى الصـــــواب
ستة(تاع) من سنين الهـجرة بعـــاشر القرون مبـــدئ الفتن[4].

---

[1] المصدر نفسه، ص02.

[2] البروج الاثني عشر هي: الحمل ، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو، الحوت. ينظر:
شهاب الدين أبو عبدالله ياقوت بن عبدالله (الحموي)، معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر، بيروت-لبنان، 1977، ص33-34.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، نسخة الزاوية العثمانية، المصدر السابق، ص01.

[4] المصدر نفسه، ص11.

2- في علم الحساب والفرائض: للأخضري مؤلفان في هذا المجال، الأول منظومة الدرة البيضاء في علم الفرائض، والثاني رسالة في علم الحساب.

2-1 منظومة الدرة البيضاء:

منظومة في علم الفرائض والحساب تحتوي على ما يقارب 500 بيت[1]، ألفها الأخضري وهو في سن شبابه عندما كان تلميذا على والده في منطقة تفلفل في مسكن الدار البيضاء، والدرة البيضاء ليست معادلة للدار البيضاء أو انعكاسا لما في نفسية الناظم، إنما الدرة البيضاء هي العقل الأول في المفهوم الصوفي، لقوله صلى الله عليه وسلم: «أوّل ما خلق الله الدرة البيضاء»، وقوله: «أول ما خلق الله العقل»[2].

قسم الأخضري منظومته إلى ثلاث أقسام: الحساب، التركات، القسمة، واستهلها بمقدمة جاء فيها بعد حمد الله والثناء على رسوله صلى الله عليه وسلم:

الحمد لله العـالم الوارث الدائم الفرد القديم الباعث

هذا وإن أحسن المقاصد وأحسن الفنون والفوائـــد

فن الفرائض الذي تعلقا بالإرث فلتكن به محققـــا[3]

يتحدث الأخضري في القسم الأول عن الحساب، وما يتعلق به من عمليات حسابية، فهو عبارة عن الخطوة الأولى نحو المعرفة بطريقة تقسيم الميراث؛ حيث يقول الأخضري في قسم الحساب:

فأول الفنون في الحساب مرتب الفصول والأبواب

أبوابه سبع باختصـــــار وهي على طريقة الغبـار

ويفصل بعد ذلك في عمليات الحساب الأربعة وهي: الجمع والضرب والطرح والقسمة، ومعرفتها تعد من البديهيات لمن أراد أن يحيط علما بالحساب وعلم الفرائض، وينهي الجزء الأول بهذا البيت:

وهنا انتهى بنا الكلام في أوجه الحساب والسلام[4]

---

[1] عبدالقادر (بوعزة)، المرجع السابق،ص10.

[2] عبد الرحمن (تبرمسين)، المرجع السابق، ص41.

[3] عمر المختار بن ناصر (الأخضري)، الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض، ط2، مطابع الرشيد، المدينة المنورة –المملكة العربية السعودية، 1990، ص07.

[4] عبد الرحمن (تبرمسين)، المرجع السابق، ص42.

خصص الأخضري القسم الثاني من المنظومة للحديث عن التركات، فالمعرفة بمبادئ الحساب لا تكفي لتقسيم التركات، بل لابد من معرفة من يرث ومن لا يرث، ونصيب كل فرد من الوارثين، ولهذا جعل القسم الثاني للحديث عن الوارثين، فبدأ بالوارثين من الرجال وهم عشرة (10):

الوارثون من الرجـــال عشرة من جهة الشرع أتت مقررة[1]

أب وجد لأب إن انفصـــل بذكر وابن ومن منه انسفل

زوج أخ وابن أخ إن لم يكن للأم مولى نعمة أيضا قمن

والعم لا للأم وابنه كـــــذا وغيره من ذكرتــه قد نبذا

والوارثون من النساء سبعة (07)، وأصحاب النصف خمسة (05)، وأصحاب الربع اثنان (02)، وأصحاب الثمن وأصحاب الثلثين أربعة (04)، وأصحاب الثلث ثلاثة (03)، وأصحاب السدس سبعة (07)، وخصص بابا للتعصب وآخر للحجب، وباب الخنثى وباب الولاء.[2]

وقول في ختام هذا القسم:

ههنا انتهى بنا المقـــــال في الفقه ثم بعده الأعمال[3].

جعل الأخضري القسم الثالث للحديث عن القسمة أو الفروض، وهو جانب تطبيقي عملي كما سماه، بداية هذا الجزء من:

إن الفروض ستة كما ذكر من قبل في باب السهام قد شهر

وجملة الأصول سبع كاملة عـــائلة فاعلم وغير عائلـــــه

ويتحدث في هذا القسم الثالث على العديد من المسائل الميراث منها: المبغض[4]، وأهل الردة، وميراث ذوي الأرحام.

يقول الأخضري في خاتمة الدرة البيضاء:

قد انتهى ما رمته مبينـــا والحمد لله الذي قد أحسنا

وقد فرغت من جمع النظم بأفضل الشهور شهر الصوم

[1] عمار المختار بن ناصر (الأخضري)، المرجع السابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص ص(13-72).

[3] المصدر نفسه، ص71.

[4] وهو الذي نصفه حر ونصفه الآخر مملوكا.

من سنة الأربعين مكملة من بعد تسع مائة محصلة

وإن عنى به عذول منتبه فلبني العشرين عذرا متجه[1]

وقد أُعتنى بشرح الذرة البيضاء، فشرحها الناظم نفسه ولم يكمله، وأكمله عبد اللطيف المسبح المرداسي كما ذكر الفكون[2]، ومن المتأخرين شرح عمار المختار بن ناصر الأخضري الذي سماه" الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض"، وقد شرح القسمين الثاني والثالث بشكل مبسط ومفيد، وإلى جانب علم الفرائض ألف الأخضري في علم الحساب.

2-2- رسالة الأخضري في علم الحساب:

منظومة في علم الحساب منشورة ضمن مجموع متون تحتوي على سبع وستين بيتا في مختلف المسائل المتعلقة بالحساب كالجمع و الضرب والطرح والقسمة والأعداد...وهي مقسمة إلى سبعة أبواب؛ فالباب الأول يتحدث عن حروف الغباري والثاني عن الجمع، أما الثالث فتكلم الأخضري فيه عن الطرح، والرابع عن الضرب، والباب الخامس خصصه للقسمة، أما الباب السادس فجعله للتسمية والسابع عن الاختبار[3].

فيقول الأخضري في هذه الرسالة عن حروف الغباري:

حروفه معلومة مشهورة من واحد لتسعة مذكورة

وجعلوا صفرا علامة الخلا وهو مدور كحلقة جلا[4]

ويقول عن الجمع:

الجمع ضم عدد لعدد لكي تعده بلفظ مفرد

فتجمع الآحاد للآحاد وهكذا الباقي على التمادي[5]

وعن الطرح يقول:

الطرح إسقاط قليل من كثير وهو على ستة أقسام يصير[6]

---

[1] عبدالرحمن (تبرمسين)، المرجع السابق، ص43.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص27.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، رسالة في علم الحساب، منشور في مجموع من أمهات المتون المستعملة من غالب خواص الفنون، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ، ص ص(325-331).

[4] المصدر نفسه، ص325.

[5] المصدر نفسه، ص326.

[6] المصدر نفسه، ص326.

أما الضرب فهو:

اعلم بأن الضرب تضعيف العدد بقدر ما في آخر من العدد[1]

ويقول عن الاختبار:

الاختبـــار آلة قد علمـــا يفيـــد في ما تقدمـــا[2]

وهذه المنظومة عبارة عن مفاهيم ومبادئ حسابية، اختصرها الأخضري وبسطها وفقا لمنهج تعليمي، فعرف بالأعداد أولا ثم شرع في التعريف بطريقة الجمع وكيفية الطرح والضرب والقسمة وانتهى بالاختبار.

3- علم المنطق:

يعد عبدالرحمن الأخضري من أبرز من ألف في المنطق خلال العهد العثماني، ولم تقتصر شهرته على تأليفه هو نظما وشرحا، ولكن ما جذب إليه من اهتمام العلماء الآخرين لشرح ودراسة عمله في المنطق[3]، والسلم المرونق عبارة عن رجز يتكون من 144 بيتا[4] في مطلعه:

الحمد لله الذي قد أخرجا نتائج الفكر لأرباب الحجا

وحظ عنهم من سماء العقل كل حجاب من سحاب الجهل

حتى بدت لهم شموس المعرفة رأوا مخدراتها منكشفة[5]

يحتوي السلم على المبادئ الأساسية في المنطق، بدأ المؤلف بتعريف هذا العلم فيقول:

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسنان

فيعصم الأفكار من غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا[6]

وفي شرح هذين البيتين يقول الأخضري: «المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن عن الخطأ في الفكر» ويضيف «المنطق علم يعرف به كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه»[7]، وبعد ذلك أشار إلى الكتاب والسنة وسلامة العقل، وقد رد على بعض الفقهاء الذين رفضوا المنطق بدعوى أنه

---

[1] المصدر نفسه، ص326.

[2] المصدر نفسه، ص 328.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص28.

[4] عبد القادر (بوعزة)، المرجع السابق، ص10.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، مخطوط ضمن المكتبة الشخصية، استلمته من صديقي الأستاذ ملاي محمد، بتاريخ: 2014/02/19، بقسنطينة، ص01.

[6] المصدر نفسه، ص01.

[7] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص03.

يحث على الإلحاد زاعمين أن كل من "تمنطق تزندق"، ثم تناول أنواع العلم الحادث، أنواع الدلالة الوضعية وهي علاقة المطابقة ودلالة الطعن ودلالة الالتزام ثم انتقل إلى فصل في التناقض مبينا معناه وشروطه، وتوسع في القياس نظرا لأهميته وقسمه غلى قسمين: الأول يشتمل على النتيجة أو على نقيضها بالقوة ويسمى اقترانا عمليا، والثاني يشتمل على النتيجة أو نقيضها بالشمل ويسمى استثنائيا وشرطيا[1].

ينهي الأخضري منظومته "السلم المرونق" بتأريخها ومعتذرا عن أي خطأ تحتويه نظرا لحداثة سنه فيقول:

ولبني احدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لاسيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون

وكان في أوائل المحرم تأليف هذا الرجز المنظم

من سنة إحدى وأربعين من بعد تسعة من المئين[2]

وقد اعتمد الأخضري في كتابه على المؤلفات المتداولة في الثقافة العربية منها: "ايساغوجي" لبروفيروس (شارح أرسطو)، وكتاب "النجاة" لابن سينا، و"المستصفى" للغزالي، و"التعريفات" للجرجاني ومختصر السنوسي في المنطق[3].

تعددت الشروحات على منظومة السلم المرونق للأخضري، فشرحها هو بنفسه بعد إلحاح من بعض طلبته فيذكر: «فلما وضعت الأرجوزة المسماة بالسلم المرونق في علم المنطق وجاءت بحمد الله كافية، ولمقاصد من فنها حاوية، راودني بعض الإخوان من الطلبة أكرمهم الله المرة بعد المرة على أن أضع عليها شرحا مفيدا»[4]، ومن أهم شروحات السلم المرونق شرح أحمد الدمنهوري الذي سماه "إيضاح المبهم من معان السلم" طبع بالمطبعة الميمنية بمصر سنة 1324هـ/1907م[5].

رغم تعدد الشروحات على منظومة السلم المرونق إلا أن أغلبها لا زال مخطوطا، ومما توصلنا إليه شرح محمد بن علي بن عمر الحفناوي والذي لا يزال مخطوطا، اطلعت عليه بالزاوية العثمانية بطولقة بدايته: «الحمد لله العالم بالكليات والجزئيات الهادي العقول إلى حل صعاب المعقول بطرق اكتساب التصور والتصديقات»[6]، وقد سبق للمؤلف وأن شرح السلم المرونق شرحا مطولا ثم أعاد شرحه متبعا منهج الاختصار والاقتصار: «أما بعد فإنني كنت قد شرحت كتاب السلم شرحا بديع الإتقان مشتملا على فوائد التحقيقات ونكات

[1] الشيخ (أبو عمران) وآخرون، المرجع السابق، ص 23.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص11.

[3] الشيخ (أبو عمران) وآخرون، المرجع السابق، ص 23-24.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص01.

[5] عبد القادر (بوعزة)، المرجع السابق، ص10.

[6] محمد بن علي بن عمر (الحفناوي)، شرح السلم المرونق، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة(ولاية بسكرة)-الجزائر، ص01.

التدقيقات وبدائع العرفان... ثم رأيت الهمم الآن قد قصرت والعقول في هذا الزمان قد تبلدت وتكدرت فصرفت الهمة ثانيا نحو الاختصار والاقتصار على التخفيفات»[1].

وفي آخر شرحه يقول الحفناوي: «وكان الفراغ من نسخه يوم الثلاثاء قبل الزوال في شهر جمادى الثاني سنة 1290هـ/1874م وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما»[2].

وضع سعيد قدورة حاشيته على شرح السلم المرونق بدايته: «الحمد لله الذي علم الإنسان من الحقائق والتصورات ما لم يكن يعلم وأطلعه على دقائق التصريفات الموصلة إلى طريق الرشاد فهدى وألهم»[3]، ويهدف سعيد قدورة من وراء حاشيته توضيح ما أغفل عنه الأخضري في شرحه فيقول: «وبعد استغفرت الله تعالى في وضع تقييد على الأرجوزة الموسومة بالسلم المرونق في علم المنطق بحيث يكون مضافا للشرح المصنف كالتذليل لما أغفل الناظم في شرحه مظهرا مقاصده ومستخرجا بحول الله بعض فوائده»[4].

ويعلق أبو القاسم سعد الله على شرح سعيد قدورة فيقول : «وسار قدورة في شرحه المنهج الذي سلكه في شروحه الأخرى الفقهية وغيرها من تفسير ألفاظ المتن والاستشهاد لذلك بالقرآن والحديث والأشعار، ثم تفسير الألفاظ بلاغيا ونحويا، وأخيرا تفسير المعاني المقصودة من وضع التأليف كله، وهو ينقل في ذلك عن سابقيه أمثال السنوسي والمغيلي وسعيد العقباني»[5].

خلاصة الفصل الثالث:

شرع الأخضري في التأليف منذ صغر سنه، فألف في الفلك وعمره تسعة عشر سنة، وألف أغلب مؤلفاته في الفترة (939هـ/1535م-953هـ/1548م)؛ أي في فترة زمنية لا تتعدى أربعة عشر سنة، وقد تجاوزت مؤلفاته الثلاثين، ورغم ذلك فقد ضاع بعضها ولا يزال أغلبها مخطوطا في المكتبات الخاصة والعامة فهي لم تحقق، فضلا عن دراستها.

تميز الانتاج الفكري والأدبي لعبدالرحمن الأخضري بالتنوع؛ فألف في البلاغة والنحو، والتصوف والعقيدة والفقه و ترك قصائد في المدح والنصح والارشاد، كما ألف في المنطق والحساب وعلم الفرائض والفلك، وهو ما يدل على موسوعيته من جهة، ومن جهة أخرى محاولة منه لربط العلوم ببعضها البعض من أجل خدمة الشريعة والدين الاسلامي.

---

[1] المصدر نفسه، ص01.

[2] انظر الملحق رقم 03.

[3] سعيد (قدورة)، حاشية على شرح السلم المرونق لعبدالرحمن الأخضري، مخطوط رقم 717، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر، ص01.

[4] المصدر نفسه، ص01.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص29.

لقيت مؤلفات الأخضري اهتماما واسعا؛ فوضعت لها شروحات وحواشي عديدة، خاصة منظومة السلم المرونق في علم المنطق والتي اشتهر بها، كما أصبحت تلك المؤلفات ضمن أولويات قائمة كتب التدريس في مدارس وزوايا التعليم، ولا أدل على ذلك من وجودها كمخطوطات في مكتبات مصرية وتونسية ومغربية وجزائرية في مختلف مناطق الوطن، فيوجد العديد منها بخزائن المخطوطات بإقليم توات.

اتسم طابع التأليف عند الأخضري بالنظم؛ فأغلب مؤلفاته عبارة عن منظومات شعرية تعليمية، تسهل على طالب العلم الحفظ، وعلى المتعلم بسرعة الاسترجاع والتذكر، كما اتسمت كذلك بالاختصار وسنتحدث عن هذا المنهج ضمن مظاهر التجديد في الفصل القادم إلى جانب أفكاره الإصلاحية في الجانبيين الاجتماعي والثقافي.

الفصل الرابع

التجديد والإصلاح عند عبد الرحمن الأخضري

أولا: التجديد عند عبد الرحمن الأخضري

1-مفهوم التجديد.

2-مظاهر التجديد.

3-البعد البيداغوجي في منهج التأليف عند الأخضري.

4-موقف الأخضري من تدريس العلوم العقلية.

5-توظيف المنطق في التأليف عند الأخضري

ثانيا: الإصلاح عند عبد الرحمن الأخضري

1-تحديد مفهوم الإصلاح والحركة الاصلاحية.

2-الإصلاح الاجتماعي.

2-1 نقد الأخضري لمجتمع عصره.

2-2 التربية الروحية والنفسية أساس الإصلاح الاجتماعي.

2-3 الشاب الجزائري في منظور الأخضري.

3- الإصلاح الثقافي.

3-1 نقد الأخضري لعلماء عصره.

3-2 محاربة الفكر البدعي (السلبي)

مقدمة الفصل الرابع:

تحدثنا في الفصل الثالث عن آثار عبدالرحمن الأخضري مما توصلنا إليه من مخطوطات ومطبوعات، ومن خلال القراءة السطحية والمعمقة لها نلاحظ أن الأخضري تميز بالموسوعية في التأليف فألف في مختلف العلوم العقلية والنقلية ودعا إلى تدريسها بما يخدم الدين الإسلامي، كما تميز بمهج خاص في التأليف فاعتمد على المنظومات التعليمية والاختصار ، وأغلب قصائده جاءت في شكل نصائح وتوجهات من أجل تحقيق أهداف تربوية، ولمعالجة هذه المواضيع خصصت هذا الفصل للحديث عن التجديد والاصلاح عند عبدالرحمن الأخضري خاصة وأنه عاش في عصر تميز بالتراجع الفكري. فما مظاهر التجديد عند الأخضري؟ وكيف تميز فكره الاصلاحي في المجالين الاجتماعي والثقافي؟

أولا: التجديد عند عبدالرحمن الأخضري

1-مفهوم التجديد

التجديد من حيث اللغة مأخوذ من الفعل "جدد"؛ حيث يقال: «تجدد الشيء أو صار جديدا، وجدده أي صيّره جديدا، وكذلك أجده واستجده، والجديد نقيض الخلق، والجدة مصدر الجديد، وهي نقيض البلي، ويقال "بلي بيت فلان، ثم أجده بيتا من الشعر"، ويقال لمن لبس ثوبا جديدا: "أبل وأجد وأحمد الكاسي"، والأصل في هذا المعنى القطع، يقال جددت الشيء فهو مجدود وجديد أي مقطوع، أما ما لا يقبل القطع فقد استعمل التجديد بمعنى الإعادة مثل تجديد الوضوء؛ أي إعادته وتجديد العهد أي تكراره تأكيدا والجدّ هو الاجتهاد في الأمور»[1]، ولقد ورد مصطلح "جديد" الذي يفيد معنى البعث والإحياء والإعادة في عدة أماكن من القرآن الكريم مثل قوله تعالى: {وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقاً جَدِيداً}[2]، فهذه الآية دالة على التجديد صراحة ويقصد منها تجديد الخلق؛ أي بعثه وإحياؤه وإعادته.

والتجديد من الناحية الاصطلاحية فهو كما يعرفه "فاروق النبهان": « وكلمة التجديد تعني تكوين ظروف الاستمرارية، وتجديد الفكر يعني استمرارية الإيمان بصلاحيته لكي يكون أداة لتوجيه الإنسان وهدايته». إذا فالتجديد يمثل عاملا من عوامل التلاقي والتواصل بين الإنسان والفكر باعتبار الإنسان في تفكيره إحياء للماضي وربط بين الماضي والحاضر، فالفكر يمثل تلك النواة التي تجعل الإنسان في موقع تجديد وذلك في حالة ربط القديم بالجديد أو الأحداث بعضها ببعض حتى يتبين معانيها ومفاهيمها[3].

---

[1] جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، لسان العرب، المجلد الأول، تح: عبدالله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1981، مادة جدد.

[2] سورة الإسراء، الآية 49.

[3] رابح (مراجي)، «التجديد في الفكر الإسلامي»، مجلة الثقافة الإسلامية، ع07، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010، ص10.

ينفرد المجدد بعدة خصائص منها: الذهن الصافي، والبصر النقاد، والفكر المستقيم بلا عوج، والقدرة النادرة على تبيين سبيل القصد بين الإفراط والتفريط، ومراعاة الاعتدال بينهما، والقدرة على التفكير المجرد من تأثير الأوضاع الراهنة والعصبيات القديمة الراسخة على طول القرون، والشجاعة والجرأة على مزاحمة سير الزمان المنحرف[1].

إذاَ، فالتجديد في معناه العام هو: «مرونة العقل لإحلال الأوضاع الجديدة محل الأوضاع القديمة، أو هو تعديل القديم ليتفق مع الجديد»[2] وفي حدود معناه الشرعي هو «إحياء السنة وإماتة البدعة، وقالوا في تعريفهم للمجدد، هو الذي يذب عن السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب، ويعلم الناس أمر دينهم، فيحيي ما اندرس؛ فالتجديد عندئذ هو الرجوع إلى المعين الأول للاستقاء منه»[3]. ومن خلال هذا التعريف فإن عمل المجدد لا يختلف عن عمل المصلح.

الفرق بين المجدد والمصلح هو أن المجدد قد يقتصر في تجديده على جانب معين من حياة أو فكر الناس، أما المصلح فيشمل إصلاحه كافة جوانب الحياة، مبرزا نقطة التأثير، ومنطلقا منها في عملية إصلاحه، والتجديد غالبا ما يتعلق بالجانب النظري كنوعية التفكير، والكتابة والمنهج، أما الإصلاح فغالبا ما يتعلق بالجانب العملي كنظام الحكم، الاقتصاد، المجتمع، الثقافة.

2- مظاهر التجديد:

2-1 في اللغة والأدب: سأعالج في هذا العنصر أهم الاجتهادات اللغوية والأدبية للشيخ عبد الرحمن الأخضري من خلال منظومته "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" وشرحه الذي وضعه على المنظومة، مبينا آراء الدراسات الأكاديمية التي عالجت الموروث الأدبي لعبدالرحمن الأخضري.

حظي علم البديع –على غرار علمي المعاني والبيان- بالدراسة والتحليل على يد عبدالرحمن الأخضري، ومن المسائل البديعية التي أضافها في هذا العلم جناس الإشارة، وهذا النوع لم يذكره السكاكي ولا القزويني، وقد عرفه العلوي بقوله: «هو ألا يذكر أحد المتجانسين في الكلام ولكن يشار إليه بما يدل عليه» إضافة إلى توضيحه للفروق الموجودة بين الإيماء والتلويح والرمز، فالتلويح ما كثرت وسائطه، والرمز ما قلت وسائطه مع خفاء في اللزوم، والإشارة والإيماء ما قلت وسائطه دون خفاء[4].

---

[1] أبو الأعلى (المودودي)، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الشهاب، باتنة –الجزائر، (د.ت)، ص52.

[2] عبدالرحمن (الجيلالي)، «التجديد والمجددون في الإسلام»، مجلة الأصالة، ع78، منشورات وزارة الشؤون الدينية والوقاف، الجزائر، فيفري 1980، ص269.

[3] المرجع نفسه، ص269.

[4] محمد حاج (هني)، المرجع السابق، ص126.

ومن مظاهر التجديد اللغوي عند الأخضري "المزج بين قضايا النقد والبلاغة، مثل قضية السرقات الشعرية[1]، كما أنه لم يكتف في شرحه لمنظومته البلاغية بتبسيط المسائل البلاغية فحسب، بل ضمن شرحه عدة آراء متباينة في شتى مباحث البلاغة العربية، ففي علم المعاني نجده يعرض آراء سابقيه من أمثال السكاكي، القزويني، والتفتازاني بخصوص مسائل هذا العلم مع نقده لتلك الآراء، كما كان يبدي رأيه الخاص كلما دعت الضرورة لذلك[2]، ومن أمثلة ذلك إضافته لغرض آخر للإبدال والمسند إليه في منظومته:

وأبدلوا تقريرا أو تحصيلا ويطفو بنسق تفصيلا[3]

فقد جعل الأخضري غرضا آخر للمسند إليه وهو تحصيل الحقيقة، حيث يقول في شرح هذا الشطر الأول من البيت: «ويبدل من المسند إليه أيضا تحصيل الحقيقة وفي ذلك في بدل البعض والاشتمال إذ لولاه لم يعلم المسند إليه على الحقيقة بخلاف المطابق فإنه ليس فيه إلا التقرير»[4] وهذا خلاف لما يراه السكاكي في هذه المسألة والتي تقع –حسبه– في حالة واحدة وهي «إذا كان المراد به تكرير الحكم، وذكر المسند إليه بعد توطئة ذكره لزيادة التقرير والإيضاح»، أما القزويني فيجعل الإبدال من المسند إليه لزيادة التقرير فقط[5]، وهو ما يعني أن الأخضري كان محققا وناقدا في الكثير من المسائل ومُبدياً رأيه في البعض منها.

إن القراءة المتأنية لإنتاج الأخضري الشعري توضح لنا ظاهرة من الظواهر الشعرية التي لازمت منظوماته خاصة منظومة الجوهر المكنون، وهي ظاهرة التناص الديني من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، ومن المتعارف عليه عند الأدباء والنقاد أن للتناص فوائد جليلة، أساسها زيادة طاقات التواصل مع المتلقين لما يمثله القرآن الكريم من مكانة عالية وسامية في نفوس الناس، وهو ما استفاد منه الأخضري وضمن القرآن الكريم في أشعاره فرصة للتأمل في نهج الكتاب العظيم، كما أن استخدامه ينبئ على مهارة الأخضري وامتلاكه الأسس الضرورية لنجاح منظوماته التعليمية فالهدف المناط بالتناص والتضمين والاقتباس هو ربط الماضي بالحاضر في تطلع إلى المستقبل في انسجام تام[6].

فمظهر الجدة عند الأخضري لا يكمن في الاقتباس أو التضمين أو التناص فقط وإنما كذلك في كيفية الربط بين الموضوع والاقتباس والهدف؛ بحيث أبدع الأخضري وبرهن على إمكاناته في طريقة الاقتباس وطريقة توظيفه، كما أكثر من التناص الديني للربط والتكامل بين العلوم فيتأمل في القرآن الكريم من خلال دراسة النحو والبلاغة، وتعلم النحو والبلاغة من القرآن الكريم كمصدر أساسي.

---

[1] كمال (عجالي)، المرجع السابق، ص102.

[2] محمد حاج (هني)، المرجع السابق، ص126.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص213.

[4] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص42.

[5] محمد حاج (هني)، المرجع السابق، ص126.

[6] محمد (عبدالهادي)، المرجع السابق، ص(107-108).

2-2 في المنطق:

ارتبط اسم الأخضري بمنظومته "السلم المرونق" التي انتشرت في مختلف المدارس المشرقية والمغربية، بل وفرضت نفسها بين أمهات المؤلفات المنطقية، فما هو السر في ذلك؟ إن الإجابة عن هذا السؤال يبين لنا ما قدّمه الأخضري لعلم المنطق، فقد لخص مبادئه بشكل مجمل ومبسط ومفيد، وبطريقة عرض تجعل القارئ يستوعب ما كتبه الأخضري، والميزة التي يتميز بها هذا العلم هو التعقيد مما جعل النفور منه أكثر من الإقبال عليه، ومع تبسيط الأخضري لمبادئه وقضاياه ومفاهيمه في منظومته جعل العلماء والطلبة يقبلون عليها بالتدريس والشرح وحتى الحواشي.

لم يقتصر مجهود الأخضري على الاختصار، النظم والتبسيط بل تعداه إلى الأخذ ببعض الآراء وترجيحها ونفي بعض الآراء الأخرى، وإبداء رأيه في بعض المسائل، فأول خصوصية تميز بها الأخضري في المنطق هو تعريفه له: «المنطق علم يتعلم به كيفية الانتقال من أمور الحاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه»[1]، وبالتالي فهو يرى أنه علم وبذلك يخالف كل من السنوسي والرازي والكاتبي الذين يرون أن المنطق آلة، كما يخالف الغزالي الذي يراه فنا[2].

يختلف الأخضري مع الغزالي في ترتيب مبحث الألفاظ، حيث أن الغزالي يبدأ بنسبة الألفاظ إلى معانيها ثم الكليات الخمس، عكس الأخضري الذي يبدأ بمبادئ التصورات والكليات الخمس ثم يتبعها بنسبة الكلي بمعناه، فالأخضري يبين معنى هذه الكليات، ثم يتحدث عن نسبتها إلى معانيها، أما الغزالي فإنه يقسم دلالة الألفاظ ونسبتها إلى معانيها تقسيما آخر وفقا لترتيب خاص[3] وهو ما يدل على أن الأخضري اتبع منهج انقد والتحقيق في التعامل مع مصادر علم المنطق.

يدل الاختلاف بين الأخضري والغزالي على ان له رأي خاص به في قضايا المنطق، ولم يكن ناقلا وملخصا للمصادر التي سبقته في معالجة المنطق، فهو يأخذ رأيا ويرفض آخر مبررا ذلك مثل ما فعل مع أشكال القياس التي يعتبرها أربعة مبررا ذلك بقوله: «زعم بعضهم أن الأشكال ثلاثة، وأن الرابع هو الأول منها بعينه، قدمت فيه الكبرى لموافقته في الصورة، وليس كذلك؛ إذ الأشكال تتغير باعتبار موضوع النتيجة ومحمولها، ولا تتغير ذلك إلا بتغير النتيجة، ولو كان هو الأول لا تحدث نتائجها ونتائج هذا عكس الأول لأن المطلوب في قولنا كل (ج ب) وكل (أج) بعض (أب) ولو جعلناه من الأول لنتج كل (أب)»[4]، وهو بذلك يخالف كل من ابن سينا والغزالي.

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص03.

[2] سعيد (اعليوان)، عبدالرحمن الأخضري وكتابه السلم المرونق في المنطق دراسة وتحقيق، رسالة في الدراسات المعمقة، اشراف: عمار طالبي، قسم الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1981، ص15.

[3] المرجع نفسه، ص16.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص12.

فأشكال القياس عند الغزالي وابن سينا هي:

الشكل الأول: أن يكون الحد الأوسط محمولا في إحدى المقدمتين.

الشكل الثاني: أن يكون الحد الأوسط محمولا في المقدمتين جميعا

الشكل الثالث: أن يكون الحد الأوسط موضوعا في المقدمتين جميعا[1].

أما أشكال القياس عند الأخضري وهي:

الشكل الأول: أن يكون الحد الأوسط موضوعا في الكبرى محمولا في الصغرى مثل: "الإنسان حيوان والحيوان حادث"[2].

الشكل الثاني: أن يكون الحد الأوسط موضوعا في المقدمتين، مثل: "كالإنسان حيوان، الإنسان حادث"[3].

الشكل الثالث: أن يكون الحد الوسط محمولا في المقدمتين، مثل: "كالإنسان حيوان، الفرس حيوان"[4].

الشكل الرابع: أن يكون الحد الأوسط موضوعا في الصغرى محمولا في الكبرى، وهو عكس الأولى مثل: "الإنسان حيوان، الكاتب إنسان"[5]، وهو أضعف أشكال القياس وقد أخذ به الأخضري وجعله عكس الأول مخالفا بذلك ابن سينا والغزالي.

3- البعد البيداغوجي في منهج التأليف عند الأخضري:

3-1 الاعتماد على المنظومات التعليمية:

اتجه العلماء إلى تأليف المنظومات التعليمية حتى أدركوا ما في طبائع الإنسان من ميل غريزي إلى استيعاب المنظوم واستظهاره على نحو يفوق استيعابهم المنثور واستظهارهم إياه، ومن ثم مثل نظم العلوم انعكاسا واضحا لرغبة العلماء في حفظ العلوم وتسهيل انتشارها وهذا ما نلمسه في مؤلفات الأخضري[6] التي جاءت معظمها عبارة عن منظومات تعليمية.

تسهل المنظومات التعليمية على المتعلم الحفظ واستيعاب العلوم لكنها تصعب على ناظميها في تلخيص وتبسيط المعارف في شكل نظم دون الإخلال بقواعد الشعر من جهة أو المادة المعرفية من جهة أخرى «وهو ما يتطلب من الناظم مهارة عقلية، وشحذ للذهن، واستكشاف لدقائق المعاني ونظمها في أبيات شعرية»[7] وهو ما توفر في مؤلفات الأخضري.

---

[1] سعيد (اعليوان) ، المرجع السابق، ص24.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص11.

[3] المصدر نفسه، ص11.

[4] المصدر نفسه، ص11.

[5] المصدر نفسه، ص11.

[6] محمد حاج (هني)، المرجع السابق، ص127.

[7] خالد (الحلبوني)، «الشعر التعليمي البداية والتطور»، مجلة جامعة دمشق، ع43، جامعة دمشق، 2006، ص97.

تميز الشعر التعليمي عند الأخضري بعدة خصائص وسمات منها التزامه بالأسلوب العلمي الذي يهدف إلى تبليغ المعارف العلمية بعيدا عن الخيال والعواطف، وهو ما نلمسه في مؤلفه " السلم المرونق" في علم المنطق، و"الدرة البيضاء" في علم الفرائض و"السراج في الهيئة" في علم الفلك... ومن أمثلة ما ذكره الأخضري في الحديث عن التناقض:

تناقض خلف القضيتيــن في كيف وصدق واحد أمر قضي

فإن تكن شخصية أو مهملة فنقيضها في الكيف أن تبدلـه

فإن تكن موجبـــــة كلية نقيضها سالبـــــــة جزئية

وإن تكن سالبة كليـــــة نقيضها موجبـــــــة جزئية[1]

يتحدث الأخضري في هذه الأبيات عن التناقض بأسلوب علمي مباشر دون تكلف أو استعمال للخيال، والتناقض اختلاف قضيتين بالإيجاب والسلب، بحيث تكون إحداهما صادقة والأخرى كاذبة، ومثال آخر عندما يعرف علم البيان:

فن البيان علم ما بـه عرف تأدية المعنى بطرق تختلف

وضوحها واحصره في الثلاثة تشبيه أو مجاز أو كناية[2]

اخترت هذين المثالين اختيارا اعتباطيا لأبين الأسلوب العلمي المباشر الذي التزم به الأخضري في منظوماته، ونادرا ما نجده يستخدم الصور البيانية ماعدا التشبيه الذي يريد به توضيح المعنى لا تفخيم المبنى ومثال ذلك:

وبعد فالمنطق للجنان نسبته كالنحو للسان[3]

فالأخضري في هذه البيت يبين دور المنطق فلا يمكن أن تستقيم الأفكار إلا به، كما لا يمكن أن يستقيم لسان المرء إن لم يكن متضلعا في النحو.

إن القراءة المتأنية لمنظومات الأخضري، نستنتج أنه التزم بما يتصف به ناظم الشعر التعليمي من «وضوح المادة التعليمية ليفهمها المتعلمون، ومخاطبة العقل دون العاطفة وضرب الأمثال للتوكيد والاقتباس من القرآن الكريم للتدليل على صحة المعلومات، واستخدام اللغة السلسة السهلة لأداء المعنى المباشر، واستعمال ألوان البديع كالجناس والتصريع من أجل تسهيل الحفظ»[4]، كما أن الأخضري قد اعتمد على النظم أكثر من

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص05.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، الجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون، المصدر السابق، ص216.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص01.

[4] حياة (دوار)، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب الجزائري، إشراف: بوخاتمي فاطمة الزهراء، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس-الجزائر، 2013/2012، ص11-12.

النشر في التأليف وتبليغ المعارف العلمية للمتلقين، فباستثناء "مختصر في فقه العبادات" و"شرح صغرى السنوسي" فإن مؤلفاته التي تجاوزت الثلاثين كلها اتخذ شكل منظومات تعليمية، وهذا المنهج التعليمي فرض نفسه في مدارس وزوايا التعليم لسنين عديدة، بل ولازال معتمدا في مؤسسات التعليم القرآني إلى اليوم.

2-3 الاعتماد على: التعميم، الاختصار، التبسيط

ألف الأخضري في مختلف العلوم العقلية والنقلية، وكان يهدف من وراء تأليفه تلقين العلوم للمتلقين بمنهج تعليمي يجمع بين التعميم والاختصار[1] والتبسيط، وقد أشار في بعض مؤلفاته أنها موجهة إلى المتعلمين أو كما سماهم "المبتدئين" وهي مرحلة من التعليم، فيذكر في السلم المرونق.

وأن يكون نافعا للمبتدي به إلى المطولات يهتدي[2]

فالاختصار عند الأخضري يهدف إلى تسهيل وتبسيط الفهم والإدراك أثناء قراءة المطولات؛ حيث يقول في شرح هذا البيت: «ولما كان هذا الكتاب سببا إلى المطولات وسلما يرقى به من هذا الفن درجات، وباب يدخل به من هذا الفن على المخذرات قلت في آخر البيت (به إلى المطولات يهتدي)، ولا شك أن من حفظه وفهمه يكون له سببا في الدخول في هذا الفن-أي علم المنطق- ويضمن له جل مهماته ويعينه على فهم مطولاته»[3].

إذا رجعنا إلى مرحلة تعلُّم الأخضري، فقد كان يحبذ الاختصار وينبذ قراءة المطولات، ففي حديثه عن تأليف الدرة البيضاء يقول: «وكان السبب الذي منعني من قراءة نظم أبي إسحاق ما فيه من الحشو والتطويل بلا فائدة مع ثقل كثير أبياته فجزاه الله خيرا وأمثاله»[4]؛ فالأخضري ينتقد منهج المطولات ويستثقله على المتعلمين ومن ثم فهو يرى أن منهج الاختصار هو المنهج السليم للمتعلمين قبل طَرق باب المطولات، وقد أثر هذا التفكير على تأليفه سواء نظما أو شرحا؛ ففي شروحاته ركز على المعنى ولم يتوسع في شرح الألفاظ وإعرابها إلا ما دعت الضرورة لذلك.

---

[1] الاختصار كمنهج تأليف عارضه علماء وأيده آخرون؛ فمن بين المعارضين ابن عربي وأبو يزيد اليزناسني ومحمد بن أحمد المقري وأبو العباس القباب وتلميذه أبو اسحاق الشاطبي، ومن المؤيدين نذكر ابن عساكر وابن الحاجب والشيخ خليل وابن عرفة والدسوقي، وقد رأى من عارض الاختصار أنه يزيد في التعقيد بدل التبسيط إذا كان المؤلف المختصر لا يفهمه إلا المتبحرون في العلم، ويعلق الأستاذ عبدالكريم قبول على ذلك: و"أرى خلاف ذلك؛ إذ أعد الاختصار نوعا من أنواع التجديد الخارج عن النمط المعهود، فهو ابتكار يحمد فاعله إذ فعله في وقت لم يكن ينتظر غيره، خصوصا إذا علمنا أن لهذا المنهج مقاصد جليلة وفوائد جمة". ينظر:

عبدالكريم أبو سليمان (قبول)، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 2006، ص55.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص01.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص04.

[4] أحمد بن داود (الأخضري)، المصدر السابق، ص136.

جمع الأخضري بين الاختصار والبساطة، حيث يقول عبدالرحمن الجيلالي: «ومما يميز أسلوب الأخضري في التأليف سهولة عباراته وحسن سبكه، ورشاقة أسلوبه في بسطه لمسائل العلوم، الأمر الذي جعل الناس من مشارق الأرض ومغاربها يقبلون على مؤلفاته يدرسونها ويشرحونها في كل مدرسة أو معهد من معاهد العلم»[1]، ويضيف سعد الله مشيرا إلى نجاح الأخضري في اختصار قواعد المنطق فيقول: «ومن الواضح أن الأخضري يجيد علم المنطق فقد نجح في اختصار قواعده وتوضيحها في متنه المعروف بـ"السلم المرونق" وفي شرحه الوافي والسهل عليه، وهو الذي أصبح عمدة الأستاذ والتلميذ على حد سواء وهكذا نجد أنفسنا أمام عمل خالد فرض نفسه على الدراسات المنطقية حوالي أربعة قرون»[2]، وعن منظومة الجوهر المكنون يحدثنا كمال عجالي: «وعن قراءة متأنية لنظم الأخضري نستنتج: أن الرجل كان متمكنا فعلا متضلعا في البلاغة، حاول أن يجمع في هذا النظم أبرز وأشهر ضروب علوم البلاغة مع الدقة المتناهية والاختصار المفيد»[3].

إذن فالاختصار عند الأخضري أحد المناهج التعليمية المعتمد لديه في تبسيط وتوضيح العلوم؛ حيث يذكر محمد حاج هني: «وتتجلى الغاية التعليمية لدى الأخضري من خلال الاستطراد في تحليل المسائل العويصة وتبسيط المباحث المعقدة، مع الاستعانة بكثرة الشواهد والأمثلة المستنبطة من الواقع التعليمي، إضافة إلى مزجه بين الجانبين النظري والتطبيقي من خلال توظيفه لشواهد وأمثلة تتعلق بالسياق العام للحياة، تماشيا مع مطابقة الكلام لمقتضى الحال»[4].

وبالتالي فالأخضري استطاع أن يوفق بين التعميم، الاختصار والبساطة، وهو ما يحتاج إليه الطالب المتعلم المبتدئ من قواعد عامة مختصرة وبشكل مبسط توضح المسائل وتزل الإبهام وتؤهل القارئ للتعمق في القضايا وقراءة المطولات وفهمها.

3-3 براعة الاستهلال وحسن الختام: تعتبر حسن بداية الكلام ونهايته عند الأخضري، من الضروريات التي يجب أن يتميز بها أي شاعر أو خطيب أو كاتب، فحسن البداية تجعل المستمع يتشوق لما ستقوله بعد ذلك، والقارئ لما هو مكتوب بعد البداية؛ حيث يقول الأخضري في منظومه "الجوهر المكنون":

وينبغي لصاحب الكـــــلام تأنق في البـدء والختـــــــــام
بمطلع سهل وحسن القـــال وسبـك أو براعـة استهـــــلال
والحسن في تخلص أو اقتضاب وفي الذي يدعونه فصل الخطاب[5]

[1] عبدالرحمن (الجيلالي)، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص80.
[2] أبو القاسم (سعد الله)، «لمحات عن حياة الشيخ عبدالرحمن الأخضري»، المرجع السابق، ص28.
[3] كمال (عجالي)، المرجع السابق، ص102.
[4] محمد حاج (هني)، المرجع السابق، ص 129.
[5] عبدالرحمن (الأخضري)، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص221.

إن من يطلع على هذه الأبيات سيكتشف أن الأخضري له دراية بمنهجية الإلقاء والتلقين، فقد وقف على ثلاث نقاط حساسة هي: البداية، النهاية وكيفية معالجة القضايا المختلف فيها وطريقة إبداء الرأي والفصل فيها.

يذكر الأخضري في شرحه لهذه الأبيات ما نصه: «ينبغي لكل متكلم من شاعر أو خطيب أو كاتب أن يتأنق في مبدأ كلامه وفي منتهاه ما استطاع» ثم يعرض أسباب ذلك فيرى أن حسن الابتداء «موجب لإقبال نفس السامع وجاذب لها، حتى تتعشق بسببه إلى ما بعده فتتطلع على المقصود»، وأما حسن الختام «فيكون للنفس عند آخر عهد به التذاذ يزيل ما سبق لها من الإملال» ويشبه الأخضري ذلك بـ «منزلة المبالغة في إكرام الضيف حين قدومه وحين توديعه، ففي الأول استلافه، وفي الثاني إبقاء ثنائه وحبه»[1].

وخلاصة القول فإن البعد البيداغوجي بدا واضحا في منهج التأليف عند الأخضري، فمؤلفاته معظمها منظومات تعليمية راعى فيها التعميم الاختصار والبساطة مع حسن الابتداء والانتهاء، والأخذ بالأقوال الراجحة في كثير من قضايا الاختلاف، وهذا المنهج خالف به كثير من مناهج عصره.

4- موقف الأخضري من تدريس العلوم العقلية:

أثر سقوط بغداد وبعدها الأندلس على المشهد الثقافي للعالم الإسلامي؛ حيث يعتبران من أهم الحواضر الثقافية التي زودت العالم الإسلامي لقرون عديدة ويتجلى هذا التأثر في الجمود الفكري خاصة مع نهاية القرن التاسع وبداية القرن العاشر الهجريين، وقد أثر بدوره على الجانب التعليمي، فبعدما كان التعليم يشمل كافة العلوم النقلية والعقلية، أصبح المنهاج التعليمي الذي يوجه للطالب يركز على دراسة العلوم النقلية خاصة الفقه، بل ظهرت أصوات تعارض تدريس العلوم العقلية خاصة "المنطق" وشاعت مقولة "من تمنطق فقد تزندق"، ونُظر إلى علم الفلك على أنه تنجيم، فما موقف الشيخ عبدالرحمن الأخضري من تدريس العلوم العقلية؟

يعتبر علم المنطق من أكثر العلوم جدلا حول تعليمه وتعلمه، فقد حرم بعض العلماء الاشتغال به كابن صلاح والنووي، إلا أن الأخضري يرى جواز تعليمه وتعلمه والاشتغال به فيقول:

والخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثة أقـــــوال

فابن صلاح والنووي حرما وقال قوم ينبغي أن يعلما

والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكـــامل القريحة[2]

ويقول الأخضري في شرح هذه الأبيات ما نصه: «هذا الفصل موضوع لذكر الخلاف المذكور في جواز الاشتغال بعلم المنطق ليكون المبتدئ على بصيرة من مقصوده؛ وقد اختلف فيه على ثلاثة أقوال كما

[1] المصدر نفسه، ص150.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص02.

ذكر، فمنعه النووي وابن صلاح واستحبه الغزالي ومن تبعه قائلا من لا يعرفه لا يوثق في علمه، والمختار الصحيح جوازه لذكي القريحة»[1]، ومن ثم فإن الأخضري يرى جواز الاشتغال بالمنطق لمن أراد خلافا للغزالي الذي لا يوثق بعلم من لا يعرفه أو النووي الذي حرمه.

ويضع الأخضري شروطا لمن أراد أن يشتغل بالمنطق حتى لا يزيغ مثلما حدث لبعض الطوائف فيقول: «والمختار الصحيح جوازه لذكي القريحة صحيح الذهن سليم الطبع ممارس الكتاب والسنة لئلا يؤول به إلى اتباع بعض الطرق الوهمية فيفسد المقدمات والأقيسة النظرية فتزل قدمه في بعض الدركات السفلية ومنه ظلت المعتزلة والقدرية وغيرهم من الطوائف البدعية، فخاضوا في ذلك حتى بدلوا وغيروا في السنة الشرعية والملة المحمدية»[2].

ويبين الأخضري أهمية دراسة وتعلم المنطق فيقول:

وبعد فالمنطق للجنـــــان نسبته كالنحو للســـــان

فيعصم الأفكار عن غي الخطأ وعن دقيق الفهم يكشف الغطا[3]

ففي البيت الأول يرى الأخضري أن دور المنطق في تحصين الأفكار كدور النحو في تحصين اللسان، وتحصين المنطق للأفكار تكون وفقا للشروط التي وضعها؛ فإذا وجد خلل في المقدمات، أو من مارس المنطق ليس متفقها في الكتاب والسنة ولا يملك مهارات في استخلاص النتائج فقد يؤدي "تمنطقه" إلى تضليل الأفكار فيظل ويظل، فالخلل إذن ليس في المنطق بل فيمن يمارسه، وهناك من جعل المنطق والفلسفة شيئا واحدا فأبطل المنطق بداعي الفلسفة، والحقيقة «أن المنطق كمنهج يمكن أن نستفيد منه حتى في تحطيم الفلسفة»[4] باعتبار أن الفلسفة أفكار والمنطق منهج يطبق على الأفكار لمعرفة مدى سلامتها وارتباطها ببعضها البعض.

يرى الأخضري جواز الاشتغال بعلم المنطق نظرا لفوائده في تحصين الأفكار وما يدل على ذلك تأليفه لمنظومة "السلم المرونق" والتي يهدف من خلالها توسيع دائرة المشتغلين بالمنطق، فقد وجهها إلى المبتدئين والمتعلمين والعلماء على حد سواء، وإلى جانب المنطق فقد أضيف علم الفلك إلى قائمة المنبوذات في الدراسة، واعتبر الاشتغال به اشتغال بالغيبيات، فما هو موقف الأخضري من تعلمه؟.

يرى الأخضري أن تعليم علم الفلك وخاصة ما يختص بالأوقات واجب طبقا لقاعدة "ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"، حيث يقول في منظومته "السراج":

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص04.

[2] المصدر نفسه، ص04.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص01.

[4] سعيد (اعليوان)، المرجع السابق، ص-ب-.

واعلم أن الجهل بالأوقـات جهل بأمر الصوم والصلاة

فالعلم بالأوقات فرض يقبل لأنه بـــــه يتـم العمـل[1]

فمعرفة الأوقات مرتبطة بأداء فرائض تعتبر من أركان الإسلام، فالحج متوقف على معرفة موسمه، والصوم كذلك، وهل يمكن أداء الصلاة في أوقاتها لمن يجهل المعرفة بالأوقات، ويبين الأخضري أهمية هذا العلم فيذكر:

واعلم بأن العلم بالنجوم علم شريف ليس بالمذمـوم

لأنه يفيد في الأوقـات كالفجر والأسحار والصلاة[2]

وينفي الأخضري الادعاء الذي ألصق بالاشتغال بعلم الفلك وارتباطه بالسحر والشعوذة والغيبيات فيقول:

وبعد فاعلم أن علم الفلـك علم عزيز من أجل مسلك

أعني الذي تدري به الأوقات والفجر والقبلة والساعات

وما بـــــه تطرق للغيـب فذلك الحرام دون ريـب[3]

ومن خلال اطلاعنا على المنتوج الفكري للأخضري في علم الفلك نلاحظ أنه ركز بالدرجة الأولى على مسألة الوقت، كما حاول ربط دراسة علم الفلك بما يقدمه للدين والعبادة من خدمة ومعرفة، فهو يرى بأن العبادة إذا لم تتم إلا به فلا بد من تدريسه ودراسته.

ارتبط علم الحساب بالفرائض، التي حث الرسول صلى الله عليه وسلم على معرفته الذي يقول عنه الأخضري:

هذا وإن أحسن المقاصد وأحسن الفنون والفوائـد

فن الفرائض الذي تعلقا بالإرث فلتكن به محققا[4]

رغب الأخضري العلماء في تعليم علم الحساب لارتباطه بعلم الفرائض وحث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعلمه، بل كان السبب في نظمه "رسالة في علم الحساب" ومنظومة "الدرة البيضاء"؛ حيث يقول فيها:

من حثه جدا على تعليمه شرعت بعد ذلك في تنظيمه[5]

ومن تم فلابد من تعلم الحساب مادام أنه مرتبط بالميراث وكل ما يتعلق بعلم الفرائض.

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة الدرة البيضاء، المصدر السابق، ص01.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، نسخة الرياض، المصدر السابق، ص02.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، السراج في الهيئة، المصدر السابق، ص01.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة الدرة البيضاء، المصدر السابق، ص01.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة الدرة البيضاء، المصدر السابق، ص01.

5- توظيف المنطق في التأليف عند الأخضري

يظهر دور المؤلف في تأليفه من خلال طريقة عرضه للأفكار، فالمنهج هو أسلوب إقناع قبل أن يكون طريقة ينتهجها أي كاتب أو محاضر أو مناظر، وكلما اجتهد الكاتب في طريقة عرض أفكاره والاستعمال السليم للمنهج كلما كان تأليفه أحسن جودة وأفكاره أكثر إقناعا، ومن يقرأ مؤلفات الأخضري سيجده أكثر حرصا عل طريقة وأسلوب العرض، ومتأثرا بمنهج المناطقة وموظفا له في مؤلفاته.

أول مؤلف سنقف عنده هو منظومته "القدسية" في التصوف، ومن خلال قراءتنا لهذه المنظومة استنتجت أن الأخضري حاول الإجابة على الإشكالية الآتية: ماهي معالم التصوف الحقيقي الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة؟ وهل كل من ينتسب للتصوف يمثله أو صورة عاكسة لحقيقته؟ فقد ظهرت معالم تأثر الأخضري بمنهج المناطقة في معالجة قضية التصوف، فبدأ بمقدمات عرف فيها بعض المصطلحات الخاصة بموضوع التصوف، مثل الجوهر الإنساني، دائرة التطهير، والكمال القدسي[1]..

وبعد تزويد القارئ بمفاهيم بسيطة حول المصطلحات المذكورة، ينتقل الأخضري إلى تعداد طرق التطهير والأعمال الموصلة إلى مرتبة الكمال، فإذا التزم المريد بذلك ظهرت فيه صفات هذه المرتبة منها: لقاح العلم مع العمل، الزيادة في التعبد والحكمة

وحكم تجري على لسانه وطاعة تجري على أركانه[2]

وقد ركز على ذكر أحد طرق التطهير والوصول إلى مرتبة الكمال مبرزا شروطه منها الذكر بالخشوع والوقار[3]. وأخيرا يقارن بين هذه الشروط وأعمال المبتدعين من المتصوفة في عصره، والذي يراهم أنهم خالفوا هذه الشروط وابتدعوا في الدين مبينا صفات الذاكر الحقيقي[4]، ومن ثمة فإن الأخضري في معالجته لقضية التصوف وفي إطار التسلسل المنطقي من تحديد المفاهيم العامة للموضوع إلى معالجة الإشكالية من الناحية النظرية، ثم إسقاط الجانب النظري على الواقع مبرزا مدى ارتباط العقل بالفكرة، وهو نفس المنهج الذي استعمله في حديثه عن مرتبة الكمال، فبين شروطها، وصفات المتصوفة الذين التزموا بتلك الشروط، وأخيرا متصوفة زمانه الذين أخلوا بها[5].

ذكرنا نموذجا عن توظيف الأخضري لمنهج المناطقة في التأليف، وهناك نماذج أخرى؛ حيث يذكر الطاهر بقدار في تحقيقه لـ" شرح الجوهر المكنون" أن الأخضري «أخذ بالأسلوب المنطقي في عرضه لكثير من

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص142- 143.

[2] المصدر نفسه، ص143.

[3] حول طرق التطهير والذكر وشروطه ينظر: المصدر نفسه، ص143- 144.

[4] حول نقد الأخضري لمتصوفة عصره وإخلالهم بشروط الذكر ينظر: المصدر نفسه، ص144.

[5] حول شروط مرتبة الكمال ومرحلة المكاشفة، وأدعياء التصوف ينظر: المصدر نفسه، ص ص(144-148).

مسائل البلاغة، فهو يلجئ الكثير من القضايا إلى ما تقرر في علم المنطق، وورد ذلك في موضوعات كثيرة؛ تجلب بوضوح في الباب الأول من علم المعاني أثناء حديثه عن الإسناد الخبري وأحواله، واستطراده في بيان الفرق بين المفهوم والمصدوق... وفي ذكره للدلالة الوضعية في مقدمة علم البيان يعالج بالتفصيل أقسام الدلالة الوضعية من مطابقة وتضمن والتزام، ورأي المناطقة في ذلك بما يتفق مع علماء البيان»[1] وهو بالتالي يوضح مدى تأثر الأخضري بالمنطق واستخدامه في منظومته "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون" وشرحه لها.

وقد استخدم الأخضري منهج المناطقة في تأليف "الدرة البيضاء"؛ حيث خصص الجزء الأول للكلام عن الحساب ومبادئه وعملياته[2]، ليكون عبارة عن مفاهيم عامة لابد من معرفتها ثم انتقل إلى الجزء الثاني والذي خصصه للتركات يذكر من يرث ومن لا يرث ونصيب كل وارث، وهو بمثابة دراسة نظرية ليكون الجزء الثالث عبارة عن دراسة عملية تطبيقية والذي جعله للقسمة.

ثانيا: الإصلاح عند عبد الرحمن الأخضري

1- تحديد مفهوم الاصلاح والحركة الإصلاحية

1-1 مفهوم الإصلاح:

الإصلاح لغة من فعل أصلح، ويقال أصلح في عمله أو أمره: أتى بما هو صالح نافع، وأصلح الشيء أزال فساده، وأصلح بينهما؛ أي أزال ما بينهما من العداوة والشقاق[3]. وفي التنزيل: ﴿ وإن طائفتان من المومنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾[4]، وجاء في لسان العرب أن الاصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده: أقامه، وأصلح الدابة: أحسن إليها فصلحت[5].

ويعرف عباس أرحيلة الإصلاح فيقول: «المادة اللغوية من لفظ إصلاح تفيد جلب المنفعة والخير، والصلاح ضد الفساد، وهو سلوك تستقيم به الحال على ما يدعو إليه الشرع والعقل وتتحقق به المصلحة، والإصلاح مظهر من مظاهر الوعي بالذات حين تواجه واقعا مترديا متأزما، وتتوق إلى إصلاحه وتطويره، وشهد تاريخ الإسلام عبر تحولاته وامتداداته حركة إصلاحية لدعم الحضارة الإسلامية وتوجيهها الوجهة الصحيحة، وترسيخ منهج الله في الأرض عقيدة وشريعة»[6] ومنها حركة الإصلاح في الجزائر بداية القرن السادس عشر الميلادي.

---

[1] الطاهر (بقدار)، المرجع السابق، ص52.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، الدرة البيضاء في أحسن الفنون والأشياء، المصدر السابق، ص ص(61-64).

[3] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، 2004، مادة صَلَحَ.

[4] سورة الحُجُرات، الآية 09.

[5] جمال الدين محمد بن مكرم أبو الفضل (ابن منظور)، المصدر السابق، مادة صلح.

[6] عباس (أرحيلة)، «حركة الإصلاح في المغرب الحديث»، مجلة الدراسة والإعلام، ع279، المغرب الأقصى، مارس 1995، ص39.

أما تحديد مفهوم الإصلاح عند الأخضري فهو التسامح، النصح والتأمل في الأشياء قبل الحكم عليها؛ وهو ما نستنتجه من قوله:

وكن أخي للمبتدئ مسامحا وكن لإصلاح الفساد ناصحا

واصلح الفســاد بالتــأمل وإن بديــهة فلا تبـــــدل[1]

2-2 الحركة الاصلاحية:

ترجع الحركة الإصلاحية في الجزائر خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديين إلى امتداد الفكر الزرويلي نسبة إلى أبي الحسن علي بن عبدالحق الزرويلي[2] الشهير بالصغير قاضي مدينة فاس أوائل القرن الثامن الهجري، وقد تأثر بأفكاره في الجزائر الحافظ بن مرزوق الحفيد[3] الذي أشاد بالفقيه فقال: «إنه شيخ الإسلام ما عاصره مثله ولا كان مثله فيما قارب عصره، وبمقامه في الفقه يضرب المثل، فقد جمع بين العلم والعمل»[4]، وقد قُوبل الفكر الزرويلي بالجزائر بين مؤيد ومعارض؛ فعارضه قاسم العقباني التلمساني[5] في رسالة كتبها، وقد رد عليه ابن مرزوق في تأليفه " النصح الخالص في الرد على مدعي رتبة الكمال الناقص"، ووقف إلى جانب العقباني بعض أكابر العلماء مثل أبو عبدالله محمد بن يوسف السنوسي الشهير بمؤلفاته في التوحيد، وقد ألف تأليفا سماه "نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير"[6]، ويعتبر انتشار الفكر الزرويلي المرحلة الأولى للحركة الإصلاحية في المغرب الحديث.

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص10.

[2] أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الحق، الملقب بالصُّغَيِّر، الزرويلي، الفاسي، توفي سنة 719هـ، قال عنه المقري في "أزهار الرياض": "الشيخ أبو الحسن إمَام وقته في فقه المدونة، وهو المستقل برياستها بعد شيخه الفقيه راشد ... ولم ينظر في الفقه حتى أتقن علم الفرائض، وفنون البلاغة، وتلقى ذلك من أربابه"، تقلد عدة وظائف بفاس كالإفتاء والقضاء والتدريس، من آثاره "التقييد على المدونة" في فروع المذهب المالكي، كما جمع السجلماسي بعض فتواه في كتاب سماه "الدرر النثير على أجوبة أبي الحسن الصغير"، كما قام الباحث لمين ناجي دراسة حوله بعنوان: "أبو الحسن الصغير رائد المدرسة المالكية بالمغرب الأقصى" نشرت ضمن سلسلة مشاهير علماء الغرب الإسلامي.

[3] محمد بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق المعروف بـ: الحفيد "العجيسي" التلمساني، والعجيسي نسبة إلى القبيلة الجزائرية (عجيسة) المقيمة بجبال مدينة المسيلة، ولد سنة 766هـ، وتوفي سنة 842هـ له مؤلفات عديدة في النحو والفقه والتصوف واشتهر بشروحاته الثلاثة لقصيدة البردة في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم.

[4] المهدي (بوعبدلي)، المرجع السابق، ص 23.

[5] أبو الفضل قاسم بن سعيد بن محمد العقباني التلمساني، توفي 854هـ، من مؤلفاته أرجوزة تتعلق بالصوفية في اجتماعاتهم على الذكر، تولى منصبي الافتاء والقضاء بتلمسان. ينظر:

محمد بن محمد بن أحمد أبو عبدالله (ابن مريم)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908، ص147-148.

[6] المهدي (بوعبدلي)، المرجع السابق، ص23.

أما المرحلة الثانية في نشأة الحركة الإصلاحية فتعود إلى العالم أحمد زروق الفاسي[1] وإقامته بقرية "تامقرا" في معهد يحي العبدلي، وقد ألف فيه معظم كتبه التي ضبط فيه علم التصوف اقتداء بالغزالي[2]؛ إذ شاهد زروق بعد إقامته الطويلة في تلمسان والعاصمة وقسنطينة الفوضى التي أدخلها العوام وأشباههم في علم التصوف، وألف كتبه المشهورة كقواعد التصوف وأصول الطريقة، وكتاب "البدع" حيث صارت حجة عند المتصوفين الملتزمين وعلماء الحديث والفقه في آن واحد وقد ساعده على أداء مهمته تضلعه في علوم الحديث والتفسير والفقه، ثم استقامته المثالية حتى صار حكما عند جل الطوائف[3].

أما المرحلة الثالثة تتمثل في نشر الفكر الزروقي سواء على يد تلاميذه مثل علي بن محمد الخروبي، أو من تتلمذوا على يدهم مثل عبد الرحمن الأخضري، أو من تأثروا فيما بعد بأفكارهم مثل عبدالكريم الفكون؛ حيث يقول المهدي بو عبدلي: «وإذا كان الخروبي اشتهر في الأوساط الخاصة، فإن الأخضري عمم نشر المذاهب في الطبقات العامة حيث كان جل معاهد التعليم بالبلاد يلزمون طلبتهم بحفظ منظومة القدسية عن ظهر قلب»[4]، وفي الجزء الثاني من هذا الفصل سنعالج الفكر الإصلاحي عند الأخضري.

2- الإصلاح الاجتماعي:

2-1 نقد الأخضري لمجتمع عصره:

يعتبر الأخضري من أشهر علماء عصره الذين انتقدوا مجتمعاتهم، وما انتشر فيها من الآفات والبدع والمنكرات التي تخالف الدين الإسلامي، وقد انتقد مجتمعه في العديد من منظوماته، وعبر عنه بمصطلح الزمان[5]؛ ففي منظومته القدسية يذكر:

هذا الزمان كثرت فيه البدع واضطربت عليه أمواج الخدع[6]

---

[1] أحمد بن أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي المعروف بزروق، ولد سنة846هـ، وتوفي 899هـ، ويعتبر الشيخ زروق من أهم من نظّر واعتنى بالتصوف، واجتهد في إبراز كون التصوف من تعاليم الاسلام المهمة لما يحمله من معاني الاحسان والتزكية، من مؤلفاته: الجنة للمعتصم من البدع بالسنة، تفسير القرآن الكريم، ستة وثلاثون شرحا على الحكم العطائية، قواعد التصوف على وجه يجمع بين الشريعة والحقيقة ويصل الأصول والفقه بالطريقة.

[2] أبو حامد محمد الغزالي الطوسي النيسابوري الصوفي الشافعي الأشعري، أحد أعلام عصره، وأحد أشهر علماء المسلمين في القرن الخامس للهجري، ولد سنة 450هـ، وتوفي سنة 505هـ، كان فقيها وأصوليا وفيلسوفا، كثير التأليف حتى تجاوزت مؤلفاته المئتين أشهرها إحياء علوم الدين.

[3] المهدي (بوعبدلي)، المرجع السابق، ص25.

[4] المرجع نفسه، ص25.

[5] يستخدم العلماء مصطلح الزمان لتعميم الحكم على انتشار ظاهرة معينة في العديد من المجتمعات الإسلامية وهو أوسع من مصطلح "المجتمع" الذي يفيد بيئة العالم دون غيرها.

[6] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص145.

ويقول كذلك في لامية مدح خالد بن سنان العيسى:

هذا نبي بلاد الغرب مسكنه شر البقاع بها قد حل في حلل

هذا نبي كريم في الأنام ثوى بين البوادي شر الناس في الملل[1]

وفي منظومته السلم المرونق يقول:

ولبني إحدى وعشرين سنة معذرة مقبولة مستحسنة

لاسيما في عاشر القرون ذي الجهل والفساد والفتون[2]

ويضيف الورتلاني في شرحه على القدسية: «نبه رضي الله عنه –أي الأخضري– عن سيرة المتقدمين وأحوالهم وما كانوا عليه من مكارم الأخلاق، واستبعد ذلك عن أهل زمانه، لما شاهد منهم قبيح صنيعهم، وسوء فعلهم وخساسة أحوالهم، وسؤم طبيعتهم وركاكة مذاهبهم، وفساد اعتقادهم ونقصان عقولهم»[3].

تحدث الأخضري عن ما انتشار الجهل بالدين الذي نتج عنه تزعم المجتمع فئة ليست أهلا للزعامة، وتغيرت المفاهيم فأصبحت صورة "درويش" أكثر هيبة لأفراد المجتمع من صورة العالم العامل، وامتلك السلطة الدنيوية الأغنياء المتجبرون والأمراء المتسلطون الضالون، والسلطة الروحية الفقراء المنتسبين والمرابطين المتعلقين بأسلافهم؛ فيقول الورتلاني في شرح منظومة القدسية للأخضري بوصفه المجتمع ما نصه: «ولتجدنهم أشد الناس عداوة للذين يحبون الله ورسوله ويتبعونه الفقراء المنتسبين والمرابطين والمتعلقين بأسلافهم»[4].

ركز الأخضري على المنتسبين للفقر والمدّعين للتصوف والمبتدعين فيه نظرا لتأثيرهم على المجتمع، ولبسط نفوذهم كان لابد من توجيه الاتهام للعلماء العاملين والمتصوفة الحقيقين؛ فيقول الورتلاني: «يريد رضي الله عنه –أي الأخضري– أن هذه الطائفة ومن حذا حذوها من فقراء زماننا الذين يفرون من العلم وأهله لم يكن لهم عدو من الإنس والجن غير العلماء العاملين والعارفين بالله والمريدين المتوجهين والسالكين الصادقين»[5]، والسبب في ذلك هو كشف هؤلاء العلماء لأولئك المنتسبين مما جعلهم يصفونهم بشتى الأوصاف ومنها أعمى البصيرة، مطموس القلب، وأما من يتعاطى الفقر وليس من أهله فإنما يرى المتمسك بظاهر الشريعة أعمى البصيرة مطموس القلب، بعيدا عن سوق الفضل وفضاء الحقيقة[6].

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية في مدح خالد بن سنان العبسي، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة(ولاية بسكرة)–الجزائر، ص01.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة السلم المرونق، المصدر السابق، ص11.

[3] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص 295.

[4] المصدر نفسه، ص237.

[5] المصدر نفسه، ص237.

[6] المصدر نفسه، ص296.

إن نشر مثل هذه الأفكار في أي مجتمع كفيلة بتحويره وفق نمط معين يصبح فيه العالم جاهلا والجاهل عالما، وقد أحسّ الأخضري بذلك وشاهد من المبتدعين من ادعى مرتبة الكمال وصدقته العامة فيقول:

وزعمـــوا أن لهم أحـــوالا وأنهم قد بلغوا الكمالا

والقوم لا يدرون من الأحوال فكونـها لمثلهم محـــالا[1]

وقد عد الورتلاني العديد من الصفات التي انتشرت في مجتمع الأخضري واستمرت إلى عصره ومنها التملق والتحايل؛ فيقول: «وعلامة المفتون الخداع إذا مسته ضرورة إليك يتملق لك ويظهر محاسنه أو محاسن آبائه وأسلافه وشيوخه، فإن أقبلت عليه وقضيت حاجته انبسط إليك بهمته وعزمه وقوته... وإن أدبرت عنه انقبض عنك ولم يضع إليك بعد كأنك عصيت الله بجميع معاصيه بل يظن أنك إذا عصيت الله غفر لك ولا يتغير عنك، وإذا عصيته هو تغير الله عنك حقيقيا أقوى من تغيره على نفسه!»[2].

ظهر إلى جانب الخدع والتحايل والتملق آفات اجتماعية انتقدها الأخضري وفصل فيها الورتلاني في شرحه منها الإفك والكذب والتلبيس ومجالسة النساء، والتمسك بالدعاوى الباطلة، والصحبة المزيفة وكلها أمور نهى الشرع عنها، فيقول الورتلاني: «.. ولذلك كانت هذه الطائفة مولعة بالإفك والكذب والتلبيس على المسلمين والتخليط عليهم حتى ظنوا أنهم على أكمل حال وأسعده، وأن ما يصدر منهم حق، وبسبب ذلك التبس الدين على العامة واشتبه أمره عليهم، وافترقوا حينئذ على فرق»[3].

فقسم الورتلاني هذه الفرق إلى ثلاث؛ أولها الفرقة التي أخذتها شهوة النساء ومجالستهم مبررين ذلك بمبررات عدة «ففرقة منهم أولعت بزيارة النساء ومخالطتهن والاختلاء بهن ليلا ونهارا وفي الأماكن الخفية كالمقابر وثغور الجبال وبطون الأودية والطرق النائية عن العمارة، وغالب هذه الطائفة القصد إلى أمر مذموم شرعا»[4].

والفرقة الثانية من العامة أولعت بحب أهل الدعاوي الباطلة المتصفين بالجهل لفرارهم من العلم وأهله «وربما لم يفرقوا بين الفرائض والسنن، ومع ذلك يدعون المقامات السنية والمنازل الشامخة وينسبونها لأنفسهم، ويزعمون أن التصريف التام لهم، وأن العالم السفلي على أيديهم، وأن من خالفهم من العامة هلك بسببهم»[5].

ويتعرض الأخضري لما انتشر في زمانه فيقول:

هذا زمان قد فـــاض به ينبـــوع الحق ولم يَسَـــل

وظلام الباطل منتـــشر عم الإفـــك ولم يـــزل

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص144.

[2] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص306.

[3] المصدر السابق، ص403.

[4] المصدر نفسه، ص403.

[5] المصدر نفسه، ص404.

ومعاصي الله قد انتشرت وبدت في الناس بلا خجل[1]

صوّر الأخضري حالة مجتمعه من خلال هذه الأبيات وأخرى ، فنظرا لما كان منتشرا في مجتمعه فقد نعت زمانه بـ "زمن الفساق"؛ فقد عم فيه الباطل وغاب الحق، وانتشرت المعاصي والتباهي بها، وظهرت طوائف عديدة من المبتدعين في الدين، وكثر الرياء في الأعمال؛ باستظهارها على الناس والافتخار بها وطلب المكانة والرياسة من ورائها، ولقد وجه الأخضري سهامه اتجاه تلك الآفات لإصلاح المجتمع مبينا موقف الدين الاسلامي منها.

2-2 التربية الروحية والنفسية أساس الإصلاح الاجتماعي:

أخذت التربية الروحية والنفسية عند الأخضري حيزا كبيرا في إصلاح الفرد والمجتمع، مصداقا لقوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ}[2]، فالنفس[3] عند الأخضري هي أساس انحراف الفرد والمجتمع ولهذا يجب تربيتها تربية روحية وفقا لما جاءت به الشريعة الإسلامية وذلك لمخالفتها وعد إهمالها كما يرى الأخضري:

وزكاء النفس مخـــالفها وموافقها فعلى خلل

والحي يصون جوارحــه عما تأتيه من الزلــل

والميت القلب من أهملها حتى تلقيه على وحل[4]

ويوصي الأخضري بالحرص على معالجة النفس فيقول:

فابدل قواك في علاج النفس من كل وصمة بها ولبس[5]

وينبه الأخضري إلى دور النفس في عمل الفرد وسلوكه فيقول:

لا تأتي النفس إلى عمل إلا بالعجز والكســل

وإذا ما تأتي لمعصيـــة تأتي بالحرص وبالجدل[6]

ثم يضيف فيقول:

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص10.

[2] سورة الرعد، الآية11.

[3] النفس أنواع منها: المطمئنة واللوامة...، وقد فصّل علماء المسلمين في دراستها ودورها في تحريك سلوك المسلم، كما درسها علماء البسيكولوجيا تحت مسمى "الدافع الغريزي" أحد الدوافع المحرك لسلوك وعمل الفرد. والنفس الذي يشير إليها الأخضري تلك التي تدفع الانسان نحو الفساد بأنواعه وقد حذر الأخضري منها.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص02.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص145.

[6] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص02.

والنفس تعود لشهوتها ليكون لها الشيطان وله

ومثال النفس وشهوتها كذباب أمّ إلى عسل[1]

ويرى الأخضري أن الناجي من خالف نفسه وهواها، والضال من امتثل لها، وبالتالي ففساد الفرد هو نتيجة لفساد خلقه وطبائعه، وفساده يعني فساد الأسرة والمجتمع على حد سواء، ومن هنا يتبين لنا المقاربة الدينية والخلقية للمشكل الاجتماعي-نقصد الفساد الاجتماعي المشار إليه سابقا- التي ركز عليها الأخضري في نظرته لإصلاح المجتمع، باعتبار أن مقومات الفرد والأسرة والمجتمع تنطلق من الأخلاق والقيم النبيلة، التي دعا إليها الدين الإسلامي.

ويرى الأخضري أن التربية الروحية ضرورية بالنسبة للفرد، وذلك عن طريق العبادة والذكر والزهد في الدنيا، ويدعو مجتمعه إلى تربية النفس تربية روحية؛ فيقول:

يا مولعا بالعالم الجسماني جاهلا بالعالم الروحاني

فكم خدمة الجسم يا بطال لست من خدمته تنال[2]

والاهتمام بالروح هو تزكيتها بالذكر والعبادة والزهد في الدنيا؛ حيث يقول عن الزهد:

ودع الدنيا وزخرفها وحبائلها ذات الحيل

فازهد فيها واقصر أملا فصحبتها رأس الزلل[3]

كما يدعو الأخضري إلى مداومة الذكر فهو علاج للنفس والقلب:

إذا اعتراك سقم في القلب فافزع إلى الذكر ولذ بالرب

ولازم الذكر بكل حال وفر من طوارق الخيال[4]

فالأخضري إذاً، يرى أن التربية الروحية والنفسية هي أساس إصلاح المجتمع، باعتبار أن فساد المجتمع من فساد الأخلاق، وإصلاحه لابد من إصلاح الفرد بإصلاح أفعاله وتوجيهها وفقا لأخلاق وقيم الشريعة الإسلامية، وهذه النظرة في الإصلاح تنبع من رجل دين مصلح يحاول الكشف عن مشاكل المجتمع وإبداء حلول وفقا لنظام وتشريعات الدين الإسلامي، هذا فضلا عن عدم إهماله للعديد من القضايا الاجتماعية مثل الشباب، الصحبة، الآفات الاجتماعية كظاهرة التدخين المستحدثة... وهو ما سنتعرض إليه في العنصرين الأخريين.

[1] المصدر نفسه، ص03.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص144.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص04.

[4] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص146.

3-2 الشاب الجزائري في منظور الأخضري:

تعرضنا فيما سبق إلى تركيز الأخضري على عنصر الأخلاق، التربية الروحية والنفسية كأساس للإصلاح الاجتماعي، وأن سبب المشاكل وآفات المجتمع ترجع إلى ذلك، فحيثما استطاع الإنسان تغيير ما بنفسه يستطيع أن يغير ما بحوله، وقد جعل الأخضري منطلقات ومبادئ الأخلاق الاجتماعية من قيم ومبادئ وتشريعات الدين الإسلامي، ولم يكتف بذلك بل خصص منظومة للشباب كطاقة بشرية مهمة في المجتمع وسماها "نصيحة الشباب" وهو يدل على اهتمام الأخضري بهذه الفئة داخل المجتمع في إطار إصلاحه الاجتماعي.

يعتبر النصح منهجا من مناهج الإصلاح كما أشار إلى ذلك في منظومته "السلم المرونق"[1]، وقد استخدمه الأخضري في إرشاد وتوجيه الشاب الجزائري المسلم، وصوره على أنه ذلك الشاب المطيع الذي يغتنم وقته في طاعة الله عز وجل، ويستغل مرحلة شبابه أحسن استغلال كلحظة ذهبية من عمر الإنسان؛ حيث يوصي الشباب بالطاعة والعبادة فيقول:

أوصيكم يا معشر الشبان عليكم بطاعة الرحمـــن

ما أحسن الطاعة للشبان فاسعوا لتقوى الله يا إخواني

وعمروا قلوبكم بالطاعة والذكر كل لحظة وساعة[2]

وقد انتشر داخل المجتمع فكرة أن العبادة والتعبد مقتصرة على الشيوخ بدل الشباب، وأن الشباب مازال صغيرا في العمر ويمكن له أن يتوب بعد تقدم سنه، وقد حذر الأخضري من هذا التفكير قائلا:

ومن يقول أني صغير أصبر ثم أخـاف الله حين أكبر

فإن ذاك غرة إبليـــــس وقلبه مغفل مطمـــــوس[3]

ثم يدعو الشباب المغرور الذي يعتقد أنه سيتوب من المعاصي بعدما يتجاوز سن الشباب بالتوبة الآجلة غير العاجلة مرغبا في أن أحب التوبة إلى الله هي توبة الشباب فيقول:

فتب إلى مولاك يا إنســـان من قبل أن يفوتك الزمان

لا خير في من لم يتب صغيرا ولم يكن بعيبه بصيـــرا

---

[1] أشار إلى النصح كمنهج من مناهج الإصلاح في البيت:

وكن أخي للمبتدئ مسامحا و كن لإصلاح الفساد ناصحا

ينظر: عبدالرحمن الأخضري، السلم المرونق، المصدر السابق، ص10.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، نصيحة الشباب، المصدر السابق، ص01.

[3] المصدر نفسه، ص01.

أحب ربي توبة الشبـــــان يا فوزهم بجنة الرضـــوان[1]

أخذت مسألة الوقت حيزا كبيرا لدى الأخضري في نصح وتوجيه الشباب لما له من قيمة في عمر الإنسان وفي مرحلة شبابه خاصة، واستغلال الوقت لدى الشباب ضروري، وينهي الأخضري عن الإهمال؛ حيث يقول:

إياكم أن تهملوا أوقاتكم فتندموا يوما على ما فاتكم

فإنما غنيمة الإنســـــان شبـــابه والخسر في التـــواني

فمن تفته لحظة من عمره تكن عليه حسرة في قبـــره[2]

ويوصي الأخضري الشباب بضرورة اختيار الصحبة، لما لها من تأثير عليه في هذه المرحلة من حياته فيأمره بصحبة الأخيار وينهاه عن صحبة الأشرار وسمى الأولى دواء والثانية داء؛ فيقول:

واختر لصحبتك كل مهتد إن القرين بالقرين مهتـــد

فصحبة الأخيار للقلب دوا تزيد للقلب نشاطـا وقوى

وصحبة الأشرار داء وعمى تزيد للقلب السقيم سقما[3]

ركز الأخضري على ثلاثة عناصر أساسية مؤثرة في مرحلة الشباب بل وفي مصيره وهي العبادة في مرحلة الشباب، والعنصر الثاني مسألة الوقت واستغلاله، وهو لا يقصد الزمن بالضبط بل وقت مرحلة الشباب التي يتميز فيها الإنسان بقوى جسمية وفكرية تساهم في تحقيق طموحاته، أما العنصر الثالث فهو اختيار الصحبة والتي لها أثر كبير في هذه المرحلة فكثير من الشباب تغير بسبب الصحبة سواء إلى الأسوأ أو الأحسن حسب الاختيار ودرجات التأثير.

3- الإصلاح الثقافي:

3-1- نقد العلماء:

انتقد الأخضري علماء زمانه خاصة "علماء السوء" كما سماهم والذين يستخدمون العلم من أجل غايات دنيوية شخصية ويتعارض عملهم مع علمهم، بل رأى الأخضري أنهم سبب ما آل إليه المجتمع، ولهذا نجده في كل مقام يذكر فيه زمانه أو ينصح إلا ويحذر من علماء السوء؛ حيث يقول في "اللامية" ما نصه:

واحذر علماء السوء فقد خصوا بالإفك وبالخطل

حفظوا الأقوال وما عملوا بالعلم فساء القوم قـل[4]

---

[1] المصدر نفسه، ص01.

[2] المصدر نفسه، ورقة 01.

[3] المصدر نفسه، ورقة 01.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص05.

وفي شرح منظومة السلم المرونق يتحدث عن العلماء في زمانه فيقول: «.. في هذا الزمان انقرض فيه أكابر العلماء، ولم يبق فيه إلى حثالة الحثالة، حتى كاد العلم أن ينقرض بانقراض أهله»[1]، ومن خلال هذه النصوص يتبين لنا أن الأخضري كان شديد التعامل مع كل عالم يستخدم علمه من أجل مصالحه الشخصية على حساب مصالح العامة أو يطلب العلم رياء من أجل استظهاره على الناس، وإذا ما رجعت إلى عمله تجده يتعارض مع علمه؛ حيث يقول الأخضري:

أرباب قلوب قاسيـــة للطاعة أ صلا لم تمل

لا نطق لذكر الله لهـــم إلا باللهـــو وبالهزل

لا يكسبون العلم سوى لرياء الناس وللجدل[2]

ويذكر الورتلاني صفات علماء السوء في شرحه منظومة القدسية للأخضري فيقول: «والزيغ هذا من صفات علماء زماننا أو من فيه رائحة العلم، كما يتعاطى التطلب، لأنه إذا زجرته عن شيء مخالف للسنة اقتحم فعله، ويعرض عنك إعراضا كليا، أو يخجلك على رؤوس الناس بكلام يظن أنه علم وما هو في الحقيقة إلا مغالطة ستر بها عيبه وفضيحته، أو يبدي تأولا ضعيفا أهون من بيت العنكبوت، أو يعتمد قولا شاذا الذي ينقض الحكم عليه ويجعله دليلا قويا لنفسه»[3].

هناك بعض العلماء من يستغل منصب الفتوى للتعاطف مع أصحابه ومقربيه؛ حيث يقول الورتلاني عن أولئك العلماء: «أنه إذا أتاه صاحبه أو قريبه يستفسره في نازلة ما اشتغل بالجد في إعانته وتحيله ليغلبه على خصمه، محقا كان صاحبه أو مبطلا في نفس الأمر»[4] ويضيف في ذكر بعض دسائس "علماء السوء" فيقول: «ومن اشتغل بالتدريس فالمعين عليه دسائس أيضا أقواها أن يتكلف في المجلس ما لم يعلم وما لم يفهم ويحمل الجالسين عليه»، كما يهتم في مجلسه للأغنياء دون الفقراء فـ«نظره واشتغاله في المجلس إلا للأغنياء ومن له حظوة دينية ومن لا، فلا!»[5].

ومن الإنصاف عدم التعميم في الحكم، فحكم الأخضري والورتلاني لم يكن ليشمل كل علماء زمانهما فقد خص فئة معينة أطلق عليها الأخضري اسم "علماء السوء"، وكلما عدد أوصافهم استثنى منهم العلماء العاملين، حيث يقول في اللامية:

حـاشا علماء الخير أولي حظ في العلم وفي العمل

---

[1] فوزي (مصمودي)، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري...، المرجع السابق، ص174.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص05.

[3] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص 314.

[4] المصدر نفسه، ص 314.

[5] المصدر نفسه، ص 314.

فعليك أخي بمجالستهم واظفر بمحبتـــهم تصل[1]

ويتحسر عن قلتهم فيذكر في القدسية:

وأسفاه على حماة الدين أولي الذكاء والعلم والتمكين[2]

ويضيف في شرح السلم المرونق: «وإذا كان العذر من حق المبتدئ في الزمن المتقدم، فكيف في هذا الزمان الصعب الذي انقرض فيه أكابر العلماء... حتى كاد العلم ينقرض بانقراض أهله»[3].

ويواصل الورتلاني الحديث عن المنتسبين للعلم فيحدث عن الطلبة؛ حيث يقول: «أما دسائس الطلبة والآخذين فكثرة لا تعد ولا تحصى، ولا تضبط ولا تستقصى، أظهرها و أقواها اشتغالهم بما فيه نفع الناس عامة ونوازل الخصام وبما يتعلق بأمر الفتية والقضاء، ويغفلون عما يصحح لهم دينهم.. والثانية أنهم يتعلمون ليقال ويظهرون ذلك حين يتوانى الشيخ عن القراءة، وتراهم يتأسفون عما فاتهم ويقولون لشيخهم: إن الناس ظنوا منا دوام القراءة وعدم التوان، وإذا رجعنا إلى أهلنا كيف نقول إذا سألونا ويتعللون بظهورهم على العلم واستشرافهم عليه دونهم»[4]، وهذه الصفات تصيب طالب العلم وتمنعه من التمكن في العلوم التي يتعلمها.

وقد يصاب طالب العلم بـ"العجلة" فينتقل من طالب علم إلى عالم ينشره رغم قلة علمه والسبب في ذلك الظهور والرياسة وهي من الآفات التي انتشرت بين طلاب العلم زمن الأخضري وتحدث عنها الورتلاني فيقول: «...والثالثة العجلة إلى الترؤس ليسمع الناس أنهم على بساط العلماء، وإن جلوا تلك المنزلة توانوا عن الأخذ والعطاء، وربما قد انقطعوا عن العلم وأهله كلية، إذن اشتغالهم به ليقال وقد قيل»[5].

وفي الختام يذكر الورتلاني صفات علماء السوء فيجملها بقوله: «..الذين إذا ذكر لهم أهل الحق ردوا عنهم ونقصوهم ورموهم بعظائم ليسوا عليها في نفس الأمر، وإنما هو كذب وزور، وسبب ذلك الحسد والبغض والتعصب لغير من عاصرهم ويقولون فيمن سبقهم –رضي الله عنهم– ونفعنا به إذا كان قريبا لهم في الزمان، وأما إذا كان بين أظهرهم فكل ما يأتي من قبله باطل في اعتقادهم الفاسد، فإن كان على صورة باطل لم يولده وجعلوه دليلا على نقصه، وإن كان على صورة حق أطرقوا فيه احتمالا ناقصا أقلها إرادة التصنع، ولذلك لم ينفع أحد من أهل زمانه به وإن عاش معه أمدا طويلا»[6].

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص05.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص174.

[3] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص10.

[4] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص 314.

[5] المصدر نفسه، ص315.

[6] المصدر نفسه، ص404-405.

هذه بعض المظاهر التي كانت منتشرة بين العلماء وطلاب العلم، والتي حذر منها الأخضري ومن مصاحبة علماء السوء وطلبة العلم، الذين يطلبونه رياء للناس واستظهاره عليهم، كما يستخدمون مكانتهم العلمية في الكثير من الدسائس التي ذكر بعضها الورتلاني، وبالتالي فلا يمكن أن يقتدي المجتمع بعالم لا يطابق عمله علمه ولا يمكن مصاحبته كما يرى الأخضري.

3-2- محاربة الفكر البدعي(السلبي):

نقصد بالفكر البدعي(السلبي) هو كل مستحدث في منظومة فكرية معينة يتجه عكس مقاصد وأهداف تلك المنظومة، ومحاربة الفكر البدعي عند الأخضري هو الوقوف في وجوه المبتدعين المنتسبين إلى التصوف، والتي تتعارض غايتهم في الكثير من الأحيان غاية وأهداف التصوف وفي مقدمتها الزهد في الدنيا، عكس من ركب سفينة التصوف من أجل كسب المال والحظوة والرياسة، ولهذا فقد انتسب الأخضري المنتسبين إلى التصوف في زمانه مبرزا بدعتهم في القول والعمل في منظومته "القدسية"، فيقول:

فقد رأينا فرقة إذا ذكـــــروا تبدعـــوا وربما قد كفـــــروا

وصنعوا في الذكر صنعا منكرا صنيعا فجاهدهم جهادا أكبر[1]

فقد ظهرت فرقة في زمانه طائفة حرفوا في اسم الجلالة "الله" في النطق والكتابة وهي بدعة كما يرى الأخضري، فمن شروط الذكر أن لا يسقط بعض حروف أسماء الله، وهذه الفرقة اسقطوا حرف الهاء والألف في النطق والكتابة واختزال اسم الجلالة "الله" في حرف اللام؛ حيث يقول الأخضري:

خلوا من اسم الله حرف الهاء فألحدوا في أعظم الأسمـــاء

والألف المحذوفة قبل الهـــاء قد أسقطوه وهو ذو إخفاء

وغرهم إسقاطه في الخـــط فكل مـــن يتركه مخـــط[2]

وهذا الحذف والإسقاط في حروف اسم الجلالة هو إحدى بدعة المبتدعين في الذكر التي أنكرها عليهم الأخضري إذا كانت عمدا دون سهو أو خطأ فيقول:

ومن شروط الذكر ألا يسقط بعض حروف الاسم أو يفرط

في بعض من مناسك الشريعة عمدا فتلك بدعـــة شنيـــعة[3]

كما أنكر الأخضري على من يذكر الله عز وجل بالرقص والصراخ والتصفيق، ويرى أن الذكر يلزم صاحبه الخشوع والوقار، وكل ما يخالف ذلك فهي نزوة نفسية:

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص144.

[2] المصدر نفسه، ص144.

[3] المصدر نفسه، ص143.

والرقص والصراخ والتصفيق عمدا بذكر الله لا يليق

وإنما المطلوب في الأذكار الذكر بالخشوع والوقار

وغير ذا حركة نفسية إلا مع الغلبة القوية[1]

ويرى الأخضري سبب البدعة هو عدم تمكن صاحبها من العقيدة، وتصوّف قبل أن يتفقه في الدين؛ فيقول في شرح الجوهر المكنون «..وقد شهدنا ذلك فرأينا كل من تعلق بهذا العلم –يقصد علم التصوف– قبل أن يتقن عقيدته وفق عبادته حصل على بدعة وزندقة، وكل من أعرض عن هذا العلم جملة لا يخلو من الفسق... ومن لا قدم له في علم التصوف يخشى عليه من سوء الخاتمة ومن جمع بينه وبين علم الفقه فقد تحقق»[2].

وينتقد الأخضري المبتدعين فيقول:

قد ملأت قلوبهم أوهام فالقوم إبليس لهم إمام

كفاك من جميعه خيانة إذا اختلوا الدنيا بالديانة

وهتكوا محارم الشريعة وسلكوا مسالك الخديعة[3]

ثم يواصل في وصفهم؛ حيث يقول:

يا صاح لا تعبأ بهؤلاء ذوي الخنا والزور والأهواء

باءوا بسخط وضلال وقلا لم يبتغوا مراتب المجد إلى[4]

يعبر هذا النقد من طرف الأخضري عن غيرته على دينه وعلى علم التصوف والمتصوفة الحقيقيين، فعندما انتشر التصوف بين العامة والخاصة خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين وأصبح لرجالاته مكانة وحظوة في المجتمع تهافت عليه الكثير متلبسا به من أجل كسب تلك المكانة الاجتماعية ومن له أغراض أخرى فنتج عن ذلك مظاهر عديدة ألصقت بالتصوف وليس لها أصل به؛ حيث يقول الأخضري:

وكثر الملبسون بها وصار ذو البدعة يدعيها

واسفا على الطريق السابلة أفسدها الطائفة الدجاجلة

قد أحدثوا طريقة بدعية ورفضوا الطريقة الشرعية[5]

[1] المصدر نفسه، ص143.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص25.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص145.

[4] المصدر نفسه، ص145.

[5] المصدر نفسه، ص147.

ومن أوصاف المبتدعين التي ذكرها الورتلاني في شرحه منظومة القدسية: «إن بدلوا وغيروا ما به الوصول بما به الانقطاع[1]، وما به الوصول: الجوع والاعتزال عن الناس والصمت والانقطاع عن كل ما سوى الله سبحانه وتعالى حتى الأزواج والبنين، وعن النفس إذ ساعده التوفيق وغيرها من الأخلاق الزكية التي تقرب المسافة وتوصل إلى الله، وقد بدلوا ذلك –والعياذ بالله– بأوصاف مذمومة ككثرة الأكل والنوم والكلام والغيبة والكذب وقد تكون معها النميمة والنظر إلى المحرمات ودام ذلك منهم والضحك المنهي عنه»[2]، ويقول الأخضري في ذلك:

ما حل وفد الراصدين مرصدا ورام حزب الواردين موردا

إلا بأخماص البطون والسهر والصمت والعزلة عن كل البشر

والزهد في الدنيا وتقصر الأمل وفكرة القلب وكثرة العمل[3]

ويقارن بين هذه الصفات وما عليه قومه من الصفات فيقول الأخضري:

فأين حال هؤلاء القوم من سوء حال فقراء اليوم

قد ادعوا مراتب جليلة والشرع قد تجنبوا سبيله[4]

ويقول الورتلاني في وصفه المبتدعة شرحا لما نظمه الأخضري «زعموا أن في قلوبهم أسرار وهو ما يكون بينك وبين ربك وأحوالا، وهي ما يرد على القلب من قبل الله عز وجل، وزعموا أيضا أن قلوبهم منورة بنور الحق واليقين وغير ذلك من المقومات العلية والدرجات الزكية وليس زعمهم هذا إلا أمنية وغرور»[5].

ومن خلال قراءة تراث الأخضري نجد أنه لا ينفي الكرامات أو صفات أولياء الله الصالحين، ولكنه ينفيها وينكرها على مدعيها ممن هتكوا محارم الشرع، وكيف من يدعي الولاية لله ويخالف ما أمر به وجاء به رسوله صلى الله عليه وسلم، واختلطت الدروشة بالولاية وأصبح كل درويش يدعى لنفسه الولاية، وهو ما جعل الأخضري يثور ضد هذه المفاهيم بالقلم من خلال منظومته القدسية، وبالعمل من خلال ما رواه عبد الكريم الفكون في كتابه منشور الهداية بالطعن على يد بعض مدعي الولاية بعينهم ومواجهتهم مباشرة؛ حيث يقول الفكون: «.. وكذا حكي لي الطعن منه –أي الأخضري– على الغراب المدفون بعين الحامة خارج قسنطينة، وربما قيل إن الشيخ الأخضري أمر تلاميذه بضرب الغراب حتى فاجأهم اللقاء وكان الغراب راكبا

[1] الوصول: يقصد به التقرب إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحة، والانقطاع: الابتعاد عن الله بفعل المنكرات

[2] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص 237 -238.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص145.

[4] المصدر نفسه، ص145.

[5] الحسين (الورتلاني)، المصدر السابق، ص 239.

على الحصان فبال دما، قيل لي فقال عند ذلك للشيخ عبدالرحمن إنك أمرت تلاميذك بضربي، فالتفت الشيخ لأصحابه وقال لهم: {أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً }[1].

ويقول الفكون عن الشيخ الأخضري «وكان الشيخ المذكور فيما يقال يظهر التكبّر كثيرا على مثل هؤلاء وجعل قصيدة فيهم نظائرهم من مبتدعة زمانه»[2].

وقف الأخضري موقف الحزم من مبتدعي زمانه وأفكارهم، ومن أعمالهم مصححا تلك المفاهيم ومبينا حقيقتها وحقيقتهم، وذلك في منظومته القدسية التي بيّن فيها حقيقة الجوهر الإنساني وطرق التطهير، ومعالم مرتبة الكمال منكرا كل بدعة مستحدثة تسير اتجاها معاكسا لمقاصد الشريعة الإسلامية ومقاصد التصوف الحقيقي الذي يجمع بين الشريعة والحقيقة.

خلاصة الفصل الرابع:

يتجلى التجديد عند الأخضري في منهج التأليف؛ حيث اعتمد على الاختصار والتبسيط في مؤلفاته، فنجده يلخص قواعد المنطق في منظومة "السلم المرونق"، ويلخص كتاب "تلخيص المفتاح" للقزويني في البلاغة ويجعله في منظومة سماها "الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"، ويبسط كل ما يتعلق بالحساب والفرائض في منظومة "الذرة البيضاء"، وتميز منهج الاختصار عند الأخضري بالوضوح دون الغموض الذي ميّز بعض المختصرات، بينما لو رجعنا مثلا لمختصر الأخضري في العبادات لأمكن لأي طالب علم مبتدئ أن يطالعه ويفهم مضمونه دون الحاجة إلى شروحات، بل يساعده في الاطلاع على أمهات الكتب الفقهية.

اعتمد الأخضري على المنظومات التعليمية، وهي إحدى المناهج التي شاع استخدامها في منهج التعليم لدى الكثير من العلماء، ويعتبرها بعض الباحثين تعبيرا عن تدهور حركة التأليف، بينما يعتبرها آخرون منهج من المناهج المستحدثة في التعليم.

دعا الأخضري إلى تعليم العلوم العقلية خاصة علم المنطق والفلك، اللذين لم يجدا ترحيبا لدى بعض العلماء وحرّمهما البعض الآخر بدعوى أن المنطق وعلم الكلام السبب في ظهور الفرق "الضالة"، وعلم الفلك عبارة عن بحث في الغيبيات، لكن الأخضري صحّح هذه المفاهيم من خلال مؤلفاته في المنطق والفلك.

سعى الأخضري إلى إصلاح المجتمع؛ حيث ركز على ثلاثة عناصر وهي: الأخلاق الاجتماعية وما يجب أن يتصف به الفرد والمجتمع، و العنصر الثاني اهتمامه بالشباب كطاقة بشرية مهمة داخل المجتمع، أما العنصر الثالث فهو محاربته للآفات الاجتماعية خاصة ظاهرة التدخين المستحدثة.

ركز الأخضري في إصلاحه الثقافي على عنصرين وهما: نقد العلماء الذين وصفهم ب"بعلماء السوء"، ومحاربة الفكر البدعي؛ فنجده في العديد من منظوماته يحذر من علماء السوء ويظهر بعض مساوئهم بل

[1] سورة مريم، الآية83.

[2] عبدالكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص118.

يعتبرهم السبب في فساد المجتمع، ومن خلال نقد الأخضري للمبتدعين في التصوف في منظومة القدسية نستنتج أنه من العلماء المحاربين لأي فكر بدعي مستحدث في الدين يتعارض مقاصده مع مقاصد الشريعة الاسلامية.

كان فكر الأخضري رافدا من روافد الإصلاح الذي ظهر في المغرب على يد علماء منهم: علي بن عبدالحق أبو الحسن الزرويلي الشهير بالصغير قاضي مدينة فاس، ثم انتقل فكره إلى الجزائر وتأثر به الحافظ بن مرزوق وأحمد زروق الذي ساهم في نشر أفكاره وفقا لمبادئ الطريقة الشاذلية وقد تتلمذ على يده علي بن محمد الخروبي شيخ ومعلم عبدالرحمن الأخضري الذي تأثر به وأثر في فكره الإصلاحي الاجتماعي والثقافي، ويتجلى ذلك في العديد من مؤلفاته الشعرية منها والأدبية.

أخذ فكر الأخضري طابع النزعة التجديدية الإصلاحية، وإن كانت هذه النزعة لا تتجاوز الإطار العام لعصره ولم تحدث ثورة مثلما عرفته بعض حركات الإصلاح العالمية، لكنها تعبر عن رد فعل على حالة الثقافة والمجتمع في العالم الإسلامي بصفة عامة والمغرب كجزء منه، وشارك الأخضري نزعته الإصلاحية بعض العلماء، اخترنا نماذج منهم لذكر أفكارهم الإصلاحية ومقارنتها بفكر الأخضري، وهي مقاربة تاريخية لإبراز الفكر الإصلاحي ونواة الحركة الإصلاحية في الجزائر بداية الفترة الحديثة ودور الأخضري فيها، وهو ما سنتحدث عنه في الفصل القادم.

الفصل الخامس

الأخضري وعلماء الإصلاح دراسة مقارنة في قضايا الثقافة

أولا: نماذج من علماء التجديد والإصلاح

1-عبدالرحمن الثعالبي.

2-محمد بن عبدالكريم المغيلي.

3-عبدالكريم الفكون.

ثانيا: دراسة مقارنة في قضايا الثقافة

1-التصوف والمتصوفة

2-قضية المنطق

3-العلم والعلم.

مقدمة الفصل الخامس:

عرفت الدول المغاربية والجزائر جزء منها حركة إصلاح مع نهاية القرن التاسع وخلال القرن العاشر الهجريين، خاصة مع انتشار أفكار أحمد زروق ومحاولاته الاصلاحية الذي شبهها عبدالله نجمي بمحاولات مارتن لوتر[1] الإصلاحية في أوروبا في موضوع بعنوان" بين زروق ولوتر: في الإصلاح الديني والعصور الحديثة"[2]، وقد تأثر الأخضري بهذه الأفكار الإصلاحية كما تأثر بها البعض ممن عاصره، ولهذا أردت أن أسلط الضوء على حركة الإصلاح بداية الفترة الحديثة ودور الأخضري فيها بالحديث عن نماذج من علماء التجديد والإصلاح ومقارنة مواقفهم مع مواقف الأخضري في قضايا الثقافة والمجتمع من أجل الخروج بنتيجة تبرز لنا الواقع العام للجزائر في الفترة المدروسة وموقف علماء الإصلاح منه، ومن تم فإن اختيار النماذج على أساس جغرافي وفكري؛ فالمغيلي عاش بالغرب الجزائري وجنوبها، والثعالبي بمنطقة الوسط، والأخضري بالجنوب الشرقي، والفكون بقسنطينة (الشرق الجزائري)، ويوجد بين هؤلاء العلماء مواقف متقاربة وأخرى مختلفة وهو ما سنعالجه في هذا الفصل.

أولا: نماذج من علماء التجديد والإصلاح

1-عبد الرحمان الثعالبي:

أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف بن طلحة بن عمر بن نوفل[3] الثعالبي، ينتمي إلى قرية بناحية يسر[4]، حيث ولد بها سنة 786هـ/1386م من أسرة اشتهرت بالحكم، فكان أجداده رؤساء متيجة لحقبة طويلة من الزمن حتى اندثر ملكهم على يد دولة بني عبد الواد[5]، رحل الثعالبي في طلب العلم، فقصد بجاية، حيث دخلها سنة 802هـ/1401م فالتقى بشيخها المشهور أبو زيد عبد الرحمن بن أحمد الوغليسي[6] وأبو

---

[1] راهب ألماني وقسيس (1483-1546م)، قاد حركة إصلاح ديني في أوروبا بعد اعتراضه على صكوك الغفران ونشر في ذلك رسالة مؤلفة من خمس وتسعين نقطة تتعلق أغلبها بلاهوت التحرير تتلخص في فكرة أن الخلاص أو غفران الخطايا هو هدية مجانية ونعمة من الله، وقد لقي معارضة شديدة من البابا وأيده بعض ملوك أوروبا مما نتج عن ذلك حروب دينية في القارة الأوروبية بين المذهب الكاثوليكي البابوي والبروتستانتي اللوثري.

[2] عبدالله (نجمي) وآخرون، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب دراسات تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، ط01، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط-المغرب، 1997، ص ص(77-120).

[3] محمد بن ميمون (الجزائري)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص385.

[4] مدينة جزائرية تقع جنوب شرق مدينة الجزائر العاصمة بحوالي 80كم.

[5] عبد الرزاق (قسوم)، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ط1، عالم الأفكار ، الجزائر ، 2007، ص35.

[6] أبو زيد عبدالرحمن بن أحمد الوغليسي البجائي، (ت 786هـ)، من أشهر علماء بجاية في عصره ومفتيها.

العباس أحمد بن إدريس[1]، وقد أخذ القراءة عن أبو الحسن علي بن عثمان المانجلاني، والتجويد عن الربيع سليمان بن الحسن، كما أخذ العلم عن جملة من المشايخ الذين اشتهرت بهم بجاية أمثال: أبو مهدي عيسى الغبريني، وأبو العباس أحمد النقاوسي[2] وأبو القاسم المشدالي [3].

سافر الثعالبي إلى تونس بعدما استقر لمدة سبع سنوات في بجاية، وهناك تتلمذ على يد تلامذة الشيخ ابن عرفة منهم أبو مهدي عيسى الغبريني[4] الذي يقول عنه الثعالبي " واحد زمانه علما ودينا، وإليه كانت الرحلة في زمانه "، إضافة إلى أبو عبد الله محمد بن خلف الأبي وأبو القاسم البرزالي ويوسف يعقوب الزغبي، ولم يتوقف الثعالبي عند تونس بل واصل إلى مصر، حيث سمع البخاري عن أبي عبد الله محمد البلالي ثم إلى مكة فحضر قراءة شيء من الموطأ بها، وأثناء رجوع الثعالبي من رحلته، نزل بمصر وحضر مجلس أبي عبد الله البساطي شيخ المالكية بها، وأخذ علم الحديث عن شيخ المحدثين بمصر آنذاك ولي الدين أحمد بن عبدالرحيم العراقي والذي أجازه، ثم رجع إلى تونس، فوجد أبو مهدي عيسى الغبريني قد مات وخلفه في موضعه أبو عبد الله محمد القلشاني الذي أخذ عنه الثعالبي ولازمه مدة طويلة[5].

اكتسب الثعالبي ثقافة واسعة في شتى العلوم خاصة علم المنطق واللغة والحديث وعلم الكلام نظرا لتعدد رحلاته العلمية وكثرة شيوخه الذين أخذ عنهم العلم، فتتلمذ على يد "الأبي" في الفقه والتفسير وقد منحه إجازة فيهما، وأجازه ابن مرزوق في الحديث كالموطأ الإمام مالك ومسند الشافعي، والشفاء لعياض وجميع مصنفات النووي، كما أجازه في مواد التصوف مثل التصوف للقدسي ورسالة القشيري، كما أجازه شيخه ولي الدين العراقي في عدة مواد متفرقة وكانت تلك الإجازات بمثابة شهادات عالمية تمنح للعالم أثناء تضلعه في أي علم من العلوم من طرف عالم مشهور ومعروف، مثل: شيوخ الأزهر والقيروان وتلمسان.

---

[1] أبو العباس أحمد بن إدريس البجائي، من أشهر علماء بجاية في وقته، وهو شيخ عبدالرحمن الوغليسي، توفى بعد الستين وسبعمائة (760هـ)، له شرح لمختصر ابن حاجب في الفقه. ينظر: أحمد بابا (التنبكتي)، المرجع السابق، ص 99.

[2] أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن النقاوسي نسبة إلى مدينة "نقاوس" بالشرق الجزائري، (ت810هـ/1407م)، من كبار فقهاء المالكية في القرن التاسع الهجري، جامع بين المعقول والمنقول، صوفيا زاهدا واسع الاطلاع على ثقافة عصره، أخذ عنه العلم عيسى الغبريني، من آثاره: "الأنوار المنبلجة في بسط أسرار المنفرجة". ينظر: عبد المنعم القاسمي (الحسيني)، أعلام التصوف في الجزائر من البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، دار الخليل القاسمي، الجزائر، 2005، ص78-79.

[3] عبد الرزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص41-40.

[4] أبو المهدي عيسى بن أحمد بن محمد الغبريني التونسي، قاضي الجماعة بتونس، (ت816هـ). ينظر: عبد المنعم القاسمي (الحسيني)، المرجع السابق، ص78.

[5] عبد الرزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص42-43.

2-محمد بن عبدالكريم المغيلي:

محمد بن عبد الكريم بن محمد بن مخلوف بن علي بن الحسن المغيلي[1]، ينتهي نسبه إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما حسب ما ورد في مخطوط نسب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل توات ودفينها[2]، وقد اختلف المترجمون للمغيلي حول سنة ميلاده والمرجح أنه ولد سنة 820هـ/1417م[3] ، ينتمي إلى عائلة اشتهرت بالعلم والتقوى والتصوف حيث ظهر فيها العديد من العلماء على سبيل المثال: الشيخ موسى بن يحيى بن عيسى المغيلي المازوني[4]، حفظ المغيلي القرءان الكريم وأخذ مبادئ الفقه وأمهات الكتب الفقهية للمذهب المالكي، كالرسالة[5] ومختصر خليل[6] وابن الحاجب[7]، وتعلم الحديث عند الإمام سعيد المقري[8]، وعلوم العربية من الإمام يحي بن إيدر، وتربى على يد أبي العباس الوغليسي[9]، كما أخذ عن عبد الرحمن الثعالبي[10].

---

[1] نسبة إلى قبيلة مغيلة، التي هي إحدى قبائل البربر في المغرب من جيران قبائل حمير أمثال : صنهاجة وكتامة. ينظر: آدم عبد الله (الآلوري)، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجريا،دار الجلي، القاهرة، 1974، ص11.

[2] مؤلف (مجهول)، نسب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل توات ودفينها (ت909هـ/1503م)، مخطوط دون تصنيف، خزانة عبد الله البلبالي، كوسام (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص01.

[3] خيرالدين (شترة)، محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج02، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011، ص342.

[4] مبروك (مقدم)، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وآثار، مجلد 03 ، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر،2011، ص26.

[5] وتسمي كذلك " الرسالة الفقهية " أو ما يعرف بـ: رسالة ابن أبي زيد القيرواني للشيخ الإمام الفقيه أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني الملقب بمالك الصغير (ت386 هـ)، والكتيب على صغر حجمه واختصاره، حوى بين دفتيه أربعة آلاف مسألة، وهي أكثر الكتب انتشار في بلاد المغرب الإسلامي إلى جانب مختصر خليل.

[6] نسبة للشيخ ضياء الدين أبو المودة خليل بن إسحاق بن موسى بن شعيب المالكي المعروف بالجندي (ت776 هـ) ، من أشهر المختصرات الفقهية في المذهب المالكي.

[7] أبو عمرو عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس الدويني المصري الشهير بـ ابن الحاجب (570-646هـ/1174-1249م)، قرأ عند الإمام الشاطبي وأبو الفضل الغزنوي وأبو القاسم البوصيري وغيرهم، وله مؤلفات عديدة منها: كتاب الجامع بين الأمهات في الفقه، وكافية ذوي الأرب في معرفة كلام العرب وهو مقدمة في النحو، وله كتاب في علم الكلام ومؤلفات أخرى أشهرها مختصره في الفقه الذي انتشر ولقي إقبالا شرحا وتدريسا.

[8] أبو الحسن سعيد بن أحمد المقري التلمساني منشأ ودارا عم الشيخ أبي العباس أحمد المقري المشهور ولد عام 928هـ/ 1522م، تولى خطة الإفتاء بتلمسان مدة ستين سنة كما تولى الخطابة بالجامع الأعظم مدة خمس وأربعين سنة ولا يعرف تاريخ وفاته وإنما كان على قيد الحياة عام 1001هـ /1593م.

[9] مبروك (مقدم)، المرجع السابق، ص26.

[10] أحمد بابا (التنبكتي)، المصدر السابق، ص578.

ألف محمد بن عبد الكريم المغيلي في مختلف العلوم، وترك عدة مؤلفات وجدت بعضها مخطوطة منها:

ـ المفروض في علم الفروض: وهذا التأليف في علم الفرائض والمواريث افتتحه المغيلي بعد الحمدلة والصلاة والسلام على رسول الله بقوله: «...فإن المفروض من علم الفروض معرفة الوارث من غيره، وماله من تركة موروثه، فالورثة من الذكور خمسة عشر...»[1]، وله في علم الفرائض تأليف آخر يعرف بـ "مختصر في علم الفرائض" يقول المغيلي فيه متحدثا عن مضمونه: « أما بعد هذا مختصر في علم الفرائض مشتملا على جملة من أمهمات الضوابط بينت فيه المفتقر إليه معتصما بالله متوكلا عليه ورتبت المقصد من ذلك في بابين وخاتمة »[2].

ـ رسالة في أهل الذمة: يقول المغيلي عن سبب تأليف كتابه: «...فقد سألني بعض الأخيار عن ما يجب على المسلمين من اجتناب الكفار وعما يلزم أهل الذمة من الجزية والصغار وعما عليه أكثر يهود هذا الزمان من التعدي والطغيان والتمرد على الأحكام الشرعية بتولية أرباب الشوكة أو حرمة السلطان فأقول والله المستعان...»[3].

ـ فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب: وهو تأليف في المنطق بيّن فيه المغيلي ضوابطه واختلاف العلماء حول تحديد مفهومه فيقول: «أما المنطق فاختلف فيه هل هو علم أو آلة، والتحقيق أنه علم يتعلم فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه، وعلى الثاني قالوا المنطق آلة قانونية تعصم مراعاتها الزمن من الخطأ في الفكر، فهو المتكفل ببيان ترتيب النظر الصحيح »[4]، كما أن للمغيلي منظومة في المنطق، يقول فيها مبيّنا أهميته:

وبعد لما كان علم المنطق ... رعية للذهن من غي يقي

نظمت نظما شاملا قواعده ... راج من الله الكريم المددا[5]

---

[1] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، المفروض في علم الفروض ، مخطوط دون تصنيف، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر، ص01.

[2] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في علم الفرائض، مخطوط دون تصنيف؛ خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر، ص01.

[3] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في أهل الذمة، مخطوط دون تصنيف ، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص01.

[4] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط دون تصنيف، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته(ولاية أدرار)- الجزائر، ص01.

[5] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط دون تصنيف، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص02.

ـمصباح الأرواح في أصول الفلاح: يقول عنه السنوسي بعدما أطلع عليه: «...طالعت هذا التأليف المسمى بمصباح الأرواح في أصول الفلاح فوجدته تأليفا مشتملا على تحقيق علوم الشريعة وأصول الدين...غالبا لا يصدر إلا من قلب مستنير بأنوار الولاية و المعارف اللدنية والمواهب القدسية والحكم الربانية »[1].

-رسالة في الرد على المعتزلة ذكر المغيلي فيها: «...فإنك سألتني أن أكتب لك جملة مختصرة في الرد على المعتزلة، فأعتقد أنهم الفاسدة وذكرت أن طائفة من الغرابية ببلاد المغرب بينهم قوم من المالكية...»[2]، كما كانت للمغيلي مراسلات بينه وبين أمير آسكيا الحاج محمد بن أبي بكر مملكة سنغاي سلطان حول قضايا الحكم والسياسة وشؤن المسلمين[3].

و للمغيلي مؤلفات أخرى منها: مغني النبيل في شرح مختصر خليل، وتأليف في المنهيات، ومختصر تخليص المفتاح وشرحه، ومفتاح النظر في علم الحديث، وشرح الجمل في المنطق، وله قصائد منها الميمية على وزن البردة(البحر البسيط) في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام[4]، ولا تزال معظم مؤلفات المغيلي مخطوطة.

3-عبدالكريم الفكون:

عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم بن قاسم بن يحي الفكون ولد بقسنطينة سنة 988هـ/1582م،[5] من عائلة عريقة توارثت العلم واشتهرت بوفائها للحكم العثماني، تلقى تعليمه الأول بقسنطينة على يد والده محمد الفكون فاكتسب ثقافة متينة واطلاع واسع على علوم عصره.[6]

أخذ عبد الكريم الفكون العلم عن مجموعة من الشيوخ كما تأثر بمحيطه الاجتماعي والثقافي، فقسنطينة آنذاك كانت تعيش على تراث مجموعة من المفكرين والعلماء من أمثال عمر الوزان وعبد الكريم الفكون الجد

---

[1] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مخطوط دون تصنيف، مكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، أولف (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص29.

[2] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في الرد على المعتزلة، مخطوط دون تصنيف ، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص01.

[3] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، أجوبة المغيلي على أسئلة الأمير أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر سلطان مملكة سنغاي بالسودان الغربي، مخطوط دون تصنيف ، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر .

[4] عبد الرحمن (الجيلالي)، تاريخ الجزائر العام، المرجع السابق، ص35.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان، 1986، ص57.

[6] ناصر الدين (سعيدوني)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999، ص353.

وعبد الرحمن الأخضري ويحيى الأوراسي ...ومما لاشك فيه أن عبد الكريم الفكون استفاد من هذا النشاط الفكري والثقافي في قسنطينة[1] ، ومن شيوخه نذكر: يحيى الأوراسي وسليمان القشي الذي أخذ عنه العقيدة والفقه والنحو، كما قرأ الفكون الحساب وبعض الفرائض على يد الشيخ عبد العزيز النفاتي، وبعض مسائل الاسطرلاب على يد الشيخ محمد الفاسي المغربي [2].

ورث عبد الكريم الفكون عن والده وجده وظائف الجامع الكبير (الأعظم) بقسنطينة، وهي التدريس به وإمامة المصلين فيه والخطبة على منبره يوم الجمعة والأعياد، والسهر على أوقافه (أحباسه) ، وإمارة ركب الحج والتلقيب بشيخ الإسلام وهما وظيفتان لم يلقب بهما قبله من عائلة الفكون بما في ذلك والده الذي توفى سنة 1045هـ/1637م[3].

اعتنى عبدالكريم الفكون بالتأليف كما اشتغل بالتعليم والتدريس والوظائف الأخرى التي ذكرناها، حيث ترك مؤلفات عديدة منها: منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، محدد السنان في نحو إخوان الدخان (انتهى منه 1025هـ/1617م)، ديوان شعر في المديح النبوي (انتهى سنة1031هـ/1623م)، تقييد ذكر فيه مرضه (1025هـ/1617م-1028هـ/1620م)، وسماه "شافية الأمراض لمن ألتجأ إلى الله بلا اعتراض" أو "العدة في عقب الفرح بعد الشدة" ،كما ألف الفكون "الدرر على شرح المختصر"، ويقصد بالمختصر "مختصر الأخضري في فقه العبادات"، وله مجموعة خطب[4]، وتأليف في علم الصرف سمّاه "فتح اللطيف في علم الصرف"[5].

هذه ترجمة مختصرة لثلاث علماء اخترتهم كنماذج لعلماء التجديد والإصلاح، وسأحاول في الجزء الثاني من هذا الفصل إبراز مواقفهم من القضايا الثقافية ومقارنتها مع موقف الأخضري في ثلاث قضايا أساسية هي: التصوف، المنطق، وأدعياء العلم.

---

[1] عبيد (بوداود)، «تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"»، مجلة الحضارة الإسلامية ،ع12، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، جوان2005، ص321.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الاسلام عبدالكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص61.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص69.

[4] عبيد (بوداود)، المرجع السابق، ص323-324.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص181-230.

ثانيا: قضايا الثقافة

1-التصوف والمتصوفة:

حدث جدل كبير حول مسألة التصوف من حيث أصوله، وطرائقه وأهدافه، ولم يتوقف هذا الجدل عند عصر معين بل استمر عبر عصور الفكر الإسلامي؛ فكان في كل عصر بين مؤيد ومنكر، ومناصر ومعارض، ومتعصب ومتحامل، وعرفت الجزائر هذه الوضعية مثل باقي بلدان العالم الاسلامي[1]، فخلال القرنيين التاسع والعاشر الهجريين أصبح التصوف يتصدر المشهديين الثقافي والاجتماعي، وانتشر بين العامة والخاصة، وأخذ طابعا جديدا أطلق عليه العديد من الباحثين مصطلح "التصوف الشعبي"[2]، وفي مقابل التصوف النخبوي، وتعددت تياراته منها: تيار التصوف السني، تيار التصوف السني الفلسفي، تيار التصوف الفلسفي. ونظرا لأن قضية التصوف بين التنظير والعمل إحدى أبرز القضايا التي تناولتها أقلام العلماء في الفترة المدروسة فقد ارتأيت أن أبين موقف عبدالرحمن الثعالبي وعبدالرحمن الأخضري، وعبد الكريم الفكون ومحمد بن عبد الكريم المغيلي من التصوف والمتصوفة المعاصرين لهم؟.

يعرف ابن خلدون التصوف على أنه: « العكوف على العبادة والانقطاع إلى الله تعالى والإعراض عن زخرف الدنيا وزينتها، والزهد فيما يقبل عليه الجمهور من لذة ومال وجاه، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة"[3]، فالتصوف إذن عند ابن خلدون وغيره عبادة، ومجاهدة النفس ومحاولة لإدراك الحقيقة، وأن غاية المتصوف هو التوحيد والمعرفة، أما رجال الطريقة أنفسهم يختلفون حول تعريف التصوف حسب الوسائل التي يستعملونها للوصول إلى هدفهم؛ فالبعض يراه في الممارسات ووسائل التي توصل للحقيقة، وهي: ممارسة التطهر والتقشف والقيام بالواجبات الشرعية على أتم وجه، والتحلي بالأخلاق والفضائل وتجنب كل الشبه والمزالق، بينما يراه آخرون منهم في الوصول إلى الإلهام والكشف والرؤى، ولكن النتيجة واحدة وهي التسامي والتطهر

---

[1] ابراهيم (مياسي)، «موقف العلامة الأخضري من التصوف»، مجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر 2008، ص76.

[2] من الذين تحدثوا عن التصوف الشعبي، وعن عادات وتقاليد المجتمع الجزائري وعلاقتها بالتصوف لويس رين، ينظر:
Louis Rinn , marabouts et khouans étude sur l' islamen Algérie, éditeur libraire, Alger, 1884.

[3] عبدالرحمن (ابن خلدون)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج01، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2001، ص611.

للوصول للدرجة العليا في القربى إلى الله ونيل رضاه[1] ، وبالتالي يمكن القول: أن التصوف مرحلة متقدمة من مراحل اجتهاد العبد في عبادة الله عز وجل من أجل التقرب ونيل الرضا.

يتضح موقف عبدالرحمن الأخضري من التصوف في مؤلفه" شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون"؛ حيث يقول: «والمقصود من المثال حث الطلبة على الدخول في طريقة التصوف، التي هي طريقة أصفياء الله وأكابر أولياءه من الأقطاب والأبدال والرجال السالكين إلى سبحانه وتعالى»[2]، وبالتالي فهو يدعو طلبه العلم إلى التصوف ولا يرفضه، بل استخدام الأخضري لمبادئ التصوف في مؤلفاته ومنظوماته دعوة منه لتعميمه في المنظومة التعليمية والتربوية، ثم يبين اختلاف العلماء في تفسير التصوف واشتقاقاته ويرجح أن التصوف من أهل الصفة[3]، فيقول: « ومنها أنها منقول من الصفة، لأن صاحبه تابع لأهل الصفة رضي الله عنهم فيما أثبت الله لهم من الوصف وهذا أرجحهما إن شاء الله لأن الصوفي يعبد الله بالغداة والعشي»[4].

يشترط عبد الرحمن الأخضري التفقّه في الدين قبل التصوف، فزيادة العلم تسهل معرفة الحقيقة وتزيد في العبادة، كما يدعو المتفقهين إلى التصوف فيقول:« لكن لا تصوف إلا بالفقه، كما لا فقه إلا بتصوف، هذا تعرف به الأحكام وهذا تعرف به الأحوال، فيحفظ الجوارح الظاهرة والباطنة من المخالفة...فينبغي على طالب العلم أن يجمع بينهما من أول بدايته لتحصل له بركة العلم والعمل، قال إمام دار الهجرة مالك رضي الله عنه: من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق، ومن جمع بينهما فقد تحقق»[5].

يبيّن الأخضري في منظومته القدسية طريق التصوف، كما يبيّن أهدافه وغاياته، ويرى أن سبيل التصوف هو تطهير النفس من الشهوات سواء الحسية أو المعنوية، والزهد في الدنيا وملذاتها مثل حب الرياسة والمال وغيرهما[6]، ومن كل الأمراض النفسية كالبغض والحسد والحقد والكذب والرياء، ويتم تطهير النفس عن طريق المجاهدة بالذكر مع التزام شروطه، والإخلاص في العمل مع اجتناب الرياء الذي يحبط الأعمال، وقد حذر من ذلك لأن الكثير ممن يتعبد، لكن القليل من تقبل عبادتهم لإخلاصهم في عملهم؛ فيقول:

---

[1] إبراهيم (مياسي)، المرجع السابق، ص77.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص24.

[3] اسم أطلق على بعض فقراء المسلمين الذين كانوا يأوون إلى صفة بناها الرسول صلى الله عليه وسلم خارج المدينة. ينظر: اسماعيل (العربي)، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ط01، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993، ص85.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، المصدر السابق، ص25.

[5] المصدر نفسه، ص25.

[6] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص142.

فالعـــاملون في الورى كثير والثابتون عمـــــلا يسير
فتحبط الجل من الطاعات وهذه من أعظم الآفات[1]

ويرى الأخضري أن من صفات المريدين والمتصوفة الزهد في الدنيا وتقصير الأمل؛ بحيث لا يكون له طموح التملك ورغبة البقاء، كما أن قلبه دائما حيا يقضا، خائفا، ويكثر من الذكر والأعمال الصالحة فيقول:

ما حل وفد الراصدين مرصدا ورام حزب الواردين موردا
إلا بأخماص البطـــون والسهر والصمت والعزلة عن كل البشر
والزهد في الدنيا وتقصير الأمل وفكرة القلـب وكثرة العمـــــل
والخوف والذكر بكل حـــال والصبر والقـــوت من الحـــلال
وفعل أنواع المعـــــــاملات وفعل أركان المجـــــــاهدات[2]

كما يتعرض الأخضري إلى ما يجب أن يلتزم به المريد من الطاعة والذكر والخشوع والتضرع إلى الله عز وجل ومناجاته، وتصفية القلب وتزكية النفس والروح[3].

إن نظرة عبدالرحمن الأخضري للتصوف تنطلق من الفلسفة العامة لأهداف ومقاصد التصوف والغاية منه، فهو لم يتعرض لنهج طريقة معينة، بل أخذ الأمور من أصولها ولخصها في ترويض النفس وتزكية الروح، وتصفية القلب بملازمة الذكر، والابتعاد قدر الإمكان عن الشهوات المادية والحسية، ومن يطالع ما كتبه الأخضري في التصوف سيلاحظ أنه يكاد يلخص التصوف في الذكر الذي يراه شفاء لكل أمراض النفس والقلب. هذا عن موقف الأخضري من التصوف فما موقفه من متصوفة زمانه؟

انتقد الأخضري من ابتدعوا في التصوف من متصوفة زمانه فيقول عنهم:

قد ادعوا مراتبا جليـلة والشرع قد تجنبوا سبيـــــله
قد نبذوا شريعة الرسول فالقوم قد حادوا عن السبيل
لم يدخلوا دائرة الطريقة فضلا عن دائرة الحقيـــقة[4]

إن من يقرأ ما كتبه الأخضري في المبتدعين في التصوف من زمانه سيستنتج أن هؤلاء إنما ركبوا سفينة التصوف لمصالح وأهداف تختلف عن غاية التصوف الحقيقية، بل قد تتعارض معها في بعض الأحيان، فالبعض

[1] المصدر نفسه، ص143.
[2] المصدر نفسه، ص145.
[3] المصدر نفسه، ص146.
[4] المصدر نفسه، ص145.

دفعه الفقر إلى التطلب بصورة المتصوف مستغلا سذاجة العامة وناسيا صفة الزهد والتعفف، واتهمهم الأخضري بالخيانة:

كفاك من جميعهم خيانة إذ اختلوا الدين بالديانة[1]

ثم يفصل بين المتصوف الحقيقي الرباني، وبين المدعي فيقول:

إذا رأيت رجـــلا يطير وفوق ماء البحر يسير

ولم يقف عند حدود الشرع فذاك مستدرج وبدعي[2]

يتبين لنا مما سبق أن الأخضري من المتصوفة الذين دعوا إلى التصوف بعد التفقه في الدين ومراعاة أحكام الشرع، وعارض كل من أراد أن يلصق مظاهر بالتصوف وينسب إليه بدع لا علاقة له بها.

ارتبط اسم الثعالبي بالتصوف والزهد، ومن تم فإن موقفه من التصوف واضح؛ بحيث دافع عنه وواجه كل من تعرض إليه بالإنكار والتضليل، وقد ألف عدة كتب بين فيها طبيعة التصوف، والعلاقة بين الشريعة والحقيقة وطريقة الجمع بينهما ومن تلك المؤلفات: حقائق التصوف، رياض الصالحين، التقاط الدرر، العلوم الفاخرة في النظر في الأمور الآخرة، الأنوار المضيئة الجامعة بين الشريعة والحقيقة[3].

يتقاسم الثعالبي مع الأخضري في فكرة أن الكتاب والسنة المرجعية الأساسية للسلوك والفكر الصوفي؛ حيث يقول عبد الرزاق قسوم عن تصوف الثعالبي ونهجه ما يلي:« إن التصوف الذي نهجه الثعالبي هو تصوف يعتمد على الكتاب والسنة، ويرفض كل أنواع الجدل»[4]، فهو إذن لم يأخذ التصوف من منظوره الفلسفي كما لم يقبل بأي تصوف خارج عن الكتاب والسنة، فالتصوف عند الثعالبي هو السعي لمعرفة الحقيقة بعد اتقان معرفة الشريعة، ويلتقي الأخضري معه في ذلك إذ لا تصوف بدون تفقه.

اشتهر الثعالبي بالتصوف والزهد مثلما اشتهر العديد من العلماء بعلوم أخرى كـ "ابن سينا" بالطب، وابن رشد بالفلسفة، وابن خلدون بالتاريخ، فيقول أبو القاسم سعد الله: «إن اسم الثعالبي قد أُلصق بالزهد والتصوف كما ألصق اسم ابن رشد بالفلسفة وابن خلدون بالتاريخ والاجتماع»[5]، ويرتكز طرح الثعالبي للتصوف على أربع قواعد أساسية وهي: التوبة والورع والزهد والتوكل؛ فيعرف التوبة بأنها الرجوع من أفعال

[1] المصدر نفسه، ص145.

[2] المصدر نفسه، ص145.

[3] عبد الزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص72.

[4] المرجع نفسه، ص74.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق، ص91.

مذمومة إلى أفعال محمودة، والورع في ترك الشبهات فيقول:« ولا خفاء أن المكاسب المجمع على تحريمها يجب تركها على المكلف، ولكن لا ينبغي الاقتصار على تركها فقط بل يترقى إلى ترك الشبهات»، ويحدد الزهد في كلامه « وإياك أن تغفل عن الله طرفة عين، واعلم أن ذلك لم يتيسر ما لم تنقطع عن الدنيا بقدر ضرورتك والضرورة مطعم ولباس ومسكن والباقي كله فضول»، ويعلق عبد الرزاق قسوم على هذه العبارة بقوله:« ويبدو أن الثعالبي في هذا النص معتدلا في زهده إذ لم ينكر ضروريات الحياة، فهو يكره الانغماس في الملذات ومظاهر البذخ ولكنه لا يدعو إلى قتل الجسد وتعريضه للفناء»[1].

إن موقف الفكون من التصوف لا يختلف عن موقف الثعالبي والأخضري من الناحية النظرية، وإنما الاختلاف يكمن في النقد اللاذع الذي وجهه لمتصوفة عصره، فقد كان عبدالكريم الفكون شاذليا زروقيا، وهو لا يخفي ذلك أو ينكره بل يعلنه في غاية الصراحة وكان يسير على مقتضى الطريقة الشاذلية في آرائه وسلوكه، وقد تأثر بهذا التعاليم من خلال ثلاث مصادر؛ فالأول: أنه أخذ عن والده عن جده عن عمر الوزان الذي قال عنه الفكون دعوة من دعوات الشيخ زروق، والمصدر الثاني: أنه قرأ عن الشيخ يحي الأوراسي الذي أخذ الطريقة الزروقية عن شيخه طاهر بن زيان الزواوي عن أحمد زروق عن عبد الرحمن الثعالبي، والمصدر الثالث أن الفكون درس قصيدة القدسية لعبد الرحمن الأخضري التي أُعجب بها إعجابا شديدا[2]، وبالتالي فعبدالكريم الفكون لم ينكر التصوف، ولكن انتقد المنتسبين للتصوف كما يذكر سعد الله: «لكن أهل عصره انحدروا به إلى الدرك الأسفل وأساؤوا فهمه، كما استغلوه في سلب العامة أموالها وتخدير عقولهم وتعطيل الأعمال التي أمر الله بها ولذلك كان يكثر باستشهاد من آثار المتصوفة الأقدمين مثل البسطامي وإبراهيم الشاطبي والغزالي»[3].

إن ثورة الفكون إذن، ليست على التصوف في حد ذاته، ولكن على سوء فهمه واستغلاله، وليست على المتصوفة عموما ولكن على الدجالين المشعوذين أو "أدعياء الولاية" كما سماهم، أولئك الذين اتخذوا تلاميذ من النساء والرجال، ونصبوا أنفسهم لإعطاء العهد وتلقين الأوراد، وكانوا يخالطون الظلمة والمفسدين ويدخلون على النساء في بيوتهن، واستشهد ببعض القصص الواقعية ومنها ما كتبه في ترجمته للشيخ بوكلب الذي تعلق بامرأة وتعلقت به حتى أنها كانت تبيت عنده فلما حملت منه قالت إن الأولياء أعطوها له[4].

---

[1] عبدالرزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص ص(82-89).

[2] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص ص(109-111).

[3] المرجع نفسه، ص113.

[4] المرجع نفسه، ص114.

2-قضية المنطق:

المنطق كما عرفه ابن خلدون: «هو قوانين يعرف بها الصحيح من الفاسد في الحدود المعروفة للماهيات، والحجج المفيدة للتصديقات»[1]، وقد ابتكره علماء اليونان وتناوله فلاسفة المسلمين بالدراسة والشرح والتلخيص كالفرابي وابن سينا، وجاء المتأخرون فغيروا مصطلح المنطق وألحقوا به الكلام والجدل، وقد انكر بعض الفقهاء على دراسة المنطق وطعنوا فيه وحذروا منه، وأفتوا بعدم تعلمه وتعليمه إلى أن جاء الغزالي والإمام فخر الدين بن الخطيب فرغبوا في تدريسه وبينوا فضائله وفوائده ورغم ذلك فقد بقي محل انتقاد ورفض وقبول من طرف علماء المسلمين. فما موقف عبد الرحمن الأخضري ومحمد بن عبدالكريم المغيلي من المنطق؟ وهل هناك تواصل فكري بين الأخضري وما كتبه المغيلي في المنطق؟

يرى عبدالرحمن الأخضري أن المنطق: « آلة قانونية تعصم مراعاتها الذهن من الخطأ في الفكر»، ويقصد بمراعاتها التقييد وليس العصمة، فمن يستخدم المنطق يقيد وفقا لقواعده وضوابطه؛ حيث يقول: «فقولهم مراعاتها تنبيه على أن المنطق نفسه لا يعصم الفكر، بل يقيد المراعاة إذ قد يخطأ المنطقي لذهوله عن المراعاة كما ان النحوي قد يلحن لذهوله أيضا»[2]، وبالتالي فإن الوصول إلى الحقيقة عن طريق المنطق تتوقف على طريقة الاستخدام ومؤهلات المستخدم، ويأخذ الأخضري برأي بعض العلماء في تعريف المنطق على أنه علم فيقول: «المنطق علم يعرف به كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه»[3]، ويرى أن الاختلاف بين التعريف الأول والثاني إنما هو اختلاف لفظي لا معنوي.

يبين الأخضري أهمية المنطق ويشبهه بدور النحو في اللغة، فقد يسئ فهم من لحن في القول مثلما قد يسئ فهم من أخطأ في ترتيب الأفكار وفقا لتسلسل منطقي واستخراج النتائج من المقدمات فيقول:

وبعد فالمنـــــطق للجنـــــان نسبتـــــه كالنحو للســـــــان[4]

يشير الأخضري إلى الاختلاف بين العلماء حول جواز الاشتغال بعلم المنطق فيقول:" اختلف فيه على ثلاثة أقوال كما ذكر، فمنعه النووي وابن الصلاح، واستحبه الغزالي ومن تبعه قائلا من لا يعرفه لا يوثق بعلمه"[5]، ويقول كذلك في منظومة السلم:

---

[1] عبدالرحمن (ابن خلدون)، المصدر السابق، ص644.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص03.

[3] المصدر نفسه، ص03.

[4] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص01.

[5] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص04.

والخلف في جواز الاشتغال به على ثلاثـــة أقـــوال

فابن صلاح والنووي حرما وقال قوم ينبغي أن يعلما

والقولة المشهورة الصحيحة جوازه لكـــامل القريـــحة[1]

فموقف الأخضري من الاشتغال بالمنطق موقف وسطي؛ فهو لا يحرمه كما لا يجعله ضروري، بل جعله جائز بشرط سلامة العقل عالم بالكتاب والسنة فيقول: «والمختار الصحيح جوازه لذكي القريحة صحيح الذهن سليم الطبع ممارس الكتاب والسنة لئلا يؤول به إلى اتباع بعض الطرق الوهمية، فيفسد المقدمات والأقيسة النظرية فتزل قدمه في بعض الدركات السفلية "[2]، وبالتالي فإن الأخضري اشترط الكتاب والسنة في الاشتغال بعلم المنطق وسلامة العقل، وقد «رد على الرافضين لفن المنطق بدعوى أنه يحث على الالحاد»[3].

إن موقف الأخضري من المنطق واضح وهو جواز الاشتغال به خاصة لدى العلماء المجتهدون، بل أن تأليفه للسلم المرونق بتلخيص وتبسيط مبادئ المنطق هو دعوة منه لنشره بين كافة طلبة العلم في عصر تميز بالجمود الفكري، فدراسة المنطق هو تحريك للعقل من أجل الإدراك السليم للحقائق، وقد تأثر الأخضري به تأثرا كبيرا، يظهر ذلك في مؤلفاته وطريقة معالجته للقضايا.

يعد محمد بن عبدالكريم المغيلي من أكثر علماء القرن الخامس عشر الميلادي تحمسا لتدريس علم المنطق وتعميمه، بل يراه ضروريا ففي تعريفه له يقول: «إنما هو علم المنطق علم يتعلم فيه كيفية الانتقال من أمور حاصلة في الذهن لأمور مستحصلة فيه، ولذلك قال الإمام الغزالي –رحمه الله تعالى-: المنطق مقدمة للعلوم كلها، ومن لم يحط به علما لا ثقة له بفهمه أصلا، وعلى ذلك يخل الاعتماد عليه في شتى من الأحكام والبحث معه حرام»[4]، ولم يتعرض المغيلي إلى الاختلاف بين العلماء حول الاشتغال بعلم المنطق، وهو ما يدل على أخذه لرأي الغزالي استدلالا واستشهادا لرأيه وتدعيمه له.

يرى المغيلي أن انتقال المعرفة من وإلى ذهن الانسان تتم عبر المنطق-أي عبر التسلسل المنطقي- فتكون أقرب إلى الصواب كلما كان طالب العلم له دراية بعلم المنطق ومبادئه وقواعده، وأقرب إلى الخطأ كلما جهل طالب العلم بمبادئ المنطق، بل يرى أن الخلل ليس في المعرفة أو العلم، وإنما في طريقة تصور تلك المعرفة،

---

[1] عبدالرحمن (الأخضري)، السلم المرونق، المصدر السابق، ص02.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص04

[3] محمد لمين (بلغيث)، «المنطق والفكر العقائدي من أبي عبدالله يوسف بن محمد السنوسي إلى عبدالرحمن الأخضري قراءة في الدرس المنطقي والأصولي»، مجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر 2008، ص73.

[4] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المصدر السابق، ص02.

فيقول: «وأما العلم فحصول صورة أمر في الذهن، والمعلوم هو الصورة الحاصلة في الذهن، وأما تلك الجهة- ويقصد بها استخدام المنطق- فهي إدخال الداخل وإخراج الخارج، لأن الخطأ إنما يقع بإدخال ما ليس بإدخال وإخراج ما ليس بإخراج»[1].

إن موقف المغيلي من المنطق هو: ضرورة دراسته وتعلمه لطالب العلم والعالم؛ فطالب العلم يحتاجه في تحصيل العلوم وفهمها، والعالم يحتاجه في اجتهاداته، ومما يدل على تحمس المغيلي للمنطق مناظرته الشهيرة مع جلال الدين السيوطي الذي أخذ برأي تحريم المنطق ورد عليه المغيلي في قصيدة جاء فيها:

سمعت بأمر ما سمعت بمثلـــه وكل حديث حكمه حكم أصله
أيمكن أن المرء في العلم حجة وينهي عن الفرقان في بعض قوله
هل المنـطق المعني إلا عبـــارة عن الحق أو تحقيق حين جهلـه
معانيــه في الكـلام فهل ترى دليلا صحيــحا لا يرد شكلــه[2]

وفي هذه الأبيات يتبن لنا النظرة الشاملة لمفهوم المنطق عند المغيلي، فسماه الفرقان والحق، ومن يتمعن في كلام الناس سيجدهم يستخدمون المنطق سواء عرفوا أم جهلوا بقواعده من أجل الدفاع عن آراءهم وأفكارهم، ويختلف من شخص لآخر حسب إدراكه للقضية ومستواه المعرفي وقدرته على استخراج النتائج من المقدمات، ورد عليه السيوطي بقصيدة مطلعها:

حمدت إله العرش شكرا لفضله وأهدي صلاة للنبي وأهله
عجبت لنظم ما سمعت بمثلــه أتـاني عن حبر أقر بنبلــه
تعجب مني حين ألفت مبتدعا كتابا جموعا فيه جم بنقله[3]

ثم ينتقد السيوطي المغيلي لتسميته المنطق بـ"الفرقان والحق" فيقول:

وسماه بالفرقان يا ليت لم يقل فذا وصف قرآن كريم لفضله[4]

ويتحدث المغيلي عن أصول المنطق فيقول: «وأصول المنطق ضرورية وهي أربعة؛ فالأول للنسب الاربع وهي المباينة والمساواة والعموم والخصوص المطلق...والثاني الاحكام الأربعة وهي الايجاب الكلي، الايجاب

[1] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، المصدر السابق، ص01.
[2] مبروك (مقدم)، المرجع السابق، ص105.
[3] آدم عبدالله (الألوري)، المرجع السابق، ص23.
[4] المرجع نفسه، ص23.

الجزئي، والسلب الكلي، السلب الجزئي، والثالث مقتضى النسب من الأحكام، فمقتضى المباينة السالب الكلي، ومقتضى المساواة الإيجاب الكلي وكذلك العموم المطلق إن حكمت بالأعم على الأخص...والرابع مقتضى الأحكام من النسب، فمقتضى الإيجاب الكلي كون المحكوم به غير مباين للمحكوم عليه ولا أخص منه، ومقتضى الإيجاب الجزئي غير مباين، ومقتضى السلب الكلي كونه مباينا، ومقتضى السلب الجزئي كونه غير مساوي ولا أعم مطلق، وعلى هذا الأصل يبنى التناقض والعكس والقياس والاقتران والاستثناء»[1].

إن موقف المغيلي من المنطق يتفق فيما ذهب إليه من بعده الأخضري بل يراه ضروريا تأييدا للغزالي، بينما الأخضري أجازه فقط كرأي وسط بين من حرمه ومن اشترطه في تحصيل المعرفة والاجتهاد، كما أن المغيلي كان أكثر تحمسا لتدريسه وتعلمه، فهو لا يرى المنطق ذلك العلم الذي يخوض في الغيبيات وسبب من أسباب ظهور الفرق والتيارات الضالة، بل يراه ذلك العلم بمبادئه التي يستخدمها طالب العلم والعالم في إظهار قوله أو توضيحه أو الاستدلال عليه، ويتفق الأخضري مع المغيلي في ذلك، بل أن هناك تشابه بين منظومة المغيلي والأخضري في المنطق. فهل تأثر الأخضري بمؤلفات المغيلي في المنطق؟

يرى مبروك مقدم أن هناك إمكانية تأثر الأخضري بمؤلفات المغيلي في المنطق، وربما قد اطلع على كتابه منح الوهاب وعلى أساسه نظم السلم المرونق فيقول:« لا أستبعد تأثر الإمام عبدالرحمن الأخضري بفكر وآراء الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي وهو الذي لم يراه»[2]، ويستدل على ذلك أن الأخضري قد تنقل من أجل العلم، وقد يكون اطلع على مصدر من مصادر المغيلي خصوصا وأن أفكار المغيلي حديثة العهد، كما أن الشيخ الأخضري نظم "سلمه على نمط رجز الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي"[3].

إن دراسة منظومة منح الوهاب للمغيلي ومنظومة السلم المرونق للأخضري وكلاهما في علم المنطق، نجد بينهما تطابق كبير بين الفصول وترتيبها، وفي المضمون وحتى في الأفكار؛ فكلا المؤلفين يرى ضرورة الاشتغال بعلم المنطق، ولا تتعارض دراسته مع مقاصد الشرع الإسلامي، ونظرا لتشابه الشديد بين المنظومتين فإن أحد الباحثين يكاد يجزم بوجود تواصل فكري بين المغيلي والأخضري، فيقول: «فالناقد البصير لا يغيب عليه ذلك التواصل الفكري الذي حصل بين العالمين وإن لم يلتقيا»[4].

---

[1] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المصدر السابق، ص3-4.

[2] مبروك (مقدم)، الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني، المجلد الرابع، المرجع السابق، ص128.

[3] المرجع نفسه، ص128.

[4] المرجع نفسه، ص136.

إن التشابه بين الإنتاج الفكري للأخضري والإنتاج الفكري للمغيلي لم يكن في المنطق فحسب، بل في النحو والبلاغة كذلك وهو ما يرجح إمكانية تأثر الأخضري بمؤلفات المغيلي، فقد ألف الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون كتلخيص لكتاب "تلخيص المفتاح" للقزويني، وقد اتبع نفس المنهج الذي اتبعه المغيلي في تلخيصه نفس المصدر في مؤلفه المعروف بـ "مختصر تلخيص المفتاح"؛ حيث يقول آدم عبدالله الألوري: «وهناك شواهد أخرى تؤكد اقتباس الأخضري من المغيلي...ربما يؤدي البحث إلى القول بأن الأخضري قد وقف على مختصر المغيلي في البلاغة وشرحه الذي شرحه بنفسه، فجاء الأخضري يقفوا أثره»[1] في نظم الجوهر المكنون على نمط مختصر تلخيص المفتاح بنفس المنهج مستعينا كلاهما بـ" تلخيص المفتاح" للخطيب القزويني.

3- العلم والعلماء:

تسرب الضعف إلى الحياة الثقافية والعلمية بصفة خاصة، فاختزل العلم في مفاهيم معينة وعلوم محددة، وانتسب إليه الكثير ممن له دراية به، ومن له غاية للانتساب إليه، فأصبحت صفة العالم مصدر لجمع المال والشهرة والمكانة الاجتماعية رغم أن البعض لا يحمل من العلم إلا الشيء القليل أو اسمه، وهو ما أطلق عليهم أحد المصلحين بـ "أدعياء العلم" أو المنتسبين إليه، وآخرون سمّوهم بـ "علماء السوء"، ولاشك أن تزايد عددهم بالجزائر خلال القرنيين التاسع والعاشر الهجريين قد أثر في الحياة الاجتماعية والثقافية. فما هو موقف عبدالرحمن الأخضري والثعالبي والمغيلي وعبدالكريم الفكون من واقع العلم وأدعيائه؟

إن موقف الأخضري من "أدعياء العلم" يتمثل في دعوته لعدم اتباعهم وسماهم بعلماء السوء، وهو يقصد بذلك كل عالم ادعى العلم فيعلم الناس ما لم يعلم، ويفتي بما لا يفقه، ويضيف إلى ذلك العلماء الذين لهم زاد في العلم والمعرفة إلا أنهم يستغلون ذلك لمصالهم الشخصية، فلا يتطابق قولهم مع عملهم، ويرى الأخضري أنهم السبب في نشر الفساد داخل المجتمع، ولهذا حذر منهم قائلا:

وحذر علماء السوء فقد ... خصوا بالإفك وبالخطل

حفظوا الأقوال وما عملوا ... بالعلم فساء القوم قل[2]

ويذكر الأخضري بعض أوصافهم فيقول:

ما حرفتهم إلا لعب ... ولحوم الناس بلا قلل

أرباب قلوب قاسية ... للطاعة أصلا لم تمل

[1] آدم عبدالله (الألوري)، المرجع السابق، ص30.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، المصدر السابق، ص04.

لا يكسبون العلم سوى لرياء النـــاس ولـلجدل[1]

وبما أن العلماء قدوة المجتمع فإن أعمالهم وتصرفاتهم تنعكس على تصرفات العامة، ولهذا نجد الأخضري في تصوره لإصلاح المجتمع يحذر من علماء السوء ويكشف دسائسهم، ويتضح ذلك في قصيدة لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم، ومنظومة القدسية ومما جاء فيها في وصفهم:

واتخذوا مشايخ جهـــالا لم يعرفوا الحرام من الحلال

فنفروهم من دعاة الدين ولي التقى والعلم واليقيـن

وأولعوا بشهوات النفس بكل بدعـي لهم تأســـي[2]

بحثت عن موقف الثعالبي من علماء عصره، لكن تعذر علي وجود نصوص عديدة توضح موقفه إلا ما وجدته في رسالة الجهاد التي بعثها إلى أحد تلامذته في بجاية والتي يحثهم فيها على الجهاد ضد الصليبيين- الغزوات الاسبانية والبرتغالية على شمال افريقيا- حيث ذكر فيها ما يلي:« وقد بعثت إلى بعض الفقهاء منهم بالتحريض من غير كتب، فما رأيت لكلامي عندهم تأثيرا كما أثر هنا»[3]، ويدل هذا النص على وجود بعض الفقهاء الذين تقاعسوا عن الجهاد وفي تحريض المسلمين ضد العدوان الاسباني، كما أن الثعالبي لم يكن راض عن أولئك الفقهاء الذين تماطلوا في دعوة المسلمين للجهاد في سبيل الله والدفاع عن المسلمين وممتلكاتهم.

يعد المغيلي من أكثر العلماء جرأة في موقفه اتجاه " أدعياء العلم"، حيث دعا إلى محاربتهم واعتبر الجهاد فيهم أولى لأنهم أحد أسباب نشر الفساد داخل المجتمع فيقول:« وبسبب هؤلاء العلماء والعباد شاع الفساد في جميع العباد، فالجهاد فيهم وفي أنصارهم أفضل من كل جهاد»[4]، بل ويدعو الحكام إلى التصدي لكل من ينتحل صفة العلماء ويفتي في الدين بما لا يعلم، فيقول:« فمن أعظم الواجبات على أمراء المسلمين حفظ الدين بأن لا يتركوا امرأ يتكلم في دين الله بتعليم ولا حكم ولا فتوى حتى يكون من أهل العلم والتقوى»[5].

---

[1] المصدر نفسه، ص04.

[2] عبدالرحمن (الأخضري)، منظومة القدسية، المصدر السابق، ص147.

[3] عبد الرحمن (الثعالبي)، رسالة في الجهاد ، نشرت في: أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2005، ص210.

[4] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، أجوبة المغيلي على أسئلة أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر...، المصدر السابق، ص03.

[5] المصدر نفسه، ص04.

ويحذر المغيلي من علماء السوء ويدعو لعدم اتباعهم، واتباع العلماء العاملون الذين تثق في اجتهاداتهم، فيقول في مخطوط مصباح الأرواح في أصول الفلاح ما نصه: «فلا تقلد في دينك إلا عالما تقيا يهديك صراطا سويا، ولا تتبع الهوى فتكون للشيطان غويا»[1]، ويصف علماء السوء باللصوص فيقول:« إن كثير من قراء هذه الأمة إنما هم من علماء السوء الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله فهم لصوص الدين، وأضر على المسلمين من جميع المفسدين»[2].

ويرجع أحد الباحثين أسباب نقد المغيلي لعلماء عصره ومعارضتهم له إلى نزعته الإصلاحية؛ حيث يقول:« وفي كل المناطق التي قطن بها-أي المغيلي- أو مر بها فإنه دخل في نقاش مع علماءها، وفي أغلب الأحيان فإن هؤلاء العلماء لم يتفهموا آراءه، وتعود أسباب الاختلاف إلى أن علماء المغرب والصحراء الوسطى، والسودان كانوا جد محافظين خصوصا وأن أفكار المغيلي فيما يخص الدولة الاسلامية تتجه نحو إحداث تغيرات كبيرة على جميع دواليب الحياة"[3].

إن تأليف الفكون لكتابه منشور الهداية في كشف من ادعى العلم والولاية يدل على الانتشار الواسع للذين يستغلون العلم لمصالهم الشخصية أو انتسبوا إليه ولا دراية لهم به، وهذا الكتاب يدل على موقف الفكون اتجاه " أدعياء العلم"؛ حيث يبين فيه دسائسهم وصفاتهم ويرجع أسباب انتشار الفساد داخل المجتمع لهم باعتبارهم القدوة، ففي حديثه عن بعض معاصريه يقول:« وكان أبو عبدالله جادا في طريق الإذاية والنكاية والإغواء بين المسلمين والغواية»[4]، وإذا كان هذا حال القدوة فكيف حال المقتدي، ومثال آخر في حديثه عن عبداللطيف بركات وعلاقته بأبي العباس حميدة «وكانت بينهما فتن عظيمة، وانحاز كل منهما إلى وال من الولاة يعتضد به على صاحبه، فكلما أقبلت دولة أحدهما أدبرت الأخرى، وكل منهما له أعوان وأنصار من الخاص والعام»[5].

كان الفكون من أكثر العلماء انتقادا لعلماء عصره وجرأة في ذكر أسمائهم وكشف دسائسهم، وهو يعتقد في ذلك الحل لإصلاح المجتمع والثقافة من تعليم وفتوى وقضاء...، ومن أمثلة ذلك انتقاده لمحمد الفاسي الذي جاء من المغرب إلى قسنطينة طلبا للعلم والتعلم وبعد مدة قصيرة من مكوثه يقول عنه الفكون:

---

[1] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المصدر السابق، ص15.

[2] محمد بن عبدالكريم (المغيلي)، أجوبة المغيلي على أسئلة أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر...، المصدر السابق، ص01.

[3] مبروك (مقدم)، الإمام محمد بن عبدالكريم المغيلي، المجلد الثالث، المرجع السابق، ص32.

[4] عبدالكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص84.

[5] المصدر نفسه، ص79.

«انتمى إلى بعض المتشبهين بزي الفقهاء من أهل العصر، فأشاد بذكره ونوه به، واجتمع عليه حاشية وأصحابه للإقراء-أي التعليم-، وانتصب للتدريس ونسي ما طلب من القراءة وطلب الإفادة، وأبدى للناس أنه صاحب علوم ولو انقرضت كل العلوم لأحياها وفرح بما لديه»[1].

وانتقد الفكون العلماء الذين يسخّرون علمهم لإعانة حاكم ظالم، فيقول:« من أعان ظالم سلطه الله عليه» وهو يقصد بالظالم، الحاكم غير العادل أو الحاكم الجائر الذي لا يراعي حرمة الله ولا حرمة الرعية، ويرى أن هؤلاء العلماء قد استغلوا ادعائهم للعلم والولاية من أجل التقرب إلى الحكام الظلمة ومساعدتهم على ظلمهم بتسخير علمهم لينالوا بذلك حظوة ومالا[2]، ومثال ذلك ما ذكره في كتاب منشور الهداية حول قضية المختاري اليهودي الذي تعاطى جناب الرسول صلى الله عليه وسلم فحبس وسجن، وقد استفتى عبد الكريم الفكون الجد بقتله، وعارضه بعض العلماء إرضاء للحاكم والجند الذي ثاروا ضد فتوى القتل[3]، وهناك أمثلة عديدة عن استخدام منصب الفتوى إرضاء للحكام وتطريزها بالقول الشاذ لتتلاءم مع رغبة الولي، فيقول عن أبي زكرياء يحي «ويطرز فتواه بحكايات ونُقُول عمّن كان عاصره وتوجيهات حتى يظنها الظّان أنها صواب»[4].

تأسف الفكون عن هبوط حالة العلم في عصره واكتفاء الناس بالقليل منه، بل لقد عم الجهل في نظره وعزف الناس عن المعرفة والبحث والتلقي، فيقول في شرحه أرجوزة المكودي : «وإذا كان حال زمنه ومنار العلم منصوب، وعن آراء الجاهلين برشق نبال البراهين محجوب، فكيف بزماننا الذي فاض فيه عباب الجهل والدعوة، وطلعت كواكب البدع والأهواء، فلا ترى إلا مدعيا في العلم أعلى منصته، ومرتقيا في شامخ التربية أوقع فتنته، جعلوا الطائفتين شباكا لتحصيل الدنيا منصوبة، وحبالات لجمعها بأوتاد حبها مضروبة، وما نظروا إلى عاقبة الأمر وعقابه، والوقوف بين يدي العالم بالخافيات و دقة حسابه»[5].

وانتقد الفكون طريقة تحصيل العلوم في عصره والتي تعتمد على الحفظ وكثرة الرواية دون استيعاب المضمون فيورد كلام ابن عربي" أن العلم ليس بكثرة الرواية وإنما هو ما يحضره عند الحاجة من الدراية، وأن سرد للمعلومات حدث عند فساد القلوب بطلب الظهور والتعالي على الأقران وكثرة الرياء في الأعمال"، وعلق الفكون عن كلام ابن عربي بأنه" يعبر عن صفة الحال" في قسنطينة وغيرها، فلا ترى إلا من يقول: قال فلان،

---

[1] المصدر نفسه، ص73.

[2] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص129.

[3] عبد الكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص ص(64-67).

[4] المصدر نفسه، ص64.

[5] المرجع نفسه، ص134. نقلا عن: عبدالكريم الفكون، مخطوط فتح اللطيف في شرح أرجوزة المكودي.

أو يذكر نص التأليف بدون تغير، فإن صادف الحكم الحكم نجا، وإلا-أي لم يصادف الحكم- أصبح كالصيد في الشبكة، وقد نعى الفكون علماء وقته أنهم كانوا يفعلون ذلك حب للمدح وصرف قلوب الخاصة والعامة إليه، ولو سئل أحد هؤلاء العلماء عن وجه الجمع بين المتشابهين أو الفرق بين المسألتين، يقول: النص هكذا وسيظهر بحفظ النصوص، وهل هذا إلا جمود في غاية الجمود؟[1].

إن موقف علماء الإصلاح الذين اخترناهم كنماذج من "أدعياء العلم" متقارب بل يكاد يكون متفقا حول معارضتهم لهم واعتبارهم السبب في انتشار الفساد الاجتماعي والأخلاقي، والسبب في تدهور حالة العلم والتعليم، والاختلاف يكمن في طريقة التعامل معهم؛ فجاء موقف الأخضري في إطار النصح لغرض التحذير، والفكون فقد خصص لهم كتاب للكشف عنهم وعن دسائسهم، أما المغيلي فقد دعا إلى محاربتهم والجهاد فيهم أولى الأولويات والتصدي لهم من أعظم أمور الأمير، ويرجع الاختلاف إلى ظروف عصر كل عالم من أولئك العلماء وطبيعة النزعة الاصلاحية لديه.

[1] أبو القاسم (سعد الله)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج01،المرجع السابق، ص451.

خلاصة الفصل الخامس:

لم يكن الأخضري فريد زمانه في الدعوة للإصلاح والتجديد، بل وجد هناك علماء ممن تبنوا الفكر الإصلاحي بدرجات متفاوتة ممن سبقوه أو من تأثروا به من بعده، ومنهم: عبدالرحمن الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي في نهاية القرن التاسع الهجري الخامس عشر الميلادي، وعبدالكريم الفكون الحفيد خلال القرن الحادي عشر الهجري السابع عشر الميلادي، والعامل المشترك بين أولئك العلماء أنهم ينتمون إلى أسر علمية توارثت العلم أب عن جد، وهو ما يبرز لنا أهمية الأسر العلمية في التربية والتعليم وتخريج العلماء خلال هذه الفترة الحساسة من تاريخ الجزائر الثقافي.

تنقل عبدالرحمن الثعالبي بين المشرق والمغرب الاسلاميين لطلب العلم وتتلمذ على يد علماء في مختلف العلوم، وتنقل عبدالكريم المغيلي بين أنحاء الوطن لطلب العلم ونشره فمن تلمسان إلى الجزائر عند الشيخ الثعالبي إلى بجاية إحدى مراكز العلم وصولا إلى منطقة توات بالجنوب الجزائري ثم منطقة السودان الغربي، أما عبدالكريم الفكون فقد التزم قسنطينة من أجل التعلّم والتعليم، وقد ساعده في ذلك تراث أجداده العلمي وما احتوته قسنطينة من علماء في عصره، فضلا عن استفادته من العلماء الوافدون على قسنطينة في طريق رحلاتهم سواء العلمية أو نحو الحج، ونظرا لتلك الرحلات العلمية والاحتكاك بالعلماء للتعلم والتعرف على أحوال مجتمعاتهم قد ساهم بقسط وافر في بناء الفكر الإصلاحي لدى أولئك العلماء.

شاع التصوف وتعدد مدارسه خاصة من القرن العاشر الهجري، وأصبح تصور لإصلاح المجتمع ومعالجة المشاكل الاجتماعية بناءا على تغذية روحية من مبادئ وقيم وأوراد الطرق الصوفية، ولهذا فعبدالرحمن الثعالبي ومحمد بن عبدالكريم المغيلي وعبدالرحمن الأخضري وعبد الكريم الفكون لم ينكروا التصوف أو مبادئه، وإنما اعترضوا على بعض المنتسبين إليه وأعمالهم وأفعالهم التي لا علاقة لها بقيم ومبادئ التصوف، وهو ما جعل أقلامهم تتحرك من أجل توضيح النهج الصحيح لمن يطلب الجمع بين الشريعة والحقيقة، فألف في ذلك الثعالبي كتب عديدة منها "العلوم الفاخرة..."، ونظم الأخضري "منظومة القدسية"، وألف الفكون كتاب "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية".

يعتبر قضية المنطق وحكمه الشرعي، وقضية التعليم وواقع العلم من القضايا الثقافية التي تناولتها أقلام رجال الإصلاح في الفترة المدروسة؛ فأيد المغيلي والأخضري تدريس المنطق، وانتقد الفكون المنتسبين للعلم، والثعالبي انتقد المتخاذلين من العلماء عن الجهاد.

الفصل السادس

الأخضري وعلماء الإصلاح دراسة مقارنة في قضايا السياسة والمجتمع

أولا: القضايا السياسية

1-موقفه عبد الرحمن الأخضري من القضايا السياسية.

2-عبدالرحمن الثعالبي ودعوته للجهاد ضد الصليبين.

3-محمد بن عبدالكريم المغيلي ونظرته للحكم والسلطة.

4-موقفه عبدالكريم الفكون من القضايا السياسية.

ثانيا: قضايا المجتمع

1-الأخلاق الاجتماعية.

2-ظاهرة التدخين

3-قضية اليهود.

مقدمة الفصل السادس:

عالجنا في الفصل الخامس نماذج من علماء التجديد والإصلاح، ومقارنة مواقفهم في قضايا الثقافة، وفي هذا الفصل سنجري مقارنة بين مواقفهم في قضايا السياسة والمجتمع، خاصة وأن فترة الدراسة عرفت عدة تحولات سياسية واجتماعية، فهي فترة ضعف الدولتين الزيانية والحفصية، وهو ما زاد من أطماع الاسبان والبرتغال في احتلال المناطق الساحلية في ظل عدم وجود قوة سياسية قوية توحد المغرب وتدافع عنه، أما عن المستوي الاجتماعي، فقد عرف المجتمع مظاهر اجتماعية خاصة ما يتعلق بالقيم الأخلاقية، فضلا عن زيادة النفوذ اليهودي ودوره السياسي، وأمام تعدد القضايا السياسية والاجتماعية كيف تميز موقف علماء التجديد والاصلاح منها؟ وما مدى التقارب والتباين بين أولئك العلماء في قضايا الحكم، الجهاد، والتواجد العثماني، والأخلاق الاجتماعية، والنفود اليهود؟ سنحاول معالجة هذه المواضيع في جزئيين: الأول يتناول القضايا السياسية، والثاني قضايا المجتمع.

ثانيا: القضايا السياسية

1-موقف عبد الرحمن الأخضري من القضايا السياسية:

عاش عبد الرحمن الأخضري بداية العهد العثماني، وفي ظروف سياسية تميزت بتصدّ العثمانيين للغزوات الإسبانية خارجيا، والتوسع داخليا في إقليم الشرق بما فيها بسكرة وإقليم الغرب في مواجهة الدولة الزيانية، ورغم هذه التطورات السياسية لم نجد للأخضري نص أو تأليف يبيّن موقفه منها.

يرى الأستاذ عبد القادر صحراوي أن العثمانيون أعفو عددا من الزوايا والأضرحة من دفع الضرائب، ومنها زاوية عبد الرحمن الأخضري بـ "بنطيوس"، كما دلت الوثائق على وجوب احترام الناس لعائلة هذا العلامة ونسله من بعده، ويشير أحد الباحثين إلى وثائق كتبت بعد وفاة الأخضري بأكثر من مائة عام عليها خواتم بايات بايلك الشرق تدل على احترام العثمانيون لعبد الرحمن الأخضري وعائلته[1].

ذكر المستشرق لوسياني في ترجمته للسلم المرونق أن ثمة وثائق صادرة عن الباي التركي (العثماني) بقسنطينة، وإحدى تلك الوثائق مؤرخة في محرم سنة 1060هـ/1651م، تقضي بالتقدير والتبجيل والاحترام لثلاثة أفراد من أحفاد عبد الرحمن الأخضري هم الإخوة رحمون، عبد المالك، محمد أبناء عامر بن علي بوستة

[1] عبد القادر (صحراوي)، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: هلايلي حنيفي، قسم التاريخ ،كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس-الجزائر، 2008-2009، ص152.

ابن عبد الرحمن الأخضري، وقد أطلع لوسياني على عدد الوثائق الصادرة عن الإدارة العثمانية بقسنطينة بخصوص أحفاد الأخضري وزاويتهم تحمل التواريخ التالية:1078هـ/1669م، 1103هـ/1693م، 1132هـ/1721م، 1174هـ/1726م، 1149هـ/1738م، 1246هـ/1832م وهذه الأخيرة تحمل توقيع باي قسنطينة أحمد باي[1]، ولا شك أن ذكر لوسياني لهذه الوثائق من أجل إثبات أن الأخضري كانت له علاقة مع السلطة العثمانية.

أشار الأخضري إلى ظروف عصره الأمنية والسياسية في شرحه للسلم المرونق؛ فيقول: «وعاشر القرون وهو قرننا هذا الذي ظهرت فيه الفتن، واشتد فيه البأس، وقوي فيه النحس، واشتد فيه طغيان الكافرين وانتشر فيه ظلم الظالمين، وكثرت فيه شرار الخلائق ولم يبق إلا آثار الطرائق»[2]، ويدل هذا النص على أن الأخضري كان متحسرا على أوضاع عصره التي تميزت بالفتن، وقد يقصد بها، تلك الصراعات والنزاعات بين الدويلات حول مناطق النفوذ، كما أشار إلى الحملات الصليبية الإسبانية ضد السواحل الجزائرية من قوله " واشتد طغيان الكافرين وكثرت شرار الخلائق" وهم العصابات وقطاع الطرق التي انتشرت في عصره.

2- عبد الرحمن الثعالبي ودعوته للجهاد ضد الصليبين:

تميز عصر الثعالبي بكثرة الصراعات السياسية بعد انقسام المغرب إلى دويلات ضعيفة هي الدولة الحفصية (623هـ/1228م-938هـ/1534م) بتونس، والدولة الزيانية (630هـ/1235م-659هـ/1554م) بالجزائر، والدولة المرينية (665هـ/1269م-955هـ/1550م) بالمغرب الأقصى، فكل دويلة من هذه الدويلات تدّعي بأحقيتها في ميراث الدولة الموحدية، مما أدى بالجميع إلى الضعف والانقسام الذي نتج عنه بداية التحرش الإسباني والبرتغالي على سواحل شمال إفريقيا[3] فما هو موقف عبد الرحمن الثعالبي من تلك التطورات السياسية؟

يصعب تحديد رأي أو موقف عالم من القضايا السياسية ليست له علاقة مباشرة مع السلطة، وفي ظروف سياسية كالتي عرفها عصر الثعالبي، مما استصعب عليّ وجود نص يبيّن موقف الثعالبي من الصراع بين الدولة الزيانية والحفصية من جهة والدولة الزيانية والمرينية من جهة أخرى، وموقفه من الحكم الزياني الذي

[1]D. Lociani ,OP .CIT.P16.

[2]عبد الرحمن (الأخضري) ، شرح السلم المرونق، المصدر السابق، ص16.

[3]الصادق (دهاش)، «العلامة عبد الرحمن الأخضري رحلة علم وعمل»، مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر، جوان2007، ص151-152.

أسقط حكم الثعالبيين في متيجة مما يجعلنا نطرح العديد من الأسئلة منها: هل التأثير الصوفي في الفكر الثعالبي قد أثر فيه بابتعاده عن السياسة وشؤونها؟ أم أنه ألتزم الحياد من مختلف الأزمات الداخلية؟ وهل يمكن أن نرجح فرضية إخفاء موقفه المعارض مثلما فعل العديد من العلماء؟ إن هذه الأسئلة والفرضيات ستظل مطروحة في غياب نصوص تاريخية من أجل توضيح موقف الثعالبي من السلطة ونظام الحكم في عصره والصراعات بين الدويلات الثلاثة.

نشر أبو القاسم سعد الله في كتابه أبحاث وآراء رسالة لعبد الرحمن الثعالبي في الجهاد، نلمس من خلال مضمونها موقفه من الغزوات الإسبانية على السواحل الجزائرية كإحدى القضايا السياسية؛ حيث دعا سكان مدينة بجاية للجهاد ضد الصليبين، كما تأسف عن موقف فقهاء بجاية لعدم استجابتهم له في دعوته للجهاد فيقول في متن الرسالة: « وعلم يا أخي أن قلبي متألما من أهل بجاية وخفت عليهم كثيرا ... وقد بعثت إلى بعض الفقهاء منهم بالتحريض من غير كثب فما رأيت لكلامي عندهم تأثير»[1].

ويعلق سعدالله على موقف الثعالبي ومضمون الرسالة فيقول: «وإذا كان دور الثعالبي في الزهد والتصوف والاعتناء بأمور الآخرة فقد أصبح معروفا لكل دارس لحياته فإن دوره (السياسي) في التحريض على الجهاد والوقوف ضد الأعداء المغيرين، ودعوى الناس للتسليح ضدهم بكل أنواع الأسلحة، والاستعانة على ذلك بمختلف الوسائل الشرعية، هذا الدور غير معروف في نظرنا ولكن الرسالة التي بين أيدينا تبرزه»[2]؛ أي أن الرسالة كشفت عن موقف الثعالبي من قضية الجهاد ضد الصليبين كإحدى القضايا السياسية المعاصرة له.

وتكشف رسالة الثعالبي نظرته الدولية واطلاعه الواسع على الأحوال السياسية للعالم الإسلامي وصراعه مع العالم المسيحي؛ حيث يربط ما يجري في شمال إفريقيا بفتح القسطنطينية857هـ/1453م ، وأن المسيحيون سيعوضون ما خسروه في شرق أوروبا بمناطق في شمال إفريقيا وأنهم سينتقمون لخسارتهم عاصمة أكبر إمبراطورية في أوروبا أنداك، فيذكر الثعالبي:«...فإن كل عاقل يستشعر (بضرورة) قتال بني الأصفر فإنهم قد أُصيبوا في القسطنطينية (كذا) وغيرها، وقد علمتم أن أخذها من الأشراط، وأن لبني الأصفر حمية في النصرة لصليبهم»[3]، ويدل هذا على اهتمام الثعالبي بالأحداث السياسية ومحاولة ربط بعضها ببعضها، من أجل استنفار سكان بجاية وتحريضهم على الجهاد لأن العدوان الإسباني هو حرب صليبية ضدّ المسلمين.

[1] أبو القاسم (سعد الله)، المرجع السابق، ص203.
[2] المصدر نفسه، ص210.
[3] عبد الرحمن (الثعالبي)، رسالة في الجهاد ، المصدر السابق، ص210.

3-محمد بن عبد الكريم المغيلي ونظرته للحكم والسلطة:

يعد محمد بن عبد الكريم المغيلي أكثر العلماء -الذين اخترناهم كنموذج- اهتماما بالسياسة وشؤون الحكم بل كان له مشروع إحداث سلطة سياسية في منطقة توات وبلاد السودان الغربي؛ حيث أسس جهاز الشرطة، كما يدل على اهتمامه بشؤون السياسة مراسلاته العديدة مع السلاطين والحكام وأبرزها مراسلاته مع الأمير أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر سلطان مملكة سنغاي بالسودان الغربي، كما ألف المغيلي في السياسة ونظام الحكم بتأليفه المعروف بـ" تاج الدين في ما يجب على الملوك والسلاطين" وقسمه إلى ثمانية أبواب بين فيها واجبات الملوك والسلاطين[1].

رأى المغيلي أن معظم الفساد الذي يشكو منه الناس هو من المسؤولين الفاسدين، ولهذا وجه من خلال مؤلفاته في السياسة عصارة من النصائح والفوائد للحاكم ليكون على بينة من أمره، وليعرف كيف يحكم، وكيف يختار قُضاته وموظفيه، و«ليكن في جملة أموره -أي الأمير- معينا في الحق ومرشدا إلى الخير وعاملا على التقوى لا سلّما للباطل ومعينا على الشر يصعد عليه أعوانه بالسلم الذي صنعه لهم إلى هامة رأسه، فيعصرون قوته ويخربون ما أشاده أو شيده غيره ووصل إليه»[2].

إن أول ما يوصي به الحاكم بعد توليه شؤون المسلمين هو أن يتأزر بمن هو أكفأ وسمّاهم " أهل الخير"، ويستبعد عنه كل من سعى لمصلحته الخاصة وسمّاهم أهل الشر، فيقول المغيلي بعد سرد الآيات والأحاديث التي تبين ثقل مسؤولية الحكم: "...فإذا علمت ذلك أيها الأمير فعليك بأمرين الأول أن تبعد عنك أهل الشر، وأن تقرب منك أهل الخير، لأن الغالب على الإنسان التأنس بقرينه والميل إلى طبعه وتزينه، فمن قربته من نفسك فقد مكنته من أذنك ومن مكنته من أذنك فقد مكنته من قلبك" ثم يضيف منشدا:

إذا قرب السلطان أشرار قومه وأعرض عن أخيارهم فهو طالح
وكل امرء يغنيك عن قرينـــه وذلك أمر في البريـة واضـــح[3]

يرى محمد بن عبد الكريم المغيلي أن نظام الحكم في الإسلام الإمارة وهي نيابة عن الرسول صلى الله عليه وسلم، وبالتالي فيحصل لصاحبها الشرف إن أداها كما هو مطلوب "فما أعظم فضلها، وما أثقل

---

[1] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار بن حزم ، بيروت – لبنان، 1994

[2] المصدر نفسه، ص5-6.

[3] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، أجوبة المغيلي على أسئلة الأمير أسكيا ...، المصدر السابق، ص02.

حملها"[1]، فهي شرف ومسؤولية، فيقول عنها في موضع آخر: «الإمارة بلوى بين الهوى والتقوى، فعلى كل ذي عقل وأمانة أن يبتعد عنها، إلا إذا لم يكن له بد منها»[2]، ثم يعدد المغيلي واجبات الأمير والتي تهدف إلى إصلاح شؤون الرعية واستقامة ملكه، ومنها:

-أن يتصف بحسن النية: ويقصد بها الإخلاص لوجه الله في الحكم وليس لابتغاء مرضاة الناس أو تحقق مصالحه فيقول:« فليكن طمعك كله في الله وخوفك كله من الله، وهمك كله في مصالح خلق الله»[3].

-أن يتصف بحسن الهيئة: وقد جعل المغيلي هذا العنصر من أولويات الأمير حيث تظهر هيبته فيقول:" الإمارة مقمعة للنفس الأمّارة فعلى كل أمير أن يرتدي برداء الهيبة في الحضرة والغيبة"[4].

-حرص الأمير على ترتيب مملكته: وهو الاعتناء بالجوانب الإدارية للدولة خاصة حاشية الأمير كالمستشارين، والكتاب، وحسّاب والعلماء والقضاة ووزراء[5].

-العدل والإحسان أساس الملك: يرى المغيلي أن العدل والإحسان أساس استمرار الحكم والملك، فيقول عنهما: «فالعدل أن يوفي كل ذي حق حقه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضل من نفسه لا من غيره»[6].

-الإشراف على بيت مال المسلمين: وقد بيّن المغيلي مصادر بيت مال المسلمين وفق الشريعة الإسلامية وما نصت عليه النصوص الدينية وورد في السنة النبوية وكل ما سوى ذلك فهو ظلم لابد للأمير أن يتجنبه مثل: وأخذ العشر من أرباب الحقوق والتركات، وأخذ مال السارق والزاني كما يبين مجالات صرف تلك الأموال[7].

إن من يرجع إلى كتاب "الأحكام السلطانية" للماوردي[8] وغيره ممن كتبوا عن نظام الحكم في الإسلام سيجد أن هناك العديد من واجبات الأمير إلا أن المغيلي ركز على بعضها دون الأخرى لطبيعة عصره الذي

---

[1] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة فيما يجب على الأمير من الأمور، مخطوط دون تصنيف ، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته (ولاية أدرار)- الجزائر ، ص01.

[2] المصدر نفسه، ص01.

[3] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، المصدر السابق، ص18.

[4] المصدر نفسه، ص19.

[5] المصدر نفسه، ص ص(25-28).

[6] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة فيما يجب على الأمير من الأمور ، المصدر السابق، ص05.

[7] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، المصدر السابق، ص ص(48-59).

[8] أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي (364-450هـ/974-1058م)، أشهر قضاة آخر الدولة العباسية ومن أشهر فقهاء المذهب الشافعي، وله في ذلك موسوعة ضخمة تتكون أكثر من عشرين جزءا، له مؤلفات عديدة منها: كتاب نصيحة الملوك، وكتاب قوانيين الوزارة وسياسة الملك، وكتاب أدب القاضي.

انتشر فيه الفساد وانعدام الأمن، فكانت وصيته للأمير تصب في الهيبة والقوة والعدل، ومما لفت انتباهي في قراءة مخطوط "رسالة في ما يجب على الأمير من الأمور" هو: تكراره لعبارة "ورأس كل بلية احتجاب السلطان عن الرعية"[1] فهل هي مشكلة الأمراء في عصره، مما جعله ينبه لذلك وخطورته؟

إن قراءة مؤلفات ورسائل المغيلي حول نظام الحكم والسياسة سيستنتج بأن المؤلف رأى أن مشكلة عصره تكمن في عدم وجود خلافة أو إمارة إسلامية قوية، وبالتالي نتج عنها انتشار الفساد على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، ولهذا نجده في العديد من مؤلفاته في معالجته لأحد المسائل والقضايا إلا ويرجع سببها لضعف الحكم، ويقول تلك المسائل أنها ضمن واجبات الحاكم أو الأمير أو خليفة المسلمين، كما تدل مؤلفات المغيلي ومراسلاته في السياسة تركيزه على قضية محورية وهي الأمير ونظام الحكم ودورهما في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

4-موقف عبد الكريم الفكون من القضايا السياسية:

يعتبر عصر الفكون من أقوى فترات الحكم العثماني في الجزائر بامتلاكها أسطول قوي هيمنت به على غرب البحر الأبيض المتوسط، وعلى المستوى الداخلي فقد عرف زوال الدولة الزيانية والعديد من الإمارات المستقلة لصالح الحكم العثماني، كما ظهرت العديد من الثورات ضد العثمانيون في الجزائر كثورة يحي الأوراسي، وحدوث العديد من التجاوزات من طرف بعض الحكام والولاة كقبول الرشوة وتقريب اليهود، وتنصيب غير الأكفاء في المناصب الادارية والقضائية، فما هو موقف الفكون من مختلف تلك القضايا المتعلقة بالسياسة ونظام الحكم؟

اتخذ عبدالكريم الفكون موقف الحياد في تعامله مع السلطة العثمانية في الجزائر؛ وذلك راجع لسببين رئيسيين كما يرى أبو القاسم سعد الله فالأول: رؤيته لدور رجال العلم والدين رؤية خاصة بحيث يؤمن بعدم التدخل في الشؤون السياسية (الدنيوية) والمحافظة على مكانة رجل العلم والدين أمام رجل الحكم والسياسة، أما السبب الثاني: فقد يرجع إلى مبادئ الطريقة الزروقية الصوفية التي ينتمي إليها والتي تؤمن بملازمة السمع والطاعة لأمراء المسلمين وعامتهم وخاصتهم من أهل الله، فلا يخالف عليهم بقول ولا بفعل بل ايمان وتسليم[2].

[1] يتكون المخطوط من عشر ورقات، وقد تكررت العبارة في كل ورقة منه.

[2] عبد الكريم الفكون، المصدر السابق، ص09.

يعتبر تعاطف الفكون مع ثورة شيخه يحيى الأوراسي أحد المواقف السياسية له، حيث أبدى عاطفة الأسف على مقتله غدرا، بل أنكر تواطئ السلطة المحلية مع من يسميهم: اللصوص وأهل نوادي الفساد والخنا والخمور والدخان ونحوها في المدينة[1]، ويرجع الفكون سببي هذه الثورة إلى الوشاية بشيخه فيقول: "وربما تقوّلوا عليه خلع البيعة والاستقلال بالرياسة"، مما جعله يفر إلى جبال الأوراس ومعه أخوه أبو العباس أحمد، فحدثت له مواجهات مع الجند إلى أن قتل غدرا، حيث يقول عن ذلك: «وبقي كذلك مدة إلى أن قتل –رحمه الله – بحالة غدر من بعض الفرق، فبيتوه فغدروه»[2].

يتبين لنا مما سبق أن موقف الفكون من السلطة العثمانية وتعاطفه مع ثورة شيخه يحيى الأوراسي، أنه كان حذرا في معالجة القضايا السياسية، خاصة وأن أي معارضة لحكم الولاة وحلفاءهم قد تلقي به في قفص تهمة "خلع البيعة" ويكون مصيره مصير يحيى الأوراسي.

ثالثا: قضايا المجتمع:

1-أخلاق المجتمع:

تمثل الأخلاق عنصر مهم في الفكر الإصلاحي لدى علماء المسلمين عبر مختلف العصور، فقد اهتموا بالفرد وسلوكه والمجتمع ومظاهره من طبائع وقيم وعادات، ووقفوا ضد كل مستحدث يهدد تلك القيم والأخلاق الإسلامية. فكيف نظر عبد الرحمن الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي وعبد الكريم الفكون وعبد الرحمن الأخضري لعنصر الأخلاق ومكانته في الإصلاح الاجتماعي؟

يرى عبد الرحمن الثعالبي أن الأخلاق هي أساس لإصلاح الفرد والمجتمع، ويقسمها إلى ثلاث: أخلاق تتعلق بالقلوب، وأخلاق تتعلق بالأحوال، وأخلاق تتعلق بالأفعال، فالأخلاق التي تتعلق بالقلوب تتضمن العقيدة الصحيحة مع ما تتطلب من إيمان لوحدانية الخالق، أما الأخلاق التي تتعلق بالأقوال فتشمل المأمور به والمنهي عنه كالغيبة والنميمة والبهتان والكذب والقذف والظلم بنوعيه الحسي والمعنوي، والبغي والحسد والبغض وقطيعة الأرحام...، والأخلاق المتعلقة بالأفعال فتشمل آداب النكاح والذبح واللباس والأكل وكل ما يتعلق بضروريات الحياة وقد انتهج الثعالبي منهج الاعتدال فهو يحترس في أحكامه من التعميم في الإباحة أو المنع[3].

---

[1] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبدالكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص130.

[2] عبدالكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص54-55.

[3] عبد الرزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص92-93.

تكلم الثعالبي على مسائل اجتماعية عدة تتعلق بالأخلاق منها اللباس الذي جعله في باب الزهد من الضروريات وحدده "بما يستر العورة ويقي من الحر والبرد حقا"[1] ، كما نبه على ضرورة ستر العورة داخل الحمامات وكل حمام لا يؤمن فيه ستر العورة يحرم دخوله، وذهب إلى حد رفض قبول شهادة من يرتاد مثل هذا الحمام لزوال هيبته[2]، كما تعرض الثعالبي إلى آداب السفر وآداب المخالطة والمعاشرة في إطار الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

يتقارب عبد الرحمن الأخضري مع الثعالبي في نظرته للأخلاق ودورها في الإصلاح الاجتماعي وبالخصوص الأخلاق التي تتعلق بالأقوال من أوامر ومنهيات فنجده في قصيدة القدسية أو الامية أو نصيحة الشباب.. يوصي بإتباع الأوامر من طاعة وذكر وعبادة والمعاملة الحسنة والصحبة، وطاعة الوالدين، ووصل الأرحام... واجتناب النواهي كارتكاب المعاصي والتباهي بها وعدم استعجال التوبة... وهذه الأخلاق نابعة من تعاليم الدين الإسلامي وهي إحدى الأسس لقيام المجتمع وتماسكه، لكن ما يلفت الانتباه لدى الأخضري أنه ركز في معالجته لقضية الأخلاق الاجتماعية على النفس وشهوتها، فهي التي تدفع الفرد إلى الظلم والسطو على أموال الناس وقطع صلة الأرحام والمعاملة السيئة، ولهذا يحذر منها فيقول:

وزكاة النفس مخالفهـــا وموافقها فعلى خلـــل

وخبيث النفس وطائعها تلقيه على ضنك الوحل[3]

ويقول في منظومة القدسية:

فمن يكن لنفسه مكبكبا على هواها لم يزل محتجبا[4]

ويقصد بالحجاب هو اتباع الإنسان لشهوة نفسه فتحجبه عن طاعة الله أو التقصير فيها، ويقسمه إلى نوعين: حجاب حسي وآخر معنوي؛ فالحجاب الحسي مثل حب الرياسة والتملك والتباهي...، ويشمل الحجاب المعنوي التقصير في الطاعة، والميل إلى المحرمات، ارتكاب المعاصي[5].

---

[1] المرجع نفسه، ص93. نقلا عن: عبد الرحمن الثعالبي، نبذة من أوائل الجامع الكبير، المطبعة الثعالبية، الجزائر ، 1339هـ، ص10-11.

[2] عبد الرزاق (قسوم)، المرجع السابق، ص94.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، المصدر السابق، ص02.

[4] عبد الرحمن (الأخضري)، قصيدة القدسية، المصدر السابق، ص142.

[5] المصدر نفسه، ص142.

وقد انتقد الأخضري من اتبعوا شهوات النفس فأفسدوا في الدين والدنيا حيث يقول عنهم:

وأولعوا بشهـــوات النفـــس بكل بدعي لهم تأســي

وهدموا قواعـد الإســـلام واعتبروا خرائف الأوهام

وأولعوا بالإفك والتدلـــيس تأسيا بشيخهم إبليـس[1]

كما ركز الأخضري في معالجة قضية الأخلاق على إصلاح القلوب باعتبارها مصدر الصلاح والفساد؛ فإذا كان القلب يحمل في طياته حب الغير ومساعدتهم والتواصل معهم فإنه يزيد من تماسك المجتمع وبناءه، وإن كان يحمل في طياته الحسد والحقد والبغضاء وانتشرت هذه الأمراض بين الأفراد فإنها تهدد تماسك المجتمع وتضامنه، ولهذا أهتم الأخضري بإصلاح القلب فيقول عنه:

القلب هو لوحك المحفوظ يا أيها المقرب الملحوظ[2]

وهو إشارة إلى أن المعصية والطاعة أثر عليه، فكثرة المعاصي تزيد من قساوته وابتلاءه بكثير من الأمراض النفسية حتى يصير "القلب ميتا"، وعكس ذلك الطاعة التي تزيد للقلب ليونة فينعت صاحبه بـ "صاحب القلب الحي"، كما يذكر الأخضري في حديثه عن طاعة النفس ومخالفتها:

والحي يصون جوارحـــه عمّا تأتيه من الزلـــل

والميت القلب من أهملها حتى تلقيه على وحل[3]

ويقول عن مجتمعه، وما انتشر فيه:

وقلوب الخلق بها وقعت ظلمات من سوء العمل[4]

ومن المسائل الأخلاقية ذات الأبعاد الاجتماعية التي تحدث عنها الأخضري، اختيار الصحبة وتأكيده عليها دليل على نظرة الأخضري للصحبة السيئة كسبب مباشر لانتشار الفساد الأخلاقي، خاصة إذا تعلق الأمر بمصاحبة علماء السوء والذين يراهم الأخضري السبب في انهيار المجتمع أخلاقيا فانتشر الفساد والمنكرات دون ناهي أو منتهي، فغاب دور العلماء في النهي عن المنكر والأمر بالمعروف لما لهم من تأثير في المجتمع وعن تأثير الصحبة يقول الأخضري:

---

[1] المصدر نفسه، ص147.

[2] المصدر نفسه، ص146.

[3] عبد الرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول صلى الله عليه وسلم ، المصدر السابق، ص02.

[4] المصدر نفسه، ص03.

فصحبة الأخيار للقلب دوا تزيد للقلب نشاطا وقوى

وصحبة الأشرار داء وعمى تزيد للقلب السقيم سقما[1]

ويقول في الامية:

وجليسك إن يكسبك هوى فجلـوسك معه من الزلل

وخيـــار النـاس أجلهـــم علما وجهـــادا في العمـل[2]

وإذا كان عبد الرحمن الثعالبي قد عالج قضية الأخلاق ودورها في الإصلاح الاجتماعي من ناحية النظرية بصفة عامة، فقسمها إلى أخلاق تتعلق بالقلوب وأخرى بالأقوال والثالثة بالأفعال، فإن الأخضري قد عالج قضية الأخلاق أكثر من الناحية التطبيقية فركز على العناصر المهمة والتي لها تأثير في الفساد الخلقي وبالتالي في الفساد الاجتماعي في مجتمعه وهي: النفس والقلب ذات التأثير الداخلي والصحبة ذات التأثير الخارجي، كما أنه لم يهمل العناصر الأخرى التي تعطي القيمة الخلقية الإسلامية للمجتمع، كصلة الأرحام كرمز للتواصل، والذكر والطاعة كرمز للوفاء واجتناب المعاصي كرمز للالتزام.

عرف مجتمع المغيلي ظواهر عديدة منها، فساد العلاقات التجارية في المجتمع لاحتكام اليهود بها وامتناع أهل الذمة عن دفع الجزية لبيت المال، فأصبحت تدفع للأعيان ورؤساء القبائل والقصر بدلا من بيت المال، كما اختلطت الأنساب مع أهل الذمة فبدا يطفو في المجتمع جيلا يسمى بـ "الغلائق"[3] وانتشار ظاهرة الربا وتكالب اليهود على الإسلام والمسلمين ومحاولاتهم الدسيسة للدين؛ وذلك بتعطيل أمر الله في عباده بإباحة الفساد ودق أسافين الفتنة بين القبائل وتشجيع النعرات وتفضيل فئة على أخرى[4]، وكل ذلك راجع إلى الفساد الأخلاقي وقلة الوازع الديني والخلقي في تحديد سلوك الفرد وطبائع المجتمع. فكيف نظر المغيلي إلى الأخلاق ودورها في الإصلاح الاجتماعي؟

تميزت طبيعة الفكر الإصلاحي عند المغيلي مقارنة بالأخضري والثعالبي والفكون بالشمولية؛ حيث ينطلق الإصلاح من الأعلى إلى الأسفل وذلك بوجود سلطان أو حاكم عادل بيده سلطة تعديل وضبط سلوك الفرد ومحاربة كل المظاهر الاجتماعية التي تنافي الأخلاق الإسلامية، فيقول في مصباح الأرواح: «لاسيما

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، نصيحة الشباب، المصدر السابق، ص01.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، لامية مدح الرسول عليه الصلاة والسلام، المصدر السابق، ص04.

[3] الغلائق جمع غلق وهم: الأبناء الذين ينجبهم اليهود مع أمهات مسلمين، فكانوا يسكنونهم الصحاري ويعلموهم الديانة اليهودية، وقد ألف المغيلي رسالة في ذلك كرد عن سؤال وجّه له

[4] مبروك (مقدم)، الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، المجلد الرابع ، المرجع السابق، ص296-297.

في نحو رعية سائبة في آخر القرن التاسع(الهجري) وأطراف الأرض، ببلد لا يخرج نباته إلا نكدا، فعموا وصموا بالجهل والهوا، وتقاطعوا وتدابروا كبرا وحسدا حتى لا يكاد أن تجد منهم والدا ينصح ولدا ولا أحد يوافق في مصلحة أحد وكيف لا؟ ولا أمير لهم يردعهم، ولا شيخ يجمعهم، ولا حاكما يفصل بينهم إلا محكما عاجزا أو سيفا ناجزا، وقد اتخذوا الدجالين واليهود والمحاربين منديلا للاندساس وفخا لأموال الناس»[1].

ووقف المغيلي اتجاه كل بدعة مستحدثة في الأخلاق الإسلامية وفي طبيعة المجتمع، بل أخذ موقف حازم اتجاه المبتدعين بمحاربتهم حيث يقول:«...فواجب على كل من قلده الله أمور المسلمين أن يردع أهل البدع بالعرض على التوبة والسيف أجمعين حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن أبوا، فلا عدوان إلا على الظالمين وهذا هو الأمر الازم والحكم الجازم في أهل الأهواء والبدع»[2].

ولم يغفل المغيلي عن الأخلاق العامة الإسلامية من عبادة وطاعة ومعاملة، فبيّن في مخطوط مصباح الأرواح في أصول الفلاح[3] الأخلاق المتعلقة بالقلوب والمتمثلة في العقيدة وأخلاق أخرى متعلقة بالأفعال والأعمال كالعبادة والطاعة والمعاملة الحسنة واتباع الأوامر واجتناب النواهي، إلا أن ما يميزه عن الثعالبي والأخضري هو أن إصلاح المجتمع يتم وفقا لضوابط أخلاقية نابعة من تعاليم الدين الإسلامي محاربة للفساد والظلم... ويشرف على تلك المهمة أمير أو حاكم المسلمين، أي أنه أعطى اهتمام كبير لدور الحاكم والأمير في إصلاح الفساد الأخلاقي داخل المجتمع.

كان عبد الكريم الفكون من أكثر علماء عصره انتقادا لمجتمعه والفساد الأخلاقي الذي انتشر فيه، خاصة بين أعيانه الذين نبدو العلم وأهله واتكالهم على شرف آبائهم وعلو مرتبتهم وما هم فيه من الرياسة التي شرفوا بها بين إخوانهم كما اتصفوا بالحسد والبغضاء وهتك أعراض المسلمين، وقد ثار الفكون ضد ما يعتبره النفاق الاجتماعي عند فئة الأعيان وإظهار ما لا يبطنون، ويعلق أبو القاسم سعد الله على موقفه هذا بقوله:« ولكن ثورته هذه ثورة رجل علم وأخلاق ودين، فهو يريد منهم أن يكونوا مثالا للإنسان الكامل وأن يتجردوا من الحسد والهوا (الأهواء)والاعتماد على الشرف والتفاخر بالمناصب (الرياسة) وأن يرجعوا إلى حب العلم وأهله، وأن يعملوا بالدين في المعاملة»[4].

---

[1] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المصدر السابق، ص26.

[2] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في الرد على المعتزلة ، المصدر السابق، ص02.

[3] يتكون مخطوط مصباح الأرواح في أصول الفلاح من تسعة وعشرين (29) ورقة.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، المرجع السابق، ص26.

وقد جعل الفكون قصيدة خاصة في آخر كتابه "محدد السنان" وصف فيها حالة أهل قسنطينة عندئذ وما كانوا عليه من الجهل في نظره وعلى التفاخر بالشرف والجدد، ومنابذة العلم والعلماء والتباهي بالمراتب والرياسة، ولم يكتب هذه القصيدة إلا بعدما ضاق صدره بذلك ومما جاء فيها:

ألا فاحذر أناســـــا قد تبرا إله العرش منهـم والملائكـــة

وأبعدهم من الخيـرات كلا وأصلا هم جحيما ذات حالك

وقالوا نحن أحضـــــار بدار نعم صدقوا ولكن في المهـــالك[1]

ويضيف في منشور الهداية «فأين ذاك من زمن لا يعرفون منكرا، وإن عرفوه لا ينكروه بل يدبون(يحبون) على المواظبة عليه، وإن وجدوا مآثر حسنة لأهلها لم يؤلوا جهدا في طمسها وإخمادها، وإن قدر الله بإظهارها عنّفوا ناقلها واستهزأوا به وردوها عليه على كل وجه»[2].

وقد استنكر الفكون الفساد الأخلاقي الذي انتشر في مجتمعه بين الخاصة والعامة، ومن شيوع بعض الأمراض الاجتماعية في وقته مثل: شرب الخمور، وتعاطي الحشيشة والتدخين ودخول مدعي الجذب على المحارم، وذهاب النساء إلى أدعياء الصوفية طلبا للولد ونحو ذلك، والرياء والتهافت على المناصب وادعاء العلم ومصانعة السلطة وتعاطي الرشوة واستغلال العامة ماليا وعقليا[3]، والملاحظ على الفكون أنه ركز في معالجته لقضية الأخلاق على الفساد الأخلاقي المنتشر بين الأعيان والعلماء وأدعياء التصوف، وكأنه يريد أن يقول أن السبب في انتشار الفساد بين العامة يرجع إلى انتشاره بين الأعيان، وأن صلاح الفساد الأخلاقي داخل المجتمع مرتبط بإصلاحه داخل الأعيان باعتبارهم القدوة ولهم تأثير على المجتمع.

إن الثعالبي عالج قضية الأخلاق بصفة عامة وحاول توجيه السلوك الفردي من قول وعمل وفقاً للقيم والأخلاق الإسلامية بصفة عامة، بينما الأخضري فقد ركز على موضوع النفس والقلب ودورهما في عملية التحول الأخلاقي للفرد والمجتمع على حد سواء، أما المغيلي فقد حمل الحاكم والأمير مسؤولية ضبط الأخلاق الاجتماعية وأنه مصدر التغيير، أما الفكون فقد ركز على القدوة وأثرها في التغيير الأخلاقي داخل المجتمع من أعيان وعلماء ومتصوفة وربط السلوك الاجتماعية بسلوك القدوة.

[1] المرجع نفسه، ص135.

[2] عبد الكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص39.

[3] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون شيخ السلفية، المرجع السابق، ص26.

2-ظاهرة التدخين:

تعتبر ظاهرة التدخين من المظاهر المستحدثة في المجتمع المغاربي في القرن السادس عشر الميلادي، فقد عاد كريستوف كولومبس بالتبغ من القارة الأمريكية بعد أن وجد أهلها الهنود الحمر يدخنونه، ثم انتقل التبغ إلى العالم القديم تحمله البواخر الإنجليزية والبرتغالية، وقد استعمله البرتغاليون في مقايضتهم مع الشعوب الإفريقية، فكانوا يحملونه إلى مراكزهم التجارية على شواطئ إفريقيا الغربية، وما لبث التبغ أن انتشر في حوض النيجر دون أن يمانع الفقهاء المسلمون في تعاطيه، وفي المغرب كانت أول معرفة للناس بالتبغ عندما بعث ولاة السودان هدية من الفيلة في قافلة وسرعان ما انتشر في كل القرى والمدن المغربية[1].

ويؤرخ عبد الرحمن الأخضري للتبغ فيذكر أن من جلبه لبلاد المسلمين الانجليز، وذلك خلال القرن التاسع والعاشر الهجريين، أما من نشره في بلاد المغرب فهو ابن عبد الله تافلان الخارجي حيث يقول:

أول من جلبه للإسلام — للبيض والسودان والأنام
جنس من أصناف النصارى الإنجليز — أعداؤنا في الدين في القول الأجيز
في القرن التاسع ثم العاشر — لعرب وعجم وحاضر[2]

ويقول عن من نشره في بلاد المغرب:

رجل من خوارج مذكور — من طائفة لعينة مشهور
أبوه عبدالله تافلان — ملبسا للخلق بالبهتان[3]

اهتم فقهاء المسلمين وكثرت أبحاثهم في فحص حقيقة الدخان وما يترتب عن شربه وتعاطيه، وما يتفرغ عن ذلك من حكم شرعي نتيجة لما يثبت من ضرره أو نفعه حيث لم يرد في شأنه نص في القرآن أو السنة، ففريق من العلماء ذهب إلى أنه يحتوى على فوائد كثيرة منها على سبيل المثال ما قاله أحدهم: أنه يهضم الطعام ويطفئ السموم، ويسهل خروج البلغم ويخفف الزكام، وفريق آخر يرى ـ كما نقله عن بعض الأطباء والحكام في عصره ـ أنه يحدث الغشاوة في البصر والثقل في الأعضاء، والإمساك في الهاضمة[4].

---

[1] محمد هيثم (الخياط) وآخرون، الحكم الشرعي في التدخين، ط2، منشورات منظمة الصحة العالمية ، المكتبة الإقليمية لشرق المتوسط ، 2001، ص11.

[2] عبد الرحمن (الأخضري)، قصيدة في تحريم الدخان، المصدر السابق، ص175.

[3] المصدر نفسه، ص175.

[4] محمد هيثم (الخياط) وآخرون، المرجع السابق، ص17.

ونظرا لهذا التباين في تحديد أضراره ومنافعه فقد تضاربت آراء الفقهاء، واختلفت كلمتهم وترددت أحكامهم بين الإباحة والكراهية، والمنع والحرمة، ولست في هذا المقام لعرض تلك الآراء أو التأصيل للظاهرة من الناحية الشرعية ولكن من أجل التعرف على موقف عبد الرحمن الأخضري وعبد الكريم الفكون من ظاهرة التدخين كظاهرة مستحدثة في المجتمع الجزائري منذ القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي؟

عدّ عبد الرحمن الأخضري التدخين ضمن المسكرات والتي ذكرها في قصيدته وهي: النبيذ والخمر والميسر والبنج وكل مختبل للعقل ومفسد للجسد من نبات الأرض كالحشيشة والزيوان، وجوزة الطيب والزعفران والأفيون ونبات الدخان، ويضيف الأخضري إلى المفسدات لبن الخيل، والقهوة التي يقول عنها:

ويلحق القهوة بذي الإسكار مشبه لفعله وجار[1]

ويعدد الأخضري أضرار الدخان وما يترتب عنه حسب نظره فيذكر أنه مفسدة للعقل ويلحق الأمراض بالجسم ومفسد للدين ويعمي البصيرتين ومتناوله يصحبه الشيطان، ويحل عليه سخط الرحمن، ونظرا لهذه الأضرار فقد تم تحريمه وفقا لقاعدة تحريم الخمر لأنه كثر ضرره وقل منفعته، يقول الأخضري:

فإنه كالخمر في التحريم فهو مشامل له ذميم[2]

ويعتبر أن من داوم على شرب الدخان وقُتل بسببه فقد قتل نفسه، وحكمه حكم الخارج عن الملة فلا يصلى عليه ويعزل قبره عن قبور المسلمين فيقول:

لا يحسب من جملة الإسلام ويعزل قيره عن الأنام
ولا يصلى عليه أبدا لأنه كفر بمحمد[3]

يتفق عبد الكريم الفكون مع عبد الرحمن الأخضري في تحريم الدخان لذاته، وصفَته، وعوارضه، فيقول أبو القاسم سعد الله عن موقف الفكون: «وهناك قضية هامة تشغل الفكون وهي تناول الدخان في وقته، وقد ألف في هذه القضية كتابا سماه "محدد السنان في نحور إخوان الدخان" أنكر فيه بشدة تعاطي الدخان من أهل بلده من أعيانهم وكبرائهم أو عامة الناس وقد حكم الفكون بتحريمه لذاته، وصفته، وعوارضه واستدل على ذلك بما قاله أبو الغيث القشاش (تونس) وعبد الله بن حسون (المغرب)»[4].

---

[1] عبد الرحمن (الأخضري)، قصيدة في تحريم الدخان، المصدر السابق، ص173.

[2] المصدر نفسه، ص174.

[3] المصدر نفسه، ص174.

[4] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، المرجع السابق، ص176.

وقد انتقد الفكون الفقهاء الذين أباحوا شرب الدخان، فيقول في مقدمة[1] كتابه "محدد السنان": «إلى أن حرك مني البعث أجوبة لبعض أهل الزمان ممن لا يراقب مولاه ولا يبالي بما اكتسبته يداه بإباحة شربه وتناوله...فلهج به من هو على شاكلته وأذاعه بناحيته وغير ناحيته»[2]، وهو ينتقد بذلك الشيخ علي الأجهوري المصري ومن تساهل في إباحة التدخين، ويرى الفكون أن هذا التساهل نابع من خدمة العالم للسلطة، فيعطي مثالا عن مفتي القيروان الذي أفتى بإباحة الدخان "لأنه خدم به حضرة أمير إقليمه آنذاك"[3].

وإذا كان الفكون قد سلط سيفه على العلماء الذين أفتوا بإباحة الدخان فإن الأخضري قد سلطه على من يتاجر فيه، وجعل كل ما يترتب عن الخمر والرشوة يترتب عن التدخين، وهو تحريم بيع كل مسكر وأن حامله لنفسه أو لغيره ملعون، ولم يكتفي الأخضري عند ذاك بل ذهب إلى أن من شرب الدخان ولازالت به رائحته لا يدخل المسجد، فيقول:

من أكل من هذه الأشجار لا يقرب مسجدنـــا يا قار
ريح البصل والثوم والكراث والأكثر الدخان بالأحداث
لأنه ممنـــوع باتفـــــاق لكونه محدث بل يا شـــاق[4]

يتبين لنا من خلال ما قرأناه عن عبد الرحمن الأخضري وعبد الكريم الفكون حول ظاهرة التدخين أنهما وقفوا موقف الحزم من القضية فأفتوا بتحريمه حيث ألفا في ذلك، ولم يكتفي الفكون عند حد التأليف، بل نهى عن شربه بلسانه وقلبه وقد كلفه موقفه إعراض الناس عليه حتى بعض أصحابه فيقول في مقدمة محدد اللسان «لقد أسمعت لو ناديت حياً لكن لا حياة لمن تنادي، اتخذ القول من هزؤاً ولعبا، ورميت عن قوس البعاد من واصل أو صحباً فأمسكت عنان المقال...»[5].

من خلال موقف الأخضري والفكون من ظاهرة التدخين احدى الظواهر المستحدثة في عصريهما يبين لنا الصرامة التي تبناها اتجاه القضايا الاجتماعية المستحدثة خصوصاً وأن ظاهرة التدخين آنذاك لم تحدّد أضرارها بشكل جيد، وأفتى بإباحتها علماء مشهورون.

---

[1] مقدمة كتاب "محدد السنان في نحور إخوان الدخان" كاملة. نشرها الدكتور أبو القاسم سعد الله في كتابه شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون من الصفحة 192إلى الصفحة 194 إلى جانب نصوص أخرى للفكون.

[2] المرجع نفسه، ص193.

[3] المرجع نفسه، ص157.

[4] عبد الرحمن (الأخضري)، قصيدة في تحريم الدخان ، المصدر السابق، ص176.

[5] أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، المرجع السابق، ص193.

3-قضية اليهود:

ترتب عن سقوط الأندلس هجرة العديد من المسلمين واليهود إلى بلدان المغرب العربي، ومع تزايد عدد اليهود بالمجتمع الجزائري فقد ازداد نفوذهم الاجتماعي والاقتصادي وحتى السياسي مع تقدم الزمن مما أحرج هذا الوضع العديد من الفقهاء ورجال الإصلاح الذين رأوا في هذا النفوذ تعطيل لمصالح المسلمين واستهداف لدينهم، وتباينت المواقف، فبعض العلماء استنكر ذلك النفوذ بطريقة مباشرة أو غير مباشرة وذهب البعض الآخر إلى حد محاربتهم ومحاربة كل من يساندهم، والبعض من العلماء احتكم إلى موقف الإسلام من أهل الذمة وأباح إقامة اليهود بين المسلمين ولهم حق الحرية وممارسة أنشطتهم الاقتصادية والدينية والاجتماعية، ونظرا لأن النفوذ اليهودي في المجتمع الجزائري سيأخذ أبعاد سياسية بل سيكون أحد الأسباب لاحتلال الجزائر فقد ارتأيت البحث في موقف علماء الإصلاح من النفوذ اليهودي بداياته الأولى في العصر الحديث. أو بالأخرى ما هو موقف عبد الكريم المغيلي وعبد الكريم الفكون من النفوذ اليهودي داخل المجتمع الجزائري؟

استقر المغيلي بمنطقة توات وبالضبط ـ بتمنطيط ـ وقد رأى من يهودها تجاوزاً خطيراً للحدود الشرعية، واستعلاء على المسلمين، كما لاحظ تساهلا من المسلمين معهم حتى كان الواحد منهم يقرب اليهودي من نفسه وعياله أو يستعمله في أسرار أعماله، ناهيك عن نشاط ديني يهودي كبير يدعمه النفوذ السياسي والاقتصادي مما شجع على بناء بيع جديدة فأظهر رأيه مستنكرا عليهم فعله[1]، وعن الفساد الأخلاقي الذي أظهره اليهود يروي المغيلي أن أحد قضاة زمانه استعمل يهودي في أشغاله، ومرة أمره بغسل ثيابه فإذا به يجده ينجّسه، كما حكى أحدهم للمغيلي أن يهودية كانت تعجن خبز مسلم وتأخذ القمل من رأسها وتقتله بين أظافرها وتعجن من غير أن تغسل يديها، ويعلق المغيلي هذا ذلك« والأخبار في ذلك كثيرة ولا يستبعد عليهم هذا وأعظم منه إلا أعمى البصيرة»[2]، ويسوق المغيلي هذه القصص لدعوة المسلمين على عدم استئمان اليهود على أنفسهم ودينهم.

يعد المغيلي من العلماء الذين دعوا إلى محاربة النفوذ اليهودي داخل المجتمع الإسلامي بل ارتبط اسمه بمحاربة اليهود بتوات، وإصدار فتوى تحل دماءهم وأموالهم ومحاربة كل من يساندهم ويقف للدفاع عنهم؛ حيث يقول فيهم: «والحاصل أنه لا يقرّب كافرا من نفسه أو عياله أو يستعمله في أعماله أو يجعل بيده شيئا من ماله إلا من لا دين له ولا عقل ولا مروءة»، ولم يقف عن ذلك بل جعل من يساند اليهودي الذين يتعدى

[1] فوزي (سعد الله)، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط1، دار الأمة، الجزائر ، 1996، ص56-57.

[2] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في أهل الذمة ، المصدر السابق، ص06.

على حدود الله كافرا فيقول: «فويل لأولياء اليهود، وهم الذين ينصرونهم في تعد الحدود أولئك الذين كفروا بربهم وأولئك الأغلال في أعناقهم وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون»[1]، ويقول عنهم في أرجوزة:

برئت للرب الودود من قرّب أنصار اليهود
قوما أهانوا دينهم وأكرموا دين اليهـــود[2]

هذا موقف المغيلي ممن ناصر اليهود، أما موقفه من اليهود، فيقول في رسالة كتبها في أهل الذمة ما نصه: «لا شك في أن اليهود المذكورين كيهود توات وتيجورارين ودرعا وتافلالت، وكثير من الأوطان كإفريقية وتلمسان قد حلت دماؤهم وأموالهم وأولادهم ونساؤهم ولا ذمة لهم، لأن الذمة التي ترفع السيف عنهم هي الذمة الشرعية لا ذمة الجاهلية، وإنما تكون لهم الذمة الشرعية بإعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون»[3].

يرى المغيلي أن كل يهودي يتقرب إلى السلطان أو القاضي أو العالم، وازداد نفوذه داخل حكومة المسلمين فقد نقض عهد الذمي، ويترتب عن ذلك إحلال دمه وماله فيقول: «فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير أو قاض ... فقد أنتقض عهده وحل ماله ودمه، لأن خدمة أرباب الشوكة مناقض لشروط الذمة[4] من الصغار والذلة، وأعظم ما يكون من التمرد على الأحكام الشرعية لاسيما في هذا الزمان»[5].

استعان المغيلي في فتواه بأعلام زمانه، وقد أيده البعض منهم أبو محمد الرّصاع مفتي تونس، وأبو المهدي الماواسي مفتي "فاس" وأحمد بن زكري مفتي تلمسان، والحافظ التنسي المشهور[6]، وعندما جاءته إجابة الشيخ السنوسي توجه الشيخ المغيلي إلى أديرة اليهود وأمر جماعة من أتباعه بحمل السلاح لقتال اليهود ومحاربتهم فقال للسكان لمن يقتل يهودي له سبع مثاقيل من مالي وقد ألقى قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم ضمّت لعنة اليهود ومن حماهم[7].

---

[1] المصدر نفسه، ص17.

[2] الطيب بن عبد الله (البلبالي)، تاريخ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وشجرته، مخطوط دون تصنيف، خزانة كوسام (ولاية أدرار)- الجزائر، ص16.

[3] محمد بن عبد الكريم (المغيلي)، رسالة في أهل الذمة ، المصدر السابق، ص13.

[4] الشروط التي وصفها المغيلي تلخص في ممارسة اليهودي لديانته وأنشطته الاقتصادية وفق الشريعة الإسلامية دون التدخل في شؤون المسلمين بأمر من الأمور وقد فصّل في ذلك ينظر: المصدر نفسه، ص 14-15.

[5] المصدر نفسه، ص16.

[6] آدم عبد الله (الألوري)، المرجع السابق، ص13.

[7] الطيب بن عبد الله (البلبالي)، المصدر السابق، ص15.

يتبين لنا مما سبق أن المغيلي قد استنكر النفوذ اليهودي في المجتمع الإسلامي، ولم يكتفي عند ذلك بل أفتى بسفك دماءهم وكتب يبين دسائس اليهود وطبائعهم، ثم انتقل إلى محاربتهم وهدم أديرهم بعدما استشار بعض أعلام عصره الذين أشاروا عليه وأيدوه في موقفه، وإذا كانت طبيعة موقف المغيلي من النفوذ اليهودي هي استئصالهم فكيف نميز موقف عبد الكريم الفكون؟

تزايد النفوذ اليهودي في القرن السابع عشر الميلادي عصر عبد الكريم الفكون. خاصة السياسي فكونت العديد من العائلات اليهودية علاقات مع الولاة والقضاة وحتى مع بعض العلماء الذين تربطهم مصالح مع السلطة، ورغم ذلك فلم نعثر على موقف صريح لعبد الكريم الفكون اتجاه النفوذ اليهودي، وموقفه نلمسه من خلال طريقة سرده لقضية اليهودي المختاري في كتابه منشور الهداية وانتصاره لرأي جده القائل بقتل اليهودي الذي "تعاطى جناب سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما"[1]، واستنكره على أبو زكريا يحي الذي وقف ضد فتوى جده عبد الكريم الفكون الجد ابتغاء مرضاة الولاة.

ترجع هذه القضية إلى يهودي يكنى بـ "المختاري اليهودي" الذي تشاجر مع بعض الناس وسب الرسول صلى الله عله وسلم فحبس وسجن، وأمر باي قسنطينة بإحضار أهل الشورى لانعقاد المجلس بالجامع الأعظم بقسنطينة للفصل في أمر اليهودي، وكما يروي الفكون فإنه انعقد المجلس بجمع من العلماء وعلى رأسهم أبو زكريا يحي مفتي المالكية بقسنطينة وقاضيها، الذي أفتى بعدم قتل اليهودي، وعندما استشاروا عبد الكريم الجد «ما تقول في القضية؟ فأجابهم ليس عندي في هذا إلا موت القائل وإهدار دمه[2] .

غضب الباي والقاضي من موقف عبد الكريم الفكون الجد وهو ما زاده تصلبا فيقول عنه حفيده: «فعندما رأى الجد من أحوالهم ما ذكر، وأنهم غير منتصرين للدين ولا قائمين بواجب سيد المرسلين حلف وأقسم أن لا ينتقل من مجلسه ذاك إلا أن يقام حق الله في ذلك الشقي»[3]، ولما رأى أهل الشورى شدته في الأمر وانتصاره وعدم اكتراثه بمن قام وقعد، طلب منه أبو زكريا كتابة كتاب يبين فيه حكم قتل اليهودي ففعل ذلك وقتل المختاري اليهودي، فيقول الفكون: "ولم ينفصل المجلس إلا أن نفذ الحكم في ذلك الشقي وصدق الله بيمين الجد وبر قسمه في حلفه أن لا يقوم من محله إلا أن ينفذ حكم الله في ذلك الشقي(اليهودي)"[4].

---

[1] عبد الكريم (الفكون)، المصدر السابق، ص 64.

[2] المصدر نفسه، ص65.

[3] المصدر نفسه، ص66.

[4] المصدر نفسه، ص66.

يتبين لنا من خلال هده الحادثة النفوذ اليهودي السياسي داخل السلطة فقد حاول كل من الباي والقاضي الانتصار إليه إلا أن تعصب عبد الكريم الفكون الجد منعهما من ذلك، كما يوجد تعاطف الكثير من العلماء مع اليهود رغم أن الأمر يتعلق بسب الرسول صلى الله عليه وسلم، كما يمكن أن نستنتج موقف عبد الكريم الفكون الحفيد من النفوذ اليهودي من خلال انحيازه لجانب جده ضد من أفتوا بعدم قتل اليهودي من العلماء ومن ناصرهم من الباي وبعض العامة.

يرجع السبب في انقسام العلماء بين مساند ورافض للنفوذ اليهودي في المجتمع الجزائري إلى طبيعة الدين الإسلامي وتسامحه مع أهل الذمة من اليهود والنصارى من جهة، ومن جهة أخرى إلى السياسة اليهودية القائمة على استقطاب العلماء والولاة والقضاة عن طريق الهدايا والأموال وقد نتج عن ذلك استعطاف العديد منهم على اليهود والتساهل معهم في العديد من التجاوزات المتعلقة بالحدود الشرعية.

خلاصة الفصل الخامس:

تعدد المواقف السياسية واختلفت بين الأخضري والثعالبي والمغيلي وعبدالكريم الفكون؛ فلم نجد موقف واضح من الأخضري حول قضايا عصره السياسية رغم تعددها وتنوعها خاصة موقفه من الوجود العثماني، أما الثعالبي فقد اتضح موقفه من خلال دعواته للجهاد ضد الصليبين (الغزوات الاسبانية البرتغالية) على السواحل المغاربية، بينما المغيلي فقد ارتكز إصلاحه على الخلافة، الإمارة، الأمير، ويدل هذا على اهتمامه الواسع بشؤون السياسية والحكم بل يجعلهما نفطة ارتكاز لأي تغيير أو إصلاح، أما موقف عبدالكريم الفكون من قضايا عصره السياسية فهو: أنه لم يعارض الوجود العثماني، بينما انتقد تصرفات العديد من بايات قسنطينة وتعاطف مع ثورة شيخه الأوراسي، وقد أثرت ظروف العصر على موقف كل عالم من أولئك العلماء؛ فعصر الثعالبي والمغيلي عرف صراعات ونزاعات داخلية، واعتداءات خارجية كل ذلك في غياب خلافة إسلامية قوية بعد سقوط الدولة الموحدية، بينما عرف عصر الأخضري والفكون سيطرة الحكم العثماني وزوال حكم الزيانيين بتلمسان.

تقاربت المواقف بين الأخضري وعلماء التجديد والإصلاح حول قضايا المجتمع خاصة قضية الأخلاق الاجتماعية، فاعتبروا أن الأخلاق أساس للإصلاح الاجتماعي، وأن فساد المجتمع من فساد الأخلاق، وهذا الموقف ينبع من نظرة رجل الدين إلى مشاكل مجتمعه ومعالجتها وتأصيلها أخلاقيا، وإن كان هناك تقارب في هذه النظرة فإن هناك بعض التباين؛ فقد حدد الثعالبي الأخلاق بمفهومها العام كمنظومة تحدد سلوك الفرد

والعلاقة بين الأفراد داخل المجتمع، أما الأخضري فقد ركز على نقاط معينة من الأخلاق، والتي هي معالجة لبعض مظاهر الفساد في مجتمعه كاتباع شهوات النفس، وأمراض القلوب كالحقد والحسد وبعض المظاهر الأخرى كالتحايل، أما القضية الاجتماعية التي شغلت بال المغيلي فهي قضية اليهود داخل المجتمع ومساهمتهم في انتشار الفساد الاجتماعي، وقد ركز الفكون على فئة القدوة داخل مجتمعه واعتبرها السبب في الفساد الاجتماعي؛ فالعامة تقلد الخاصة في كثيرا من الأمور.

خاتمة

يعد عبدالرحمن الأخضري من أبرز علماء الجزائر خلال القرن العاشر الهجري السادس عشر الميلادي، واختلف المترجمون له حول تاريخ ميلاده والأرجح أنه ولد سنة 920هـ/1516م بمنطقة بنطيوس إحدى مناطق الزاب –ولاية بسكرة حاليا–، وهناك اختلاف حول نسبه وأقربها ما ذكره الأخضري نفسه إلى العباس بن مرداس السليمي، إذاً فعائلته من فروع القبائل العربية السليمية التي هاجرت لبلاد المغرب واستقرت معظمها في تونس وبعضها في الجزائر ومنها عائلة الأخضري، ويدل الاختلاف حول نسبه ونسب العديد من العلماء المعاصرين له إلى الهجرة وأثرها في التحول الاجتماعي واختلاط الأنساب.

نشأ الأخضري في أسرة علمية اشتهرت بتوارث العلم على غرار بعض الأسر العلمية في الجزائر خلال الفترة المدروسة، فأخوه أحمد كان عالما وأخذ الأخضري عنه العلم، وأبوه وجده عامر كذلك كان عالما، ومما يدل على مكانة أسرته العلمية أنه أخذ معظم العلوم والمعارف عن أخيه وأبيه؛ أي عن محيطه الأسري سواء في العلوم العقلية أو النقلية، كما تنقل الأخضري إلى قسنطينة وأخذ العلم عن عمر الوزان عالمها آنداك، وتذكر بعض الروايات–منها ما ذكره صاحب العقد الجوهري– أنه ارتحل إلى تونس لطلب العلم ثم رجع إلى بسكرة لممارسة التربية والتعليم، ولا تزال هذه الرواية محل تشكيك خاصة إذا علمنا أنه لا يوجد أي إشارة في مؤلفات الأخضري إلى ذلك من جهة، ومن جهة أخرى أن الفترة التي عاش فيها الأخضري جاءت بعد تخريب الإسبان للقيروان وتدهور الوضع الأمني في تونس، وهو ما جعل الكثير من العلماء الجزائريين يفضلون البقاء بدل السفر.

يعتبر عبدالرحمن الأخضري من علماء التعليم كما يعتبر من علماء التأليف الموسوعيين، ويؤكد ذلك مؤلفاته؛ حيث ركز على طرق تعليمية تساعد على الحفظ والفهم والاستيعاب كالاختصار والنظم والبساطة في طرح الأفكار والأسلوب اللغوي المناسب، بل أن مهمة التعليم مثلت الهدف الرئيسي للأخضري إلى جانب التأليف، فلم يذكر من ترجم للأخضري أنه اشتغل بمناصب أخرى كالقضاء مثلا أو الفتوى...، ومما نستخلصه من بعض ما أشار إليه الأخضري أن العلاقة بينه وبين تلامذته تميزت بالأخوية فهو ينعتهم بالإخوان، وهو ما يزيد من توثيق الصلة بين العالم والمتعلم ويساعد العالم على نشر أفكاره والمتعلم على استيعابها وفهمها، ومن تلامذة الأخضري نذكر عبدالكريم الفكون الجد عالم قسنطينة الذي كان يرجع إليه في الفتوى والكثير من النوازل وقد ذكر بعضها حفيده في كتابه منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية.

اختلف المترجمون للأخضري حول سنة وفاته وأرجحها سنة 953هـ/1548م، وتم دفنه بمنطقته ببنطيوس، وهناك العديد من الروايات الشعبية المتداولة حول وفاته وطريقة نقله ودفنه والمدة الزمنية وربطها بالكرامات التي تنسب للشيخ عبدالرحمن الأخضري، كما أن هناك ضريحين للأخضري أحدهما في المقران بالقرب من خلوته، والآخر بزاويته ببنطيوس، وهو ما يجعل الباحثين أمام العديد من الأسئلة تتعلق بالتحقيق التاريخي في تلك الروايات وكذلك حول مكان دفن الأخضري.

ترك الأخضري آثارا متنوعة في مختلف العلوم العقلية والنقلية تعكس موسوعيته، ففي مجال العلوم العقلية ألف في المنطق السلم الذي اشتهر به وألفى إقبالا من حيث التدريس والشرح سواء في المؤسسات التعليمية في الجزائر أو خارجها مثل القيروان والأزهر...، كما اهتم به المستشرقون وترجمه لوسياني إلى الفرنسية، وفي علم الفلك ترك الأخضري منظومة السراج ورسالة في علم الاسطرلاب، وألف منظومة الدرة البيضاء في علم الحساب والفرائض، وقد شدت هذه المؤلفات أنظار العلماء فعنوا بتدريسها وشرحها ونسخها، فهي تنتشر اليوم في خزائن المخطوطات في الجزائر وخارجها دلالة على انتشارها الجغرافي وتأثيرها الفكري خاصة في الثلاثة قرون التي تلت وفاة الأخضري.

ألف الأخضري كذلك في العلوم الشرعية والأدبية، ومن مؤلفاته في العقيدة شرح صغرى السنوسي، وفي الفقه مختصره في فقه العبادات الذي لا يزال معتمدا في مدارس التعليم القرآني والزوايا إلى اليوم خاصة باب السهو، واشتهر الأخضري بمنظومته القدسية في التصوف، وله مؤلفات في النحو والبلاغة منها منظومة الجوهر المكنون في صدف ثلاث فنون، كما له مجموعة من القصائد في النصح والإرشاد والمديح النبوي وتنسب إليه قصيدة في مدح خالد بن سينان العبسي، ورغم كثرة مؤلفات الأخضري فلا تزال معظمها مخطوطة لم تحقق بعد، فضلا عن دراستها ومناقشة فكر الأخضري انطلاقا من ظروف عصره.

لم يكن الأخضري موسوعيا فحسب، بل كان مجددا ومصلحا؛ فمؤلفاته لم تتضمن أفكار جامدة بل لديه نبرة إصلاحية تجديدية خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي، فالتجديد عند الأخضري يتضح من خلال منهجه في التأليف وموقفه من تدريس العلوم العقلية؛ فقد اعتمد على منهج الاختصار الذي أحدث جدلا واسعا بين العلماء قديما وحديثا، حيث استخدمه ملتزما بالوضوح والدقة مما يبرز نظرته الخاصة لهذا المنهج ومعارضته لمنهج المطولات التي يصعب على طالب العلم المبتدئ اقتحامها، وإلى جانب الاختصار فقد حرص الأخضري على البساطة في التأليف وحسن الابتداء والانتهاء؛ أين راعى جوانب الشكل والمضمون من أجل تسهيل استفادة القارئ من مؤلفاته، مراعيا بذلك عصره الذي قل فيه التحصيل العلمي وإعراض الناس عن مجالس العلم، فقدّم الأخضري المادة العلمية في شكل مبسط من أجل الترغيب في التعلّم وطلب العلم.

واجه الأخضري الأفكار التي تحرم بعض العلوم العقلية وتكرّه بعضها الآخر وعدم تدريس العديد منها بدعوى أنها علوم الدنيا، والأفضل هو الاهتمام بعلوم الآخرة وهذه النظرة هي نتيجة ومظهر من مظاهر التراجع الفكري للعالم الاسلامي بصفة عامة، حيث وقف الأخضري ضد هذه النظرة وبين أهمية العلوم العقلية ومدى ارتباطها بالدين وخدمتها له سواء علم المنطق أو الفلك أو علم الحساب، ويدل موقف الأخضري على نظرته التجديدية في تجديد الأفكار وتصحيح المفاهيم؛ فالمنطق ليس فلسفة الماهيات وإنما هو قواعد تساعد المجتهد في الاستنتاج والاستنباط تجنيب الفكر من الزلل، وعلم الفلك ليس تنجيما وبحثا في الغيبيات وإنما هو محكم القواعد يؤدي إلى معرفة بأوقات الصلوات ، وعلم الفرائض متوقف على معرفة الحساب كما يرى الأخضري.

تجلى الاصلاح عند الأخضري خاصة في المجالين الاجتماعي والثقافي؛ ففي المجال الاجتماعي يعد من أكثر العلماء انتقادا لمجتمعه وما ظهر به من سلبيات وآفات وصف بعضها في مؤلفاته مثل منظومة القدسية وقصيدة اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وقصيدة تحريم الخمر والدخان، ونصيحة الشباب، ولم يكتف الأخضري بالنقد بل سعى إلى إيجاد الحل ومعالجة المشكل بالتركيز على العناصر الثلاثة: الأخلاق الاجتماعية النابعة من قيم الدين الاسلامي، الشباب كمرحلة عمر وطاقة حيوية لإحياء المجتمع، والعنصر الثالث محاربة الآفات الاجتماعية خاصة المستحدثة.

يتجلى دور الأخضري في حركة التجديد والإصلاح في الجزائر خلال القرن السادس عشر في ثلاث قضايا أساسية هي: منهج التأليف، واقع العلم، المبتدعين في التصوف، ويتجلى كذلك في تأثره بشيخيه عمر الوزان ومحمد الخروبي وتأثيره في أفكار العلماء من بعده أمثال عبدالكريم الفكون الجد ثم الحفيد، كما أن هناك تقارب بين فكر الأخضري وعلماء عصره:

1-يعد الأخضري من العلماء الذين ربطوا بين التأليف والتعليم، وذلك باعتماده منهجي النظم والاختصار، من أجل تسهيل الفهم والاستيعاب والحفظ والحفاظ على الموروث الثقافي، كما انفرد الأخضري في استخدام منهج الاختصار بطرق التبسيط والوضوح، فالمختصر عند الأخضري سُلم يرتقى به لقراءة المطولات، بينما في المناهج الأخرى لابد من الاطلاع على المطولات من أجل قراءة وتفسير المختصرات.

2-التعليم من القضايا التي أخذت حيزا كبيرا في اهتمامات الأخضري، خاصة العلماء المنتسبين له وسماهم بـ"علماء السوء"، وبالتالي فهو يقف ضد كل من يستخدم العلم والفتوى لمصالح محددة سواء من العلماء أو ممن يدعون العلم لكسب المكانة الاجتماعية والحظوة السياسية.

3-إن الأخضري لا يرى في التصوف مشكلة، ولا أفكاره، بل يراه ضروري في إطار الجمع بين الشريعة والحقيقة، وإنما المشكلة عند الأخضري فيمن ابتدعوا في التصوف وانحرفوا عن مقاصده التي تتوافق مع مقاصد الشريعة، وقد ذكر نماذج من مظاهر الانحراف في قصيدته القدسية.

4-يتضح أيضا دور الأخضري في حركة التجديد والإصلاح من خلال تأثيره الثقافي والفكري؛ فمؤلفاته انتشرت في معظم الحواضر الجزائرية والعربية في المغرب وتونس ومصر خاصة.

إن صبغة العمومية لواقع عصر الأخضري جعلت هناك تقارب في موقف علماء التجديد والإصلاح مع وجود بعض الاختلافات، حيث تقارب موقف الأخضري مع العلماء الذين اخترتهم نماذج، فمثلا موقفهم من المنتسبين للعلم؛ حيث انتقد الثعالبي الفقهاء المتخلفين عن الجهاد، وحذر الأخضري منهم وسماهم بعلماء السوء، وسماهم عبدالكريم الفكون بـ" أدعياء العلم"، ودعا المغيلي لمحاربتهم والجهاد فيهم أفضل جهاد، وهو ما يجعلنا نستنتج إحساس هؤلاء العلماء بأن المنتسبين للعلم أحد أسباب تدهور حالة التعليم والواقع الثقافي، كما أن هناك تقارب حول قضايا المجتمع وتصور الحل من منظور أخلاقي وفقا لأخلاق الشريعة الاسلامية.

الملاحق

الملحق رقم01: منظومة القدسية

يقـــول راجي رحمة المقتـــــــــدر ... المذنب العبيـد الذليل الأخـــــضري
بحمد رب العالميـــن أبتـــــــدئ ... ثم صلاتـــــه على محمـــــــــد
يا طالبـــــــا عـــلا قدســـــــه ... وقـــــــاصدا إلى علاج نفســـــه
اعـــــلم بأن الجوهر الانســـــــاني ... وهو الذي يدعـــــونه الروحـــــاني
منشـــــؤه في العـــــالم العـــلوي ... مســـــتودع في القلب الجســـــمي
لأنه في الأصـــــل من جنس الملك ... فصـــــار مركوزا بعـــالم الحـــلك
فهـــــذه الجوهـــــرة النفيســـــة ... بالأصـــــــــــل في الدائرة القدسية
دائرة التطـــــــهير والكـــــــمال ... وعـــــــاقها عن ذلك الاتصـــــال
شيئـــــان منهما حجـــاب ظاهر ... وبـــــاطن في النـــــفس أي ساتر
فالظـــــــاهر العوائد النفســـــــية ... والبـــــاطن العوائق النفسيـــــــــة
من شـــــــهوة رياســـــــة ودعوى ... ونزعـــــــــة الشيطان وهي البلوى
فأول يـــــدعى بالحـــــجاب الحسي ... والثاني يدعى بالحـــــجاب النفسي
فمـــــــن يكن لنفسه مكبـــــكبا ... على هـــــــواها لم يزل محتـــــجبا
إذ تحـــــجب المرآة بالصـــــــداء ... عن انطـــــباع صور الأشيـــــاء
ومن أجـــــــــاد العقل بالمجاهدة ... رقى مقام الكشف والمشـــــــاهدة
وصـــــار في طي النفوس باديـــــا ... جميـــــع ما كـــــــان لها محاذيا
وظهـــــــرت خوارق العـــــادات ... عـــــليه من صقـــالة المـــــــرآة
وعـــــادت الحقيـــقة النفسيـــــة ... لأصـــــلها في الحضرة القدسيـــــة
وطـــــهر القلب من الأدغـــــال ... إذ حـــــل في درجة الكمـــــــال
لكـــــن أنـــــواع المجـــــاهدات ... بحســـــــب المقام للســـــــدات
تقـــــواه واستقـــامة وكشـــــف ... وذاك ما به القلـــــوب تصفـــــو
فـــــأي من أشد للـــــــحزم عرى ... وظل يرتضـــــي النـــفوس مـــــؤثرا
حـــــتى إذا صحـــت سماء القدس ... بطرد مكـــــروم سحـــاب الحس

حينـــــئذ تبدو شمـــــوس الغـيب ... مشـــــرقة بعرصـــات القـــــلب
وانطبـــــعت في وســـــط المرآة ... صـــور الأمـــــور والملـــكوتيات
وازخـــــرفت جدائق القلـــــوب ... بثـــــمرات الكشـــف والغيـــوب
و وابل الأســـــرار بالقلب انسجم ... وانفـــجرت منه ينـــابع الحـــكم
واعلم بـــأن رتبـــة الكمـــــال ... وخـــــارق العادات في المثـــــال
مطويـــــة في النفس طي الحب في ... أكمامه ظهـــــوره منـــها يفـــي
من بعد إرعاد الرعود الســـــائقه ... ثم انكساب المعصـــــرات الرائقـــه
حتى إذا شربـــــت الأشـــــجار ... وزال عن أغصـــــانها الغبـــــار
ولانـــــت الأعراق باتـــــوائها ... وسريان المـــــاء في أرجـــــائها
واهـــــتزت الأغصان بالريـــاح ... تهيـــــأ الثمـــار للقـــــاح
والقصـــــد عند القوم بالرعـــود ... قدح رعـــود الوعـــد والوعيـــد
ثم انسكـــاب مطر الوعـــظ على ... بصيرة المـــــرء لكـــي يمتثـــلا
حتى يلـــــين قلبـــه للفـــكرة ... وينتفـــــي عنه غـــبار الغفـــلة
حتى إذا هـــــبت رياح الحال من ... خزانة الوعظ عن القلـــب الفـــطن
واستـــخرجت ثمار غصـــن القلب ... بزهـــرها فبعـــد هذا الخصـــب
يبـــــدو لقـــاح العلم والأعمـــال ... بقـــــدر ما للقـــلب من كمـــال
فبعدمـــا تحصـــــل اللقـــــاح ... إذ هـــــب في أرجائها الريـــاح
وظهر الأزهـــــار في الأغصـــان ... وكان الاعـــــتدال في الزمـــان
وجـــــالت الرياح في الأشـــجار ... وسقـــط الجـــل من الثمـــار
حينـــــئذ تنعقـــد الأزهـــــار ... وازخـــــرفت بحبـــها الأشجـــار
كذاك من لقـــــاح العـــــلم ... والعمل الأزهـــــار عند القـــوم
وهو ظهـــــور العلم والعبـــادة ... على الجـــوارح مع الزيـــــادة
لأن مـــــن صح له الاخـــلاص ... صح له التحصـــــيل والخـــلاص
وحكـــــمة تجري على لســـــانه ... وطـــــاعة تجري على أركـــانه

وربما هبـــــــت على الأعمـــــــال ... ريـــــح الريـــــاء الموبق الرجـــــال

فتحبـــــــــط الجل من الطـاعات ... وهذه من أعـــــــظم الآفـــــــات

فالعـــــــاملون في الورى كثـــــــير ... والثابتـــــــون عمـــــلا يسيـــــــر

والعقد للأعمـــــــــــال في الطريقة ... ثبوتها بالحـــــــــــال والحقيـــــقة

وربما هبـــــــت ريـــــاح العجب ... ونحوه في عرصـــــــات القلـــــب

فأسقـــــــــــطت من ذلك الكثيرا ... وتركت منـــــــــــــــه زها يسيرا

إلا قليلا من عبـــــــــــــاد الله ... تمسكوا فيـــــــــــــها بحبل الله

لأنهم أهـــــــــــــل شهود المنة ... الطاعنو القطـــــــــــاع بالأسنة

وبعد أن ثبـــــــــــت ذا المقدارا ... ففي الصـــــــــــلاح يأخذ الثمارا

فإن جنـــــــــــــاها ربها بالشهرة ... لم يكمل الطيـــــــب لتلك الثمرة

وحيث بالخمـــــــــــول قد أخفاها ... تبلغت في الطيـــــــــــب منتهاها

بترك الاغتـــــــــــــرار والأمان ... ورفع صور محـــــــــــكم البنيان

تزخـــــــــــــرفت وحسنت الزاد ... ونال منها غـــــــــــاية المراد

وإن يكن أهمـــــــــــــلها فتقرب ... ثمارها كل يـــــــــــــد فتخرب

وآل كـــــــــــــده إلى الضياع ... إذ مـــــــاله فيه من انتـــــــفاع

وهذه طريـــــــــــــقة القطاع ... ما جابها غـــــــــــير فتى شجاع

ما حل منـــــــــــها بسنام الطور ... إلا امرؤ مؤيـــــــد بالنـــــــور

واعـــــلم بأن طرق التطهـــــــير ... كثـــــــيرة عند ذوي التنـــــوير

أقربها نفعا طريـــــــــــــق الذكر ... بسرعة يزيـــــــــــل كل ستر

لكن بشرط الخـــــــوف والحضور ... مع ادكار هيـــــــــــبة المذكور

فمن تك الغفـــــــــــلة والأمان ... في ذكره حجـــــــــــبه الشيطان

وحال بيـــــــنه وبيـــــــن ربه ... بقذفـــــــــــه وساوسا في قلبه

وأحدقـــــــــــت بقلبه غشاوة ... فلم يذق بالـــــذكر من حـــــلاوه

كـــــــــم باذل قواه في الأذكار ... ولم يجـــــــد للذكر من ثمـــــار

وذاك من وســـــــــاوس الشيطان ... يهيج بالغفـــــــــــــــلة والأمان

فعالج الخـــــــواطر الرديـــــــــه ... بالدفع فهـــــــــــــي حجب قويه

هيهات أن يطـــــــــمع في الأبصـــار ... من قلبه في الهذيـــــــــــان جاري

هل يرتـــــــــــــــقي بسلم المعالي ... من قلبه في عـــــــــــــالم الخيال

لن يستقيم القـــــــــــــلب للتوجيه ... مادام هـــــــــــــــذا الهذيان فيه

كيف يصـــــــــح فتح باب القدس ... مادام في القلـــــــــــب غبار النفس

لن يصل العبـــــــــــد إلى مولاه ... مدة ما ليـــــــــــل الهوى يغشاه

حتى غذا نهـــــــــــــاره تجلى ... يفتح بـــــــــاب الملكوت الأعلى

فاجـــــــعل أخـي همك هما واحد ... تكن لما تطلـــــــــــــبه مشاهدة

ومن شـــــروط الذكر ان لا يسقطا ... بعض حروف الاســـــــم أو يفرطا

في البعـــــــض من مناسك الشريعة ... عمدا فتـــــــــــلك بدعة شنيعة

والرقـــــــــص والصراخ والتصفيق ... عمد بذكـــــــــــــر الله لا يليق

وإنما المطلـــــــــــوب في الأذكار ... لذكر بالخشـــــــــــــوع والوقار

وغـــــــــير ذا حركة نفســـــــية ... إلا مع الغلبـــــــة القويـــــــــــة

فواجـــــــــــب تنزيه ذكر الله ... على اللبيـــــــــــب الذاكر الأواه

عن كل ما تفعـــــــله أهل البدع ... ويقتدي بفـــــــــــعل ارباب الورع

فقد رأيـــــــــنا فرقة أن ذكروا ... تبدعـــــــــوا وربما قد كفـــــــروا

وصنعوا في الذكر صنعا مـــــــنكرا ... صعبا فجاهـــــدهم جهـــادا أكبـــــرا

خلو من اســـــم الله حرف الهاء ... فألحـــــدوا في أعظم الاســـــــماء

لقد أتو والله شـــــــــــيئا إدا ... تخر منـــــــــــــه الشامخات هدا

والألـــــــف المحذوف قبل الهاء ... قد أسقطـــــــــــوه وهو ذو إخفاء

وغرهـــــــــم اسقاطه في الخط ... وكل من يتـــــــــــــركه فمخطي

قد غيـــــــروا اسم الله جل وعلا ... وزعموا نيـــــــــــل المراتب العلا

تغرهم مـــــــــذاقة طبعيـــــة ... سببـــــــها حركة نفســـــــــية

فزعمـــــــــــوا أن لهم أسرار ... وأن في قلوبـــــــــــــهم أنوارا

وزعموا أن لهـــــــــم أحوالا ... وأنهم قد بلغـــــــــــوا الكمال

والقوم لا يدرون ما الاحـــــوال ... فكونها لمثلـــــــــــــهم محال

حاشا بساط القدس والكمـــــال ... تطؤه حـــــــــوافر الجهـــــــال

قد أدعوا من الكمـــــال منتهى ... يكل عن تحصيـــــــــله أولو النهى

والجاهلـــــــون كالحمير الموقفة ... والعارفـــــــــــون سادة مشرفة

وهل يرى بســـــــاحل الأنوار ... من لج في بحر الـــــــــظلام ساري

وقال بعض الســـــــادة المتبعة ... في رجز يهـــــــــــجو به المبتدعة

ويذكـــــــــرون الله بالتغيير ... ويشطـــــــــحون الشطح كالحمير

وينبحـــــــون النبح كالكلاب ... طريقهم ليســـــــت على الصواب

قلت وشـــــــاع أمر الاشتباه ... في المتذاكريـــــــــــن باسم الله

فمن يكن مشتهـــــــرا بالذكر ... فشرطه من خشيـــــــــــة وفكر

جرى لســـــانه على الأذكار ... ومطرت سحـــــــــــائب الأنوار

حتى إذا مزجـــــــت الأذكار ... بالقلب واستنـــــــــــارت الأفكار

تأنس القلـــــــــب بذكر الله ... وصار طول الدهـــــــــر غير ساه

حتى إذا استنـــــــارت السريرة ... وانبث معنى الذكـــــــــر في البصيرة

وغرســـــــت في وسط الجنان ... شجـــــــرة تروق كل جـــــــان

دائـــــــمة الظلال والثمار ... وتحتها جـــــــداول الأنـــــــهار

وانقطعت علائق الشيـــــطان ... وطهرت بصيـــــــــــرة الانسان

ونقشـــــــت في قلبه علوم ... وأبديـــــــــت في سره فهـــــوم

ولأن قلـــــــــبه وقد أصابا ... في القلب نحو الملـــــــــــكوت بابا

فأي من ألقـــى فمال النفس ... إذ حل في شـــــــاطئ وادي القدس

وآنس النور بـــــذاك الوادي ... يفوز من شجـــــــــــرة المنادي

إنك بالوادي المقـــدس طوى ... فيكتسي من حـــــــــلل النور قوى

وربما يزجـــــــي به سحابا ... فيفيض من أرجـــــــــــائه شرابا

فيرتمي الصـــــب عليه شربا ... فيســـــــــــــتزيد طربا وحبا

وربما خامـــــــــره التملي ... فتعتـــــــريه صعقة التجـــــــلي

اذ ذاك فليـــفزع إلى الصلاة ... فإنها تفضـــــــــــــي إلى النجاة

أياه أن يضـــــــرب الخيال ... فيـــــــــــــزدري بقلبه الختال

فرب ســـــالك رأى سرابا ... بقيـــــــــــــعة يظنه شرابا

ياجاهلا بمنصـــب الكمال ... وطالبـــــا حضيض الأســـــفال

ألست ذا عـــقل وذا بصيرة ... ألم تكـــــــن منور السريـــــرة

حجبت بالعـــلائق النفسية ... عن هذه المراتـــــــــــب القدسية

رضيت بالمراتـــب الخسيسة ... بجهلك بالمراتـــــب النفيـــــسة

دوائر الحس عليـــك مطبقة ... وحضرة الكمـــــــال عنك مغلقة

يا مولـــعا بالعالم الجسماني ... وجـــــــــــاهلا بالعالم الروحاني

فكم خدمت الجسم يا بطال ... ولست من خدمتـــــــــــه تبالي

هلا خدمـت الروح يا مغرورا ... هيهات قد حجبت عنك النـــــورا

يا جـــــاهلا بعالم الأرواح ... حجب عنك الســـــــــر بالأشباح

فلو علمـــــت هذه التجارة ... لم تعتـــــــــــبر من دونها خسارة

يا جاهلا بقلبـــــه وما حوا ... مشتغلا بالشهـــــــــــوات والهوى

لو غصت في بحـرك يا مغرورا ... وجـــــدت فيه لؤلؤا منثـــــــورا

ولو تركـــت العالم الجسماني ... لذقـــــــــت سر العالم الروحاني

وكل مشغـــول بعالم الجسد ... فذاك محجـــــوب عن الله الصمد

فلتشتـــــغل بالعالم الروحاني ... واترك سبيـــــــل العالم الجسماني

واخرق حجاب النفس بعد الجسم ... ترى الكمال في بســـــاط العلم

فمن سمـــى في خدمة الموضوع ... فذاك محجـــــــــوب عن الطلوع

إذ أول الســـــلوك ترك ذلك ... وبعده يســـــــــلك في المسالك

نعم بقـــــدرة القوة النفسية ... لم تتصل بالحضرة القـــــــدسية

فابـــذل قواك في علاج النفس ... من كل وصـــــــــمة بها ولبس

حتى إذا صحت سمـاء القدس ... يأنسها عن طبـــــــقات النفس

فعنده شمـــــس شهود الحق مشـــــــــــرقة على بروج الصدق

هيهات أن يطأ بساط القدس مكبـــــــلا بشهوات النـــــفس

هيهات أن يطأ البساط الأحمق كيف ينال الســـــــر من لا يصدق

هيهات أن يرقى المقـــام العليا من كان للنفـــــــس مطيـــعا باليا

وهل يطأ مســـــــاجد الانابة من لم يزل يحـــــــدث الجنـــــاية

كيف تفيد الشكل مرآة الصدى أم كيف تعشـــــو مقلة فيها القذى

عجبت من مسافر يشكوا الظما وحوله عـــــــــــذب فرات أيما

ما حل وفد الراصدين مرصـــدا ورام حزب الواردیـــــــــــن موردا

إلا بخماص البطـــــون والسفر والصمـــــــت والعزلة عن كل البشر

والزهد في الدنيا وتقصـير الأمل وفكرة القلـــــب وتكثـــير العمل

والخوف والذكر بكـــــل حال والصبر والقوت من الحـــــــــــلال

وفعل أنواع المعامـــــــــــلات وفعل أركان المجـــــــــــــاهدات

من بعد تحصـيل فروض العين علما وأعمـــــــــــالا بغير مين

فأين حـــــــال هؤلاء القوم من سوء حـــــــــال فقراء اليوم

قد ادعو مـــــــــراتبا جليلة و الشرع قد تجنبـــــــــوا سبيله

قد نبـــــــذوا شريعة الرسول والقوم قد حـــــــاذوا عن السبيل

لم يدخـــــــلوا دائرة الحقيقة فضـــلا عن دائرة الطريـــــــــقة

لم يقـــــــتدوا بسيد الانام فخرجـــــــــــوا عن ملة الاسلام

لم يدخـــــلوا دائرة الشريعة وأولعـــــــــــــوا ببدع شنيعة

لم يعمـــلوا بمقتضى الكتاب وسنة الهـــــــــادي إلى الصواب

قد ملـــــكت قلوبهم اوهام فالقـــــــــوم إبليس لهم إمـــــام

كفـــــــاك في جمعهم خيانة أن أخلطـــــوا الدنيا بالديـــــانة

وانتهـــــــكوا محارم الشريعة وسلكوا مســـــــــــالك الخديعة

من كان في نيل الكمال راجيا وعن شريعة الرســـــــــول نائيا

فانه مبـــــــــــلس مفتون أو عقـــــــله مبلس مـــــجنون

هذا محال لا يصـــــح أبدا ... لأن سيـــــــد الورى باب الهدى

وقال بعض الســـادة الصوفية ... مقـــــــــــالة جليلة صفية

إذا رأيـــــــت رجلا يطير ... أو فوق مـــــــــاء البحر قد يسير

ولم يقف عند حـــدود الشرع ... فإنه مســـــــــــتدرج وبدعي

واعلم بأن الخـــارق الروحاني ... لتـــــــــــابع السنة والقرآن

والفرق بين الإفـــك والصواب ... يعـــــــرف بالسنة والكـــــتاب

والشرع ميزان الأمـــــور كلها ... وشـــــــــــاهدا بفرعها وأصلها

والشرع نور الحق مـــن قد بدا ... وانفجـــــــــرت منه ينابيع الهدا

وقال بعض أوليـــــــاء الله ... السالكـــــــــــتين لصراط الله

من ادعـــــى مراتب الجمال ... ولم يقـــــــــــم بأدب الجلال

فارفضه إنه الفـــتى الدجال ... ليس له التحقيـــــــــق والكمال

وإن تحلى بحلي المـــــــعالي ... وبحـــــدود الله لم يبـــــــــالي

ففر مـــــــن إنه الشيطان ... مخـــــــــــادع ملابس خوان

يا صـــــــاح لا تعبأ بهؤلاء ... ذوي الخنـــا والزور والأهـــــــــواء

باءوا بســـــخط وضلال وقلى ... لم يبلغـــــــــوا مراتب المجد إلى

أن تنظر البهموت بالعرش يناط ... أو يلج الجـــــــمل في سم الخياط

هذا زمان كثرت فيـــــه البدع ... واضطربت عليـــــــه أمواج الخدع

وخسفت شمـــوس الهدى وأفلت ... من بعد ما قد بزغـــــــت وكملت

والدين قد تهدمـــــت أركانه ... والزور طابـــــــــق الهوا دخانه

وظلمـــــــات الزور والبهتان ... تزخرفـــــــــت في جملة الاوطان

لم يبقى من دين الهدى إلا اسمه ... ولا مـــــــــن القرآن إلا رسمه

هيهات قد غضت ينابيع الهدى ... وفاض بحر الجـــــــهل والزيغ بدا

أين دعاة الديـــــن أهل العلم ... قد سلفـــــــــوا والله قبل اليوم

وهاجت الطائـــــفة الدجالة ... السالكـــــــــون للطريق الباطلة

وكثرت أهل الدعـــاوي الكاذبة ... وصارت البـــــــدعة فيهم غالبة

فالقوم إذ زاغـــــــوا أزاغ الله ... قلوبهم فانسلخـــــــــــــوا وتاهوا
وجاء في الحديث عن خير الورى ... لن يخرج الدجـــــــــال يعنى الأكبرا
حتى تقوم قبـــــــــله دجالة ... كل يلـــــــــــــوذ طريقة باطلة
من لم يلـــــج بالمنهج المحمدي ... باء بسخـــــــــــط الله طول الأمد
هيهات ان يطمع في نيــل الوفا ... من حـــــــاد عن شرع النبي المصطفى
فغنه هو الســــــــراج الأنور ... وبـــــــــــــاب حضرة الاله الأكبر
فكل من يرغـــــب عن سنته ... فليـــــــــــــس عن الله من أمته
من حـــاد عن سنته فقد غوى ... وفي غيابات الضـــــــلال فقد هوى
والمصـــــــطفى خير وسيلة إلى ... إلهنا رب السمـــــــــــــاوات العلا
صلى عليه الله ما هب الصـــبا ... وما إلـــــــــيه قلب عـــاشق قد صبا
يا أيها المغلول في سجـن الهوى ... أقبـــــــــــل لما عليه قلبك انطوى
وجد كل الجـــــد في إصفائه ... تستـــــــــــخرج المكنون من ارجائه
ولازم التفويـــــــض والانابة ... فهـــــــــــــذه طريقة الصحابة
تأنســــــــــت قلوبهم بالله ... فأخلصـــــــــــــوا أوقاتهم لله
واستغـــــرقوا أوقاتهم بالطاعة ... على بســــــــــاط القدس والضراعة
الناس في جوف الظلام هجعوا ... والقـــــــــــــوم فيه سجد وركع
حثوا مطايا الحزم جوف الدجى ... تطلع شمسهم إذا الليـــــــــل سجا
ففي المنـــــــاجاة لهم كؤوس ... تحيـــــــــا بها الارواح والنفـــــوس
هم الهداة بهـــــــداهم اقتد ... إلى مراتـــــــــــــب الوصول تهتدي
واكشف حجاب السر بالتفريد ... بالعـــــــــــــالم الأسني مع التجريد
ترى الغيـــــوب كلها جلية ... وترتـــــــــــــقي للحضرة العلية
مازال عن مرآته كشـف الغطا ... من لم يـــــــــــــزل في حسه مثبطا
فأي من أدمـــــــن قرع الباب ... منقطـــــــــــــعا عن جملة الأسباب
فإنه يرتقب الفـــــــــتوحا ... حتى يصيـــــــــــــر صدره مشروحا
من قطـــــع العلائق النفسية ... ولج بـــــــــــــاب الحضرة القدسية

فاشدد إزار الحـــزم والمجاهدة عســـــــــــــاك ترقى منبر المشاهدة
وقف على بـــاب الكريم باكيا وكن هنـــــــــــــاك خائفا وراجيا
معترفا بالذنـــــــب والجناية عســـــــــــــاه أن يمن بالهذاية
فليس باب الكريم غـــــالقا إذا توجـــــــــه المريد صادقـــــــا
والصدق والاخلاص في الامور شرط به يكـــــــــــون قدح النور
يا عاشقا في الدرجـات العليا اعلم بأن الصفقـــــــــــات غالية
مـــا نالها ذوي العجز والتواني إلا بكد النفـــــــــــس والاذعان
فارحل إلى المهيـــمن القدوس وابني عـــــلى تزكيـــــــة النفوس
قد أفلح والله من زكـــــاها يومـــــا كما خاب من دســـــاها
واخرق حجاب السبعة الاطوار لكي تـــــــــــرى دقائق الاسرار
ترى من السر المصـــون عجبا وترتقـــــــــــي في الدرجات رتبا
وتبصر النفوس مستنـــــــيرة جـــــــــــارية في فلك البصيرة
القلب كالمـــــــرآة للتجلي يصفـــــوا بها صقالة التخـــــــتلي
القلب عـــــرش سره الرباني وحضرة للقـــــــــــرب والتداني
القلب فهو لوحـــك المحفوظ يا أيها المقـــــــــــرب الملحوظ
فقرأ سطـــور لوحك المكنون يريـــــــك سر أمره المصـــــون
القلب سر الله في الانســـان وعرشه المحيـــــــط بالأكـــوان
وهو من عرش السمـــاء أكبر وذاك وعـــــنى في الحديـــث يذكر
أعني حديث الوســـع للتجلي فاعرف زمـــــــام قلبك الأجل
القلب مشكـــــاة التجليات مهما خـــــــــلا من جملة الآفات
القلب كنز من كنـــــوز الله وفيه باب ملـــــــــكوت الله
القلب من عجـــائب الرحمن أودعه في عـــــــــالم الابدان
فالروح باب الحضـــرة القدسية تحجبـــــــه العلائـــــق النفسية
وانما يفتـــــــــح بالأذكار لجـــــــــازم بالليل والنهـــــار
اذا اعتـــــراك سقم في القلب فافزع إلى الذكـــــــــــر ولذ بالرب

فان تكـــــــن لم تنتفع بالذكر ... فاندب على نفســـــــــــك طول الدهر
فاخلع نعـــال الكون جملة وجي ... تكن على طـــــــــــــور المناجاة نجي
كيف تناجي المتنـــاجي في طوى ... والقلب تحت قهر سلطـــــــــــان الهوى
لو ذهبت عن الحـــــجا أكداره ... لجاء بعد ليـــــــــــــــــــله نهاره
فمـــــــــن رأى بواطن الأواني ... وفهـــــــــــــــــم الأسرار والمعاني
من غيـــــــر ما كسب له يعاني ... فذلك المخصـــــــــــــــوص بالتداني
والغيـــــــب محجوب عن النفوس ... بهذيـــــــــــــــــان العالم المحسوس
لن يستفيـــــــــد المرء علما بالإله ... وفي الحجـــــــــــــــاء لمعة لمن سواه
فإن ترد معـــــــــــــرفة بالرب ... فارغب إليـــــــــــــــه صادقا بالقلب
ولا تعد غيـــــــــــره موجودا ... فتغتـــــــــــــــــدي عن بابه مطرودا
وكن على بصـــــــيرة في الدين ... بالعـــــــــلم والتحقيـــــــق واليقين
وكن على حـــــــــدوده محافظا ... وكن لهـــــــــــــــــذا الهذيان رافضا
إذ ذاك فلتفـــــــــزع إلى التخلي ... وبعده فافـــــــــــــــزع إلى التجلي
ولازم الذكر بكـــــــــل حال ... وفر مـــــــــــن طوارق الخيـــــــال
فإن تخـــــف شيء من الأنفاس ... فذاك مـــــــــن علامة الافـــــــلاس
ولا تزال واقـــــــــفا بالباب ... وذاكرا للمـــــــــــــــــلك الوهاب
حتى ترى الهـــــمة قد تجمعت ... وفكرة الانســـــــــــــــان قد توسعت
وكل ما يغشـــــــاه في السبيل ... من وارد فنقـــــــــــــــــله للدليل
وذكر أهل الفضـــــل والبصائر ... بوارق الثلاثـــــــــــــــــة الدوائر
دائرة الاســـــــــلام والايمان ... فوقها دائـــــــــــــــــرة الاحسان
وذاك باللســـــــــان والجنان ... والروح وهو منصـــــــــــــب الاحسان
فالقلب ترجمـــــــــانه اللسان ... والروح ترجمـــــــــــــــانه الجنان
فلا يزال باللســـــــــان يذكر ... حتى يصيـــــــــــــــــر أبدا لا يفتر
حتى غذا مستغرق اللســـــــان ... فيه اليـــــــــــــــــه التفت الجنان
حتى يصير القلـــــب ليس يفتر ... فيصمت اللســـــــــــــان وهو يذكر

حتى إذا استولى عليـــــه الذكر ... ولم يكن له علـــــــــــــــــيه صبر
واتسعت دائـــــــرة الافكار ... وأومضت سواطع الأنـــــــــــــوار
توجه القلـــــــــب إلى مولاه ... ولم يـــــــــلذ بأحد ســـــــــــواه
ولا يـــــــــــزال ذاكرا بقلبه ... وجـــــــــــــــــامعا همته لربه
حتى يصـــــــير لفظه منتسخا ... ويرجع المعـــــــــــــنى به مرســـخا
وصار كالغـــــــــداء للقلوب ... كالجســـــــــــــم بالطعوم والمشروب
فتستفيق الروح من إغمـــــائها ... إذ بث نـــــــــــــور الذكر في أرجائها
حينئذ تنقـــــــــدح الأنوار ... وتظهر الغيـــــــــــــوب والأسرار
وأن للحقيـــــــــقة النفسية ... رجـــــــــــــوعها للحضرة القدسية
ولاح أنـــــــــوار الغيبات ... وذاك مبدئ المكـــــــــــــاشفات
وها هنا مواقـــــــف عظيمة ... وفـــــــــــــتن خطوها جسيمة
تزل في خـــــــلالها الأقدام ... وكم تظـــــــــــــل عندها الأحلام
فان يقف بها امرؤ منها سلب ... وعن جميع الدرجـــــــــات قد حجب
وكم أخا جهـــل بذاك طردا ... والله يهـــــــــــــتدي من يشاء للهدا
فمن يقـــــــف لفتن البداية ... حجـــــــــــــب عن مراتب النهاية
فإن يكن مقصده متـــــحدا ... ولم يكـــــــــــــن ملتفتا لما بدا
فذاك بالغ على مقصـــــوده ... وواقفا بيـــــــــــــن يدي معبوده
فيكشف الحجاب عن بصيرته ... وتقذف الأنـــــــــــــوار في سريرته
ولا يزال جمـــــلة الأوقات ... يجـــــــــوب أطوار التجليـــــــات
حتى يحل بسنـــــام الطور ... فينتـــــــــــــهي من لحظة المسطور
فصار إذ ذاك ينـــاجي ربه ... فزج في بـــــــــح العلـــــوم قلبه
وفتح البـــــاب له في قلبه ... فصـــــــــار منـه آخذا لربـــــــه
فرد نحو مركـــــــز البداية ... إذ حـــــــــــل في درجة الولاية
وصار بابـــــه الله في عباده ... يستـــــــــــخرج الحكمة من فؤاده
وصار وارثـــا على الحقيقة ... ومرشـــــــــــدا لسائر الخليقة

فهذه طريـــــــقة الرجال وآل أمـــــــــــــــــرها إلى الزوال

وكثر الملبســـــــــون فيها وصـــــــار ذو البدعة يدعـــــــــيها

وأسفا على طريق السابـــله أفسدها الطائفة الدجـــــــــــــاجله

قد أحدثوا طريقة بدعـــــية ورفضوا الطريـــــــــقة الشرعيـــــــــة

يا عجبا لرافض الشريـــــــعة ويدعي درجـــــــــــــــــة رفيعة

وكيف يرقى ســـــلم الحقيقة مخـــــــــــــــــــالفا لسيد الخليقة

واحسرتا على الطريق المستقيم قد ادعـــــــــــــــــاه كل أفاك أثيم

قد اشرفوا على كهوف الكفر وستروا بدعتـــــــــــــــــهم بالفقر

واتخذوا مشـــــــايخا جهالة لم يعرفا الحـــــــرام والحـــــــــلالا

لم يقفا عند حـــــــدود الله وسنة الهـــــــــــــــــادي رسول الله

نفر وهـــــــم من دعاة الدين أولي التـــــــــــــــتقى و العلم واليقين

فاعرضوا عن سبـــــيل الرحمن واعتبـــــــــــــــــروا خرائف الأوهام

وعكســـــــوا حقائق الأمور ونصبـــــــــوا حبائل الفـــــــــــجور

وجعلوا ملء البطـــون أصلهم بنوا عليـــــــــه أمرهم وسبـــــــــلهم

بعدا لقوم ألحـــــدوا في الدين واشتغـــــــــــــــــلوا بطاعة اللعين

وأولعـــــــوا بالإفك والتلبيس تأسيا بشيـــــــــــــــــخهم إبليس

واسفاه على حمـــــــاة الدين أولى الذكـــــــــا والعلم والتمكـــــــين

آه على طريقة قد ذهبـــــــت وهدمـــــــــــت أصولها وقلبـــــــــت

وهاج افك المدعيـــــــن فيها وصار من يطلبـــــــــــــــها سفيها

آه على طريـــــــقة الكمال أفســـــــــــــــــدها طوائف الضلال

آه على طريـــــــقة أهل الله أه على طريـــــــــــــــــقة حزب الله

طريقة أفســـــــدها أهل البدع فتركت مهجـــــــــــــــــورة لا تتبع

طريقة أفســـــــدها الفجار فكثروا وانتشـــــــــــــــــروا وثاروا

وظهرت في جمـــــــلة البلاد طائـــــــــــــــــفة البلع والازدراد

قد أحسن الوالـــــد في العبارة إذ قال قولا صـــــــــــــــادق الاشارة

فقال في أولئـــــك الدجالة مقـــــالة صادقة وعادلـــــــــــة
وزنتهم بالشـــــرع فهو نائي منهـــــــــــم كمثل الارض والسماء
وزنتهم بمنهـــــــــج الحقيقة فلم أجـــــــــــــد منها لهم دقيقة
وكان ينميـــــــهم إلى الدخان فارحمه يا ذا الفضـــــــــل والاحسان
يا ويلتا هذا الزمـــــان البدع مات به أهـــــــــــل التقى والورع
وحسرتي على الكـــرام البررة قد أخلفـــــــــــوا بالمبدعين الفجرة
وجدني العـــــاذل يوما باكيا وبحذاة ســـــــــــــادتي مناديا
واسفاه بادوا فمـــن لي مرشدا فقـــــــــــال جاهلا بأمري منشدا
يا أيها التائه في البيـــــــداء مالي أراك دائـــــــــــــما بكاء؟
أراك نائـــــــحا على الآثار والطلل البـــــــــــالي رسوم الدار
مهلا على نفسك يا مسكين أخاف أن يأتيـــــك اليقـــــــين
فقلت إني يا أخـــــــي أنوح على فراق سادي أصيـــــــــــح
قد رحلوا قاطبـــــــة وذهبوا طرا وما علمـــــــــــت أين ذهبوا
ولا ازال هكذا مستمســـــكا عسى دليـــــل القوم يسمع البكا
وإن أمت أموت في هواهـــــم إذ ليس لي من ســـــــادة سواهم
وأسفاه على الرجـال الكاملين قد ذهبوا بين العبـــــــاد خاملين
فستروا بظلمـــــــات البدع فلم يبين صـــــــــادق من مدعي
وذهبـــــوا لله فيمـن ذهبا وسكنوا بالفلـــــــوات والربـــا
ومن يرد معـــــــرفة البدع وما أبتنى عليه أصـــــــل المدعي
ففي كتاب شيـــخنا الزروقي عجـــــــــــائب فائقة الرتـــوق
ثم صلاة الله كل حـــــين على أجـــــــــل من أتى بالدين
محمد سلطان أهل الحضـرة وآله أجـــــــــــــل كل زهرة
في أربع وأربعون قد انجـــــز من عـــــاشر القرون قل هذا الرجز

تمت بحمد الله وعونه وحسن توفيقه

بداية مخطوط منظومة القدسية

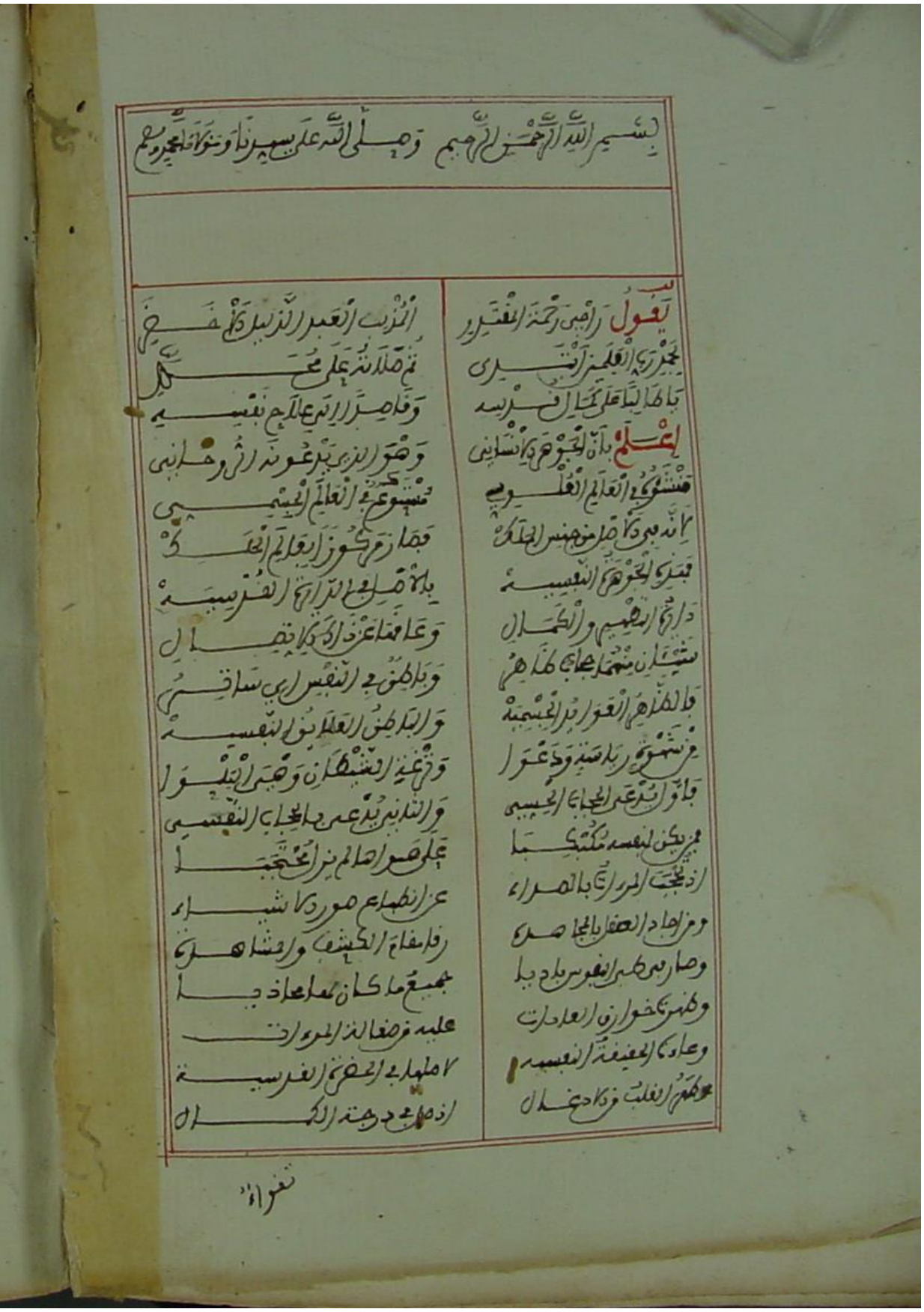

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وسلم

يقول راجي رحمة المقتدر
محمد بن العلمي التلمساني
يا طالبا علم الكمال فريد
اعلم بأن الجوهر النفساني
منشوق إلى العالم العلوي
لأنه مبدأ قبل من جنس العالم
فيدرك الجوهر النفسية
درك العلم والكمال
شيئان منعهما حجاب كثافة
فالكثافة العوارض الجسمية
من شهوة رديئة وغضب
فأول التدرع الحجاب الحسي
فمن يكن لنفسه مكتسبا
إذ تحجب المرآة بالصدأ
ومن جلاء الصقل بالمحاصدة
وصار في كسر النفوس بلا جلا
وكلما تخوارن العادات
وعادة الخفيفة النفسية
حكمه الغلب فزاد غشاوة

المذنب الفقير الذليل الخفي
ثم صلاته على محمد
وقاصد الراحة لعالم نفسه
وصور الذي يدرعونه الرثة وحالتي
منشوق إلى العالم القدسي
فحازم يكون العالم الخالد
بالاتصال بالدرجة القدسية
وعاقها عن ذاك بالاتصال
وبالكون في النفس الذي سافر
والباطن العلائق النفسية
وقد غنية الشغل وحبس التيسر
والتدنيس عن حجاب النفسي
على صور العالم من المجسما
عن الطباع صورة الأشياء
فالمفتاح الكشف والمشاهدة
بجميع ما كان مما عاد جلا
عليه من ضعالة المرء الذي
لأهل الدرجة القدسية
إذ صار في درجة الكمال

تمت

نهاية مخطوط منظومة القدسية

الملحق رقم 02:

2-1 بداية مخطوط شرح منظومة السلم المرونق لعبدالرحمن الأخضري

2-2نهاية مخطوط شرح السلم المرونق لعبد الرحمن الأخضري

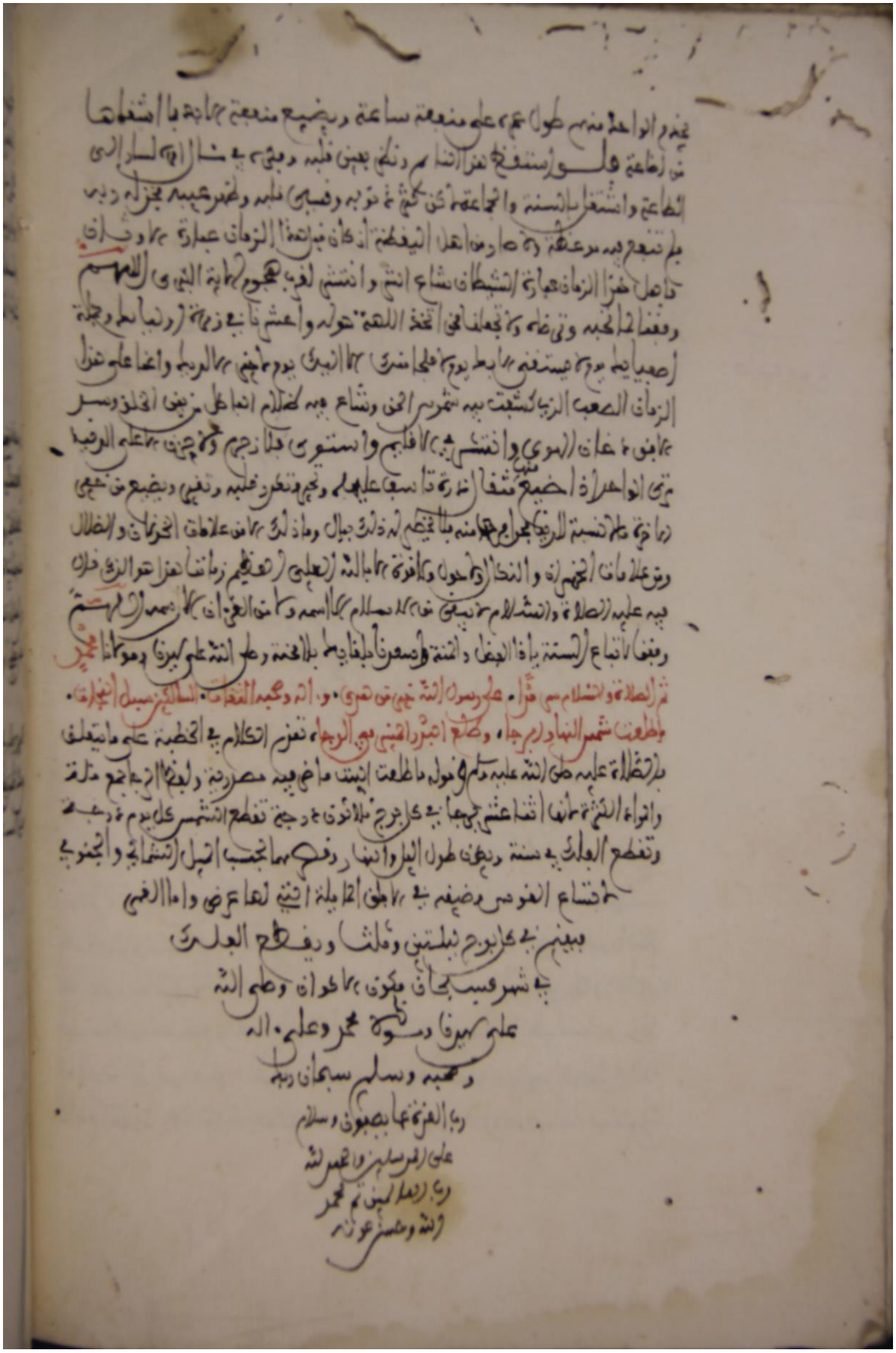

الملحق رقم 03:

3-1مقدمة مخطوط شرح الحفناوي لمنظومة السلم المرونق

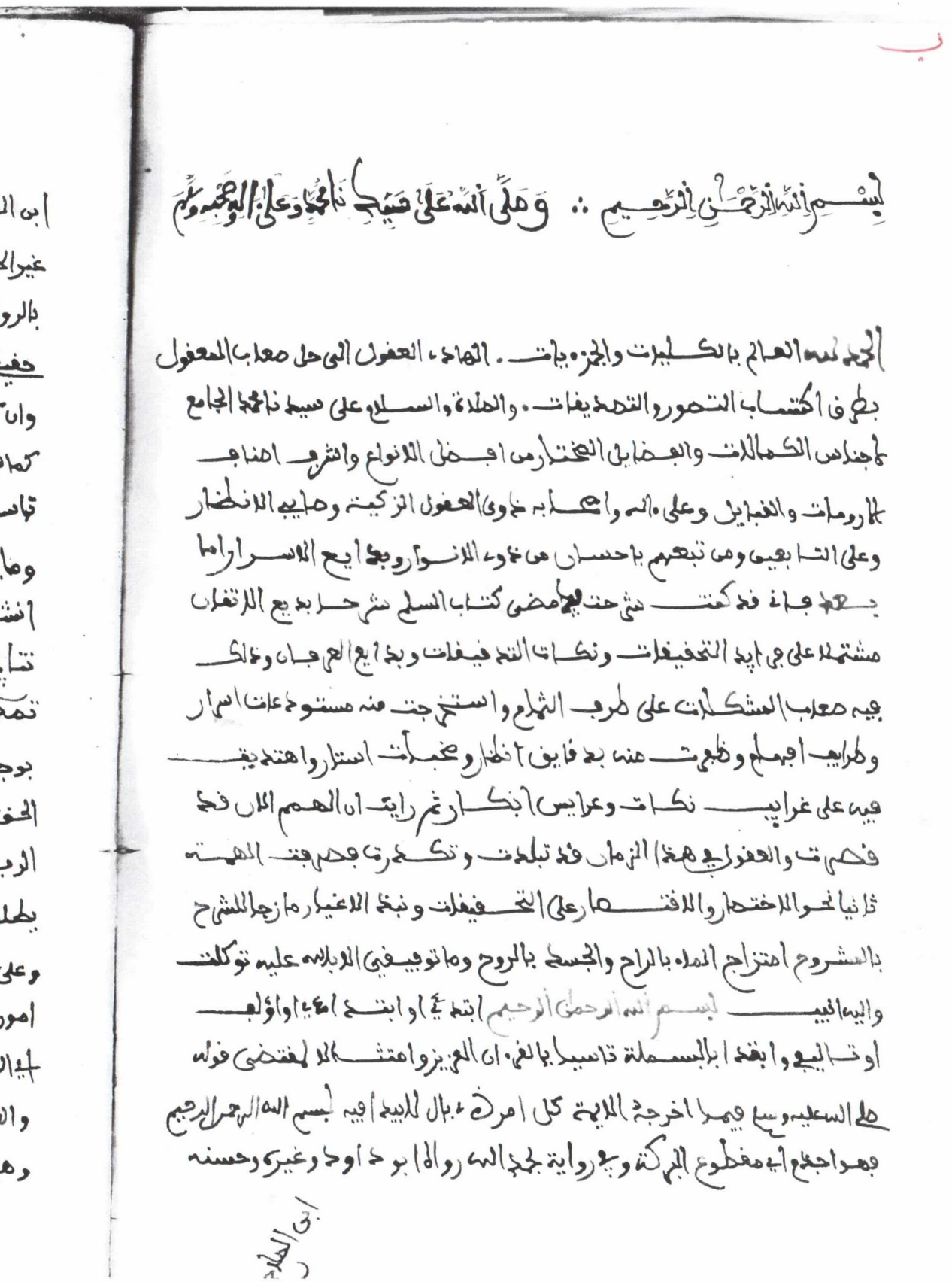

بسم الله الرحمن الرحيم .. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

الحمد لله العالم بالكليات والجزئيات . الهادي العقول الى حل صعاب المعقول بطرق اكتساب التصور والتصديقات . والصلاة والسلام على سيدنا محمد الجامع لاجناس الكمالات والفضايل المختار من افضل الانواع واشرف اصناف المخلوقات والفضايل وعلى آله واصحابه خاوي العقول الزكية وحايزي الانظار وعلى التابعين ومن تبعهم باحسان من خاوي الانوار وبعد ايها الاسرار اما بعد فاني قد كنت منذ حين في اثناء مضي كتاب السلم شرحا بديع الاتقان مشتملا على بيان التخفيفات ونكات التصحيفات وبدايع العرفان وذلك فيه صعاب المشكلات على طرف الثمام واستخرجت منه مستودعات اسرار وغرايب ابهام وظهرت عنه بعد خفاين انظار وخبيات استار واهتديت فيه على غرايب نكات وعرايس افكار ثم رايت ان الهمم الان قد قصرت والعقول في هذا الزمان قد تبلدت وتكدرت فصرفت الهمة ثانيا نحو الاختصار والاقتصار على التخفيفات ونبذ الاغيار مازجا للشرح بالشروح امتزاج الماء بالراح والجسد بالروح وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب ابتدي بسم الله الرحمن الرحيم ابتداء او ابتداء اقتداء اوتاليا او ابتداء بالبسملة تاسيا بالقرآن العزيز واقتداء لما يقتضي قوله صلى الله عليه وسلم فيما اخرجه الدايمة كل امر ذي بال لم يبدا فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اجذم اي مقطوع البركة وفي رواية بحمد الله رواه ابو داود وغيره وحسنه

ابن الحفناوي

2-3نهاية المخطوط

الملحق رقم 04:

4-1 بداية مخطوط الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية للحسين الورتلاني

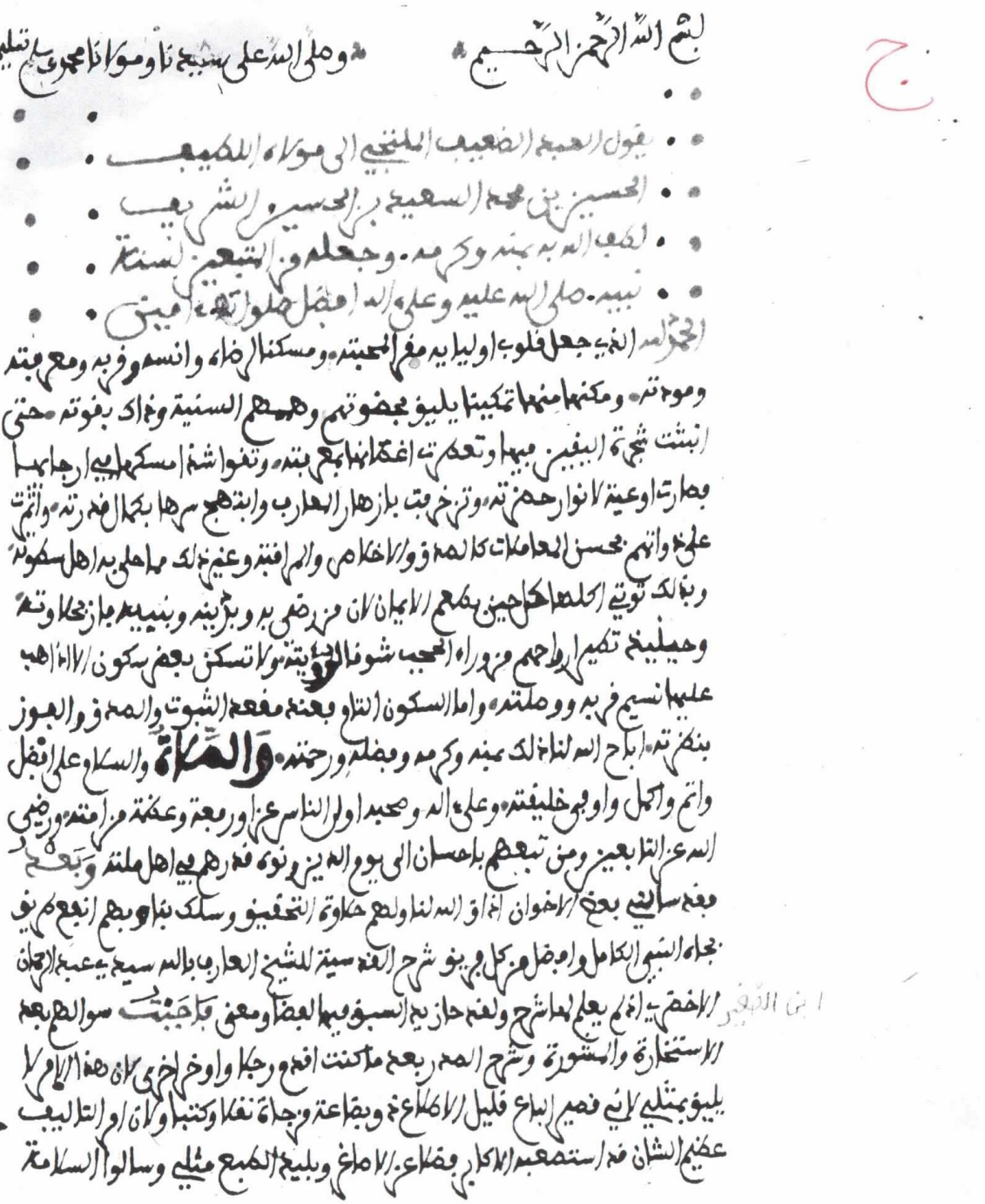

بسم الله الرحمن الرحيم * وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما

يقول العبد الضعيف الملتجئ الى مولاه اللطيف
الحسين بن محمد السعيد بن الحسين الشريف
لطف الله به بمنه وكرمه. وجعله من المتبعين لسنة
نبيه. صلى الله عليه وعلى اله افضل صلواته آمين

الحمد لله الذي جعل قلوب اوليائه مغرم المحبته. ومسكن رضاه وانسه وقربه ومعرفته وموده. ومكنهم منها تمكينا يليق بجضوتهم وهمهم السنية وذاك بفوته حتى انبثت شجرة اليقين فيها وتعمرت اغصانها بمعرفته. وتفواشة امسكها يد ارجائها فصارت اوعية لانوار حضرته. وتزخرفت بازهار المعارف وابتهج سرها بكمال فدرته. واثمرت علوما واتهم بحسن المعاملات كالصدق والاخلاص والمراقبة وغير ذلك مما حلى به اهل سكونه وبذلك توبتي الحلة الحاكمين بكمال الايمان الذين رضي بربوبيته وبنبيه جاز بحاوته وحيلولة تكميل ارواحهم من وراء الحجب شوقا الى رؤيته ولا تسكن بعض سكون الا اذا اهب عليها نسيم قربه ووصلته. واما السكون التام فهو بعد مفعة الثبوت والصدق والفوز بنظرته. اباح الله لنا ذلك بمنه وكرمه وفضله ورحمته. والصلاة والسلام على افضل واتم واكمل واوفى خليفته. وعلى اله وصحبه اولى الناس عزا واوربعة وعكمة من امته. ورضي الله عن التابعين ومن تبعهم باحسان الى يوم الدين ونور قدرهم في اهل ملته وبعد فقد سالني بعض الاخوان اخاق الله لنا ولهم حلاوة التحقيق وسلك بنا وبهم انجع طريق بجاه النبي الكامل واوفى من كل فريق شرح الفدسية للشيخ العارف بالله سيدي عبد الرحمان الاخضري اذا لم يعلم لها شرح ولقد حاز بي السبق فيها بعضا ومعنى فاجبته سوالهم بعد الاستخارة والمشورة وشرح الصدر بعد ما كنت اقدم رجلا واوخر اخرى لان هذا الامر لا يليق بمثلي لاني قصير الباع قليل الاطلاع ذو بضاعة مزجاة نقلا وكتبا ولان اولى التاليف عظيم الشان قد استصعبه الاكابر فضلا عن الاصاغر وبليغ الكمع مثلي وسالوا السلامة

4-1نهاية المخطوط

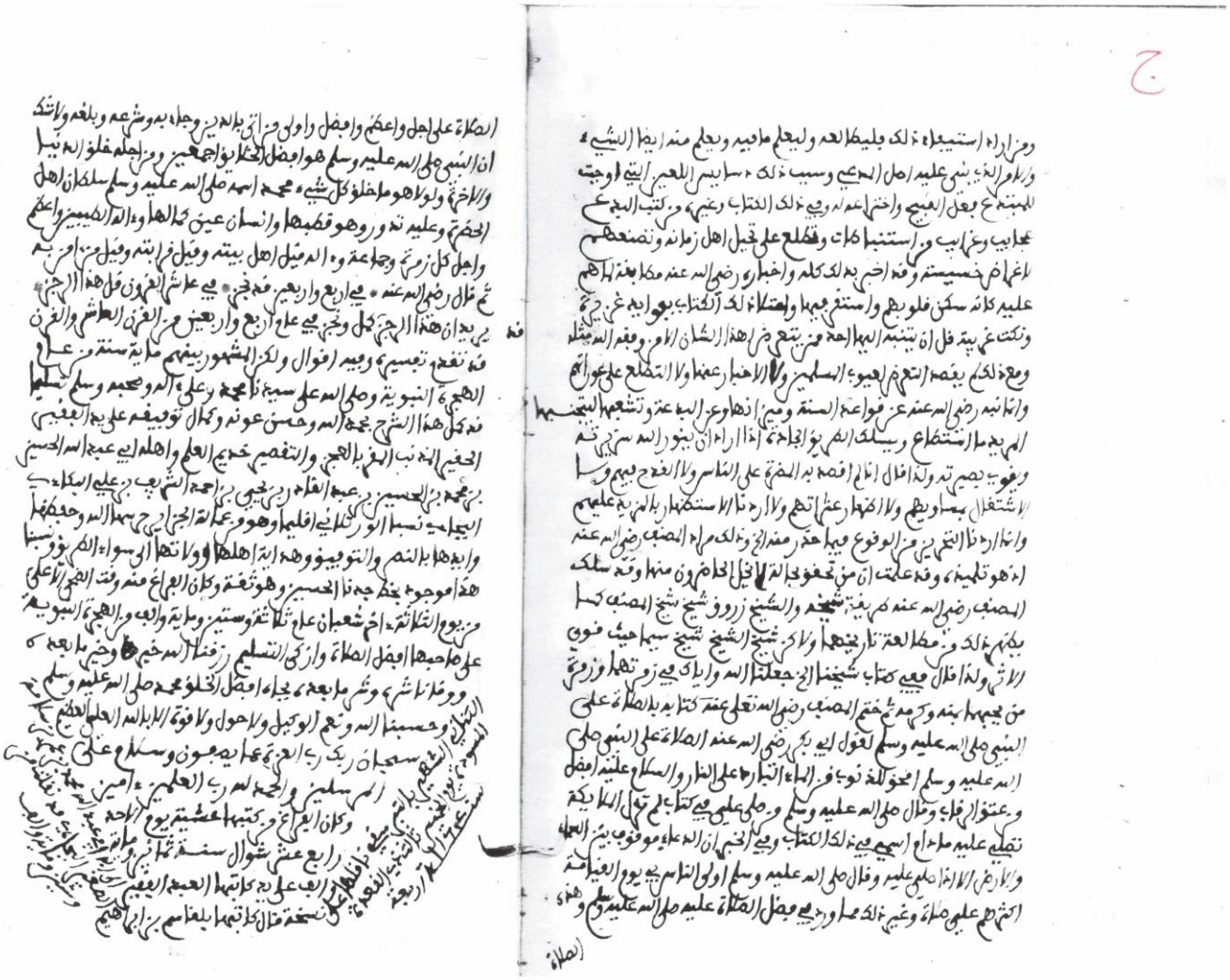

الملحق رقم:05

5-1بداية مخطوط منظومة اللامية في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن الأخضري

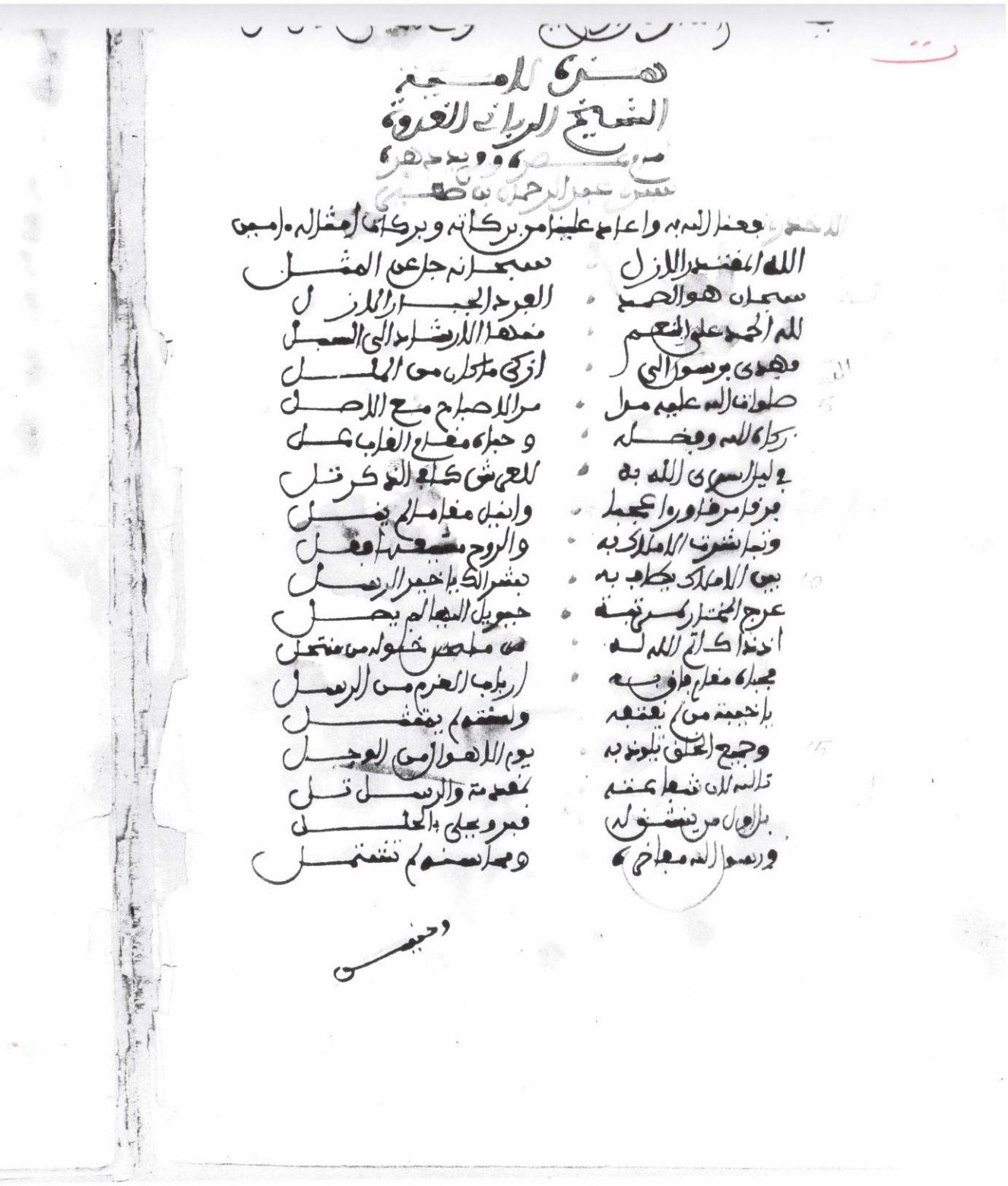

5-2نهاية مخطوط منظومة اللامية

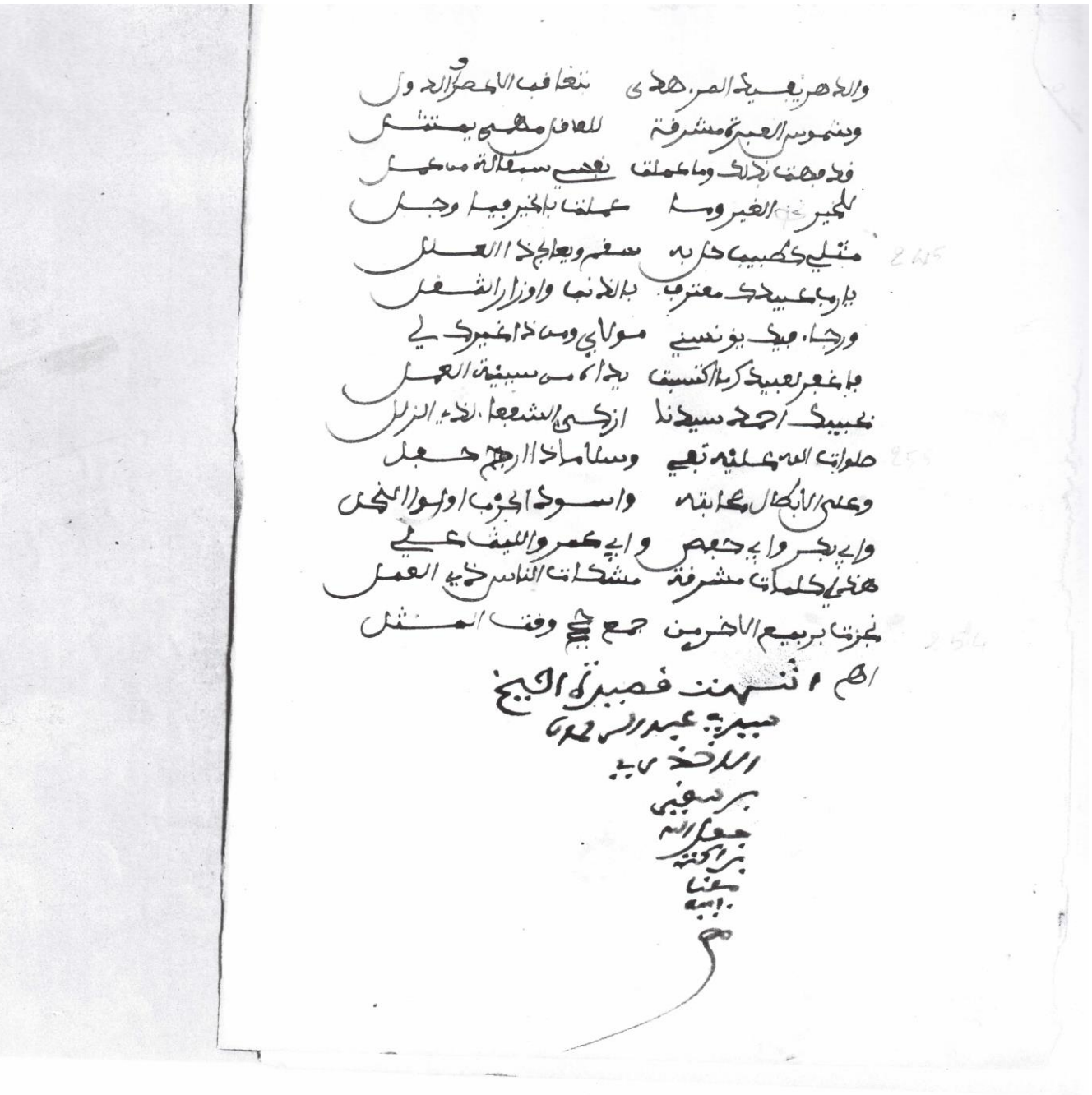

الملحق رقم06:

بداية مخطوط الذرة البيضاء لعبدالرحمن الأخضري

الملحق رقم07:

بداية مخطوط منظومة الجوهر المكنون

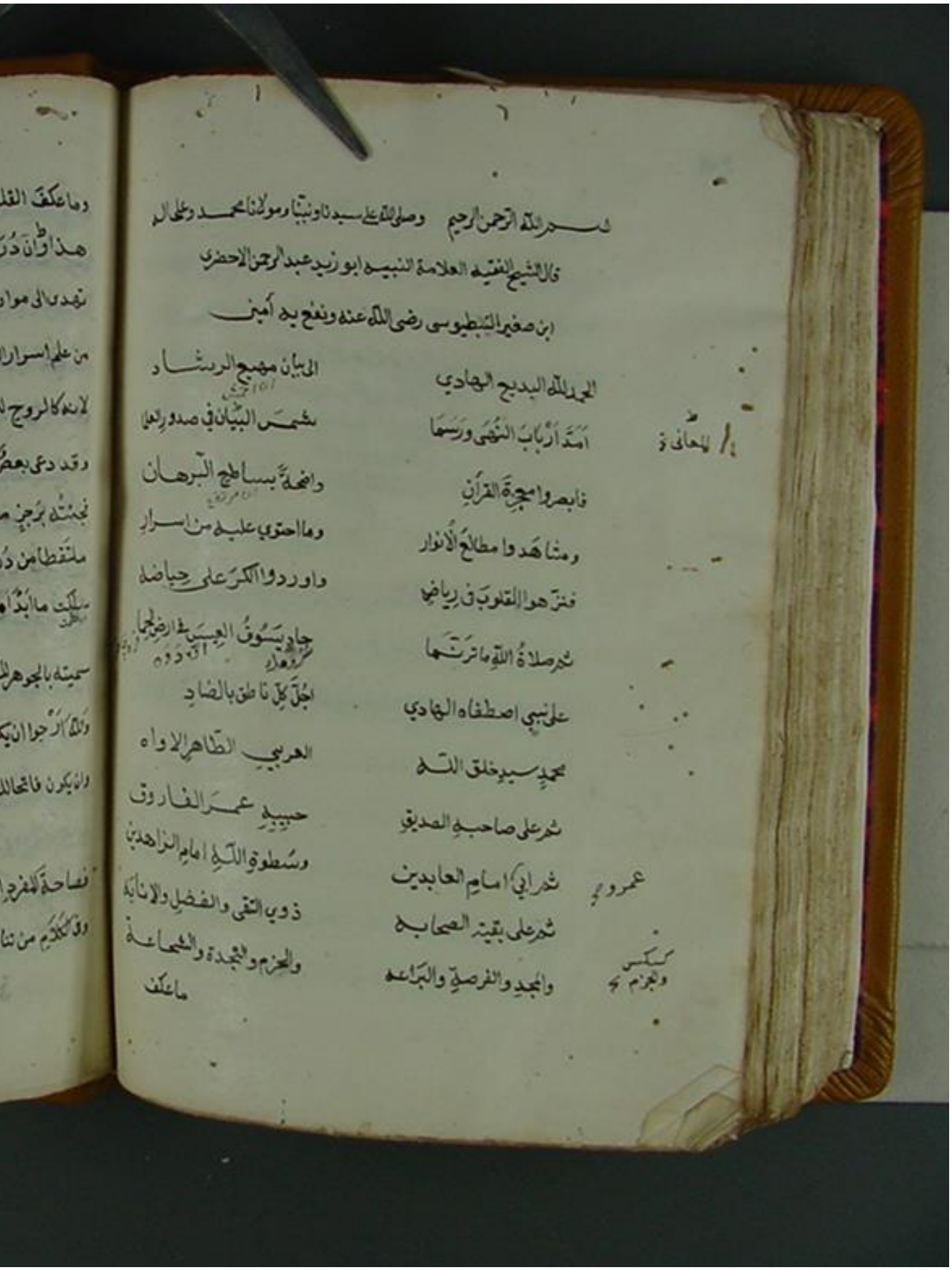
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ونبينا ومولانا محمد وعلى آله

قال الشيخ الفقيه العلامة النبيه ابو زيد عبد الرحمن الاخضري

ابن صغير السبطيوسي رضي الله عنه ونفع به آمين

الحمد لله البديع الهادي — الى بيان مهيع الرشاد

أمدّ أرباب النهى ورسما — شمس البيان في صدور العلما

فابصروا معجزة القرآن — واضحة بساطع البرهان

ومشاهدوا مطالع الأنوار — وما احتوى عليه من اسرار

فنزهوا القلوب في رياضه — واوردوا الكرّ على حياضه

ثم صلاة الله ما ترنما — جاد بسوق العيس ارض الحما

على نبي اصطفاه الهادي — اجلّ كل ناطق بالضاد

محمد سيد خلق الله — العربي الطاهر الارواه

ثم على صاحبه الصديق — حبيبه عمر الفاروق

ثم ابي امام العابدين — وسطوة الله امام الزاهدين

ثم على بقية الصحابه — ذوي التقى والفضل والانابه

والمجد والفرصة والبراعه — والحزم والنجدة والشجاعة

ما عكف

الملحق رقم08:

قصيدة نصيحة الشباب

أوصيـــــــــكم يا معشر الشبـــان		عليـــــــــــكم بطاعة الرحـــــمن
أيـــــاكم أن تهملـــوا أوقاتـــــكم		فتنـــــدموا يومـــا على ما فاتـــــكم
فـــإنما غنيـــمة الانســـــــان		شبـــــــابه والخســـــر في التواني
ما أحســـــــن الطاعة للشبـــــان		فاســـــعوا لتقوى الله يا إخـــــواني
وعمـــــروا قلوبـــــكم بالطـــاعة		والذكـــــر كل لحـــظة وســـــاعة
فمـــــــن تفته لحـــظة في عمـره		تكـــــن عليه حســـرة في قبـــره
ومـــــن يكن فرط في شبـــــــابه		حـــــتى مضى عجبـــت من تبابه
ومـــــن يقل إني صغيـــر أصبـــر		ثم أخـــــاف الله حين أكـــــــبر
فـــــــإن ذاك غرة إبليـــــــس		وقلـــــــــبه مغفل مطمـــــوس
فتـــــــب إلى مولاك يـــــا إنسان		مـــن قبـــل أن يفوتك الزمـــان
لا خـــــير فيمن لم يتب صغيـــرا		ولم يـــــكن بعيبـــــه بصيـــرا
أحـــــب ربي توبة الشبـــــــاني		يـــا فوزهـــــم بجنة الرضـــــوان
واخـــــتر لصحبتـــــك كل مهتد		إن القـــــرين بالقريـــن مهتـــد
فصـــحبـــة الأخيـــــار للقلب دوا		تزيـــــد للقلب نشـــاطا وقـــوى
وصحبـــة الأشـــــرار داء وعمى		تزيـــــد للقلب السقيـــم سقمـــا
فـــــإن اتبعت سنة النـــــــبيء		فلتـــجنب قرنـــــاء الســـــوء
يا أيـــــها الغافل عن مـــــــولاه		فانـــــظر بأي عمـــــل تلقـــــاه
أما علمـــــت الموت يأتي مسرعـــا		وليـــــس للانسان إلا ما ســـــعى
فليس للانســـــــان من بعد الأجل		إلا الذي قدمـــــه من العمـــــل
فيـــــا سعادة إمريء قضـــــاه		بعـــــمل يرضـــي به مـــــولاه
وصـــــلي يا رب على المختـــــار		محـــــــمد شفيـع أهل النـــــار
مـــا هبت الريـــاح في الأمطـــار		وغـــــرّد الحمـــام في الأوكـــار
مـــــادام ملك الواحـــــد القهار		مصليـــــا على النبيء المختـــــار

المصدر: عبدالرحمن الأخضري، نصيحة الشباب، المصدر السابق، ص395.

الملحق رقم:09

9-1صورة فوتوغرافية لخلوة الشيخ عبدالرحمن الأخضري، تم التقاطها بتاريخ: 2014/02/13

9-2صورة فوتوغرافية للمدخل العلوي لخلوة الأخضري، تم التقاطها بتاريخ: 2014/02/13.

9-3صورة فوتوغرافية للمدخل السفلي لخلوة الأخضري، تم التقاطها بتاريخ: 2014/02/13.

الملحق رقم10:

10-1صورة فوتوغرافية لضريح عبدالرحمن الأخضري بمسجده بالمقران، بتاريخ: 2014/02/13

الملحق رقم 11:

زاوية الأخضري ببنطيوس

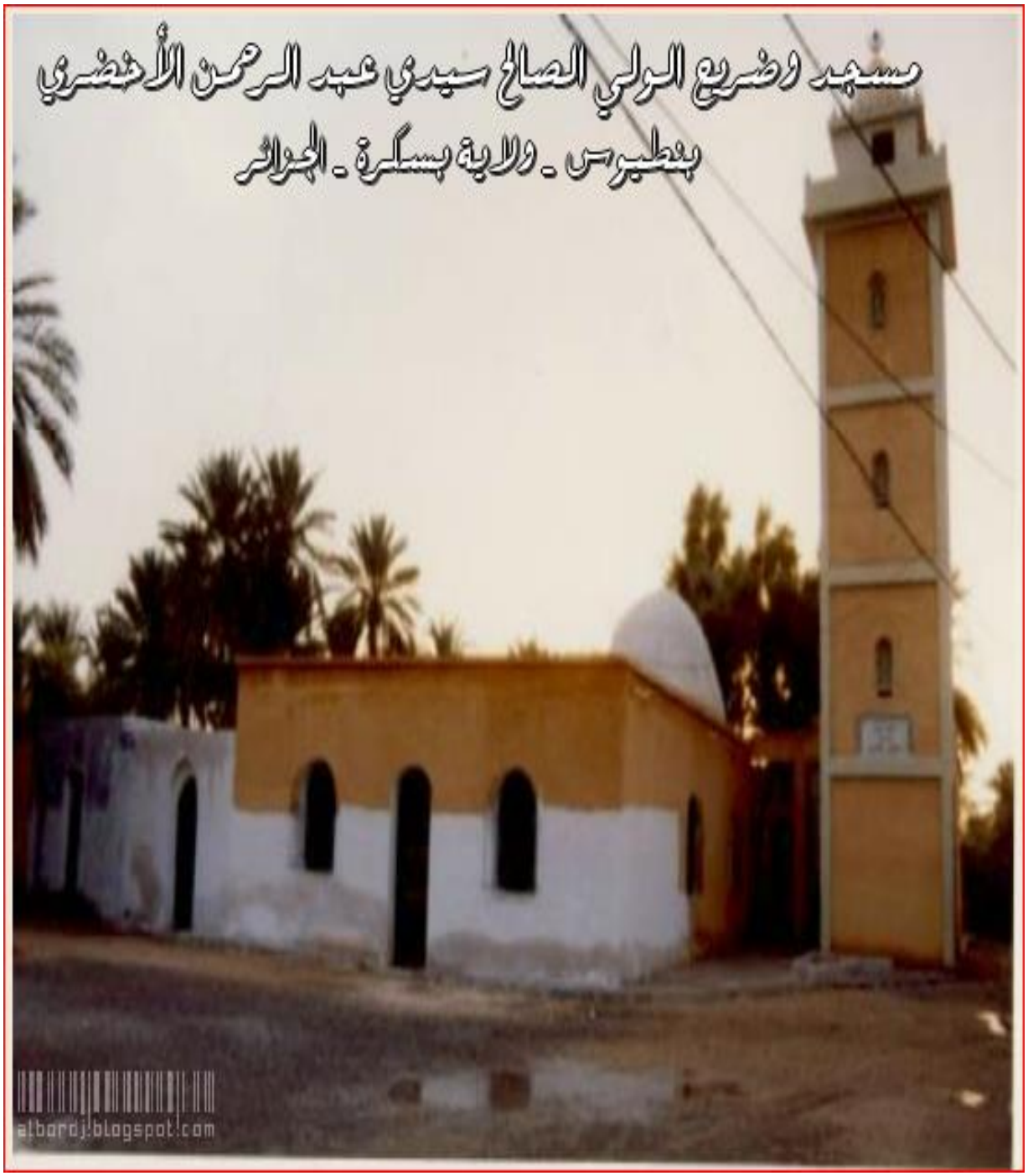

المصدر: بوزيان (الدراجي)، المرجع السابق، ص328.

هناك اختلاف حول مكان دفن الأخضري، هل في مسجده بالمقران أم بزاويته ببنطيوس وعند زيارتي للمنطقة وجدت قبرين أحدهما تشرف عليه عائلة بالمقران تنسب للأخضري، والآخر قبر بزاويته إلى جانب قبري أخوه ووالده، تشرف عليه عائلة أخرى تنسب للأخضري، ويسمي بعض سكان المنطقة الأخضري بـــ "بوقبرين".

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع باللغة العربية

أولا: المصادر

1-المخطوطات:

*الأخضري (عبد الرحمن)، اللامية في مدح النبي صلى الله عليه وسلم، مخطوط بالزاوية العثمانية، طولقة –بسكرة، الجزائر.

*الأخضري (عبد الرحمن)، شرح الجوهر المكنون في صدف الثلاث فنون، مخطوط رقم 213، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبد الرحمن)، شرح السلم المرونق، مخطوط رقم 24، مكتبة جامعة الأمير للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر.

*الأخضري (عبد الرحمن)، شرح صغرى السنوسي، مخطوط ضمن مجموع رقم 1426، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبد الرحمن)، منظومة القدسية، مخطوط ضمن مجموع رقم 946، المكتبة الوطنية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة (ولاية بسكرة)-الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب، مخطوط رقم 184، قسم المخطوطات، جامعة الرياض، المملكة العربية السعودية، محمّل بصيغة PDFمن موقع: .www.PDFSharp.com

*الأخضري (عبدالرحمن)، التائية النبوية، مخطوط دون تصنيف، خزانة الشيخ عبد المجيد حبة، المغير (ولاية الوادي)-الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، مخطوط رقم 2118، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، الدرة البيضاء، مخطوط ضمن مجموع رقم 399، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، السراج في الهيئة، مخطوط ضمن رقم 1451، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، السلم المرونق، مخطوط ضمن المكتبة الشخصية، استلمته من صديقي الأستاذ ملاي محمد، بتاريخ: 2014/02/19، بقسنطينة.

*الأخضري (عبدالرحمن)، لامية في مدح خالد بن سنان العبسي، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة(ولاية بسكرة)-الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، مختصر في فقه العبادات على مذهب الإمام مالك، مخطوط ضمن مجموع رقم 399، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، منظومة القدسية، مخطوط ضمن مجموع رقم 946، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الأخضري (عبدالرحمن)، نصيحة الشباب، مخطوط ضمن مجموع رقم 59، خزانة عقباوي بن عبدالكريم، أقبلي دائرة أولف(ولاية أدرار)-الجزائر.

*البلبالي (الطيب بن عبد الله)، تاريخ الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي وشجرته، مخطوط دون تصنيف، خزانة كوسام (ولاية أدرار)- الجزائر.

*الحفناوي (محمد بن علي بن عمر)، شرح السلم المرونق، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة(ولاية بسكرة)-الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، أجوبة المغيلي على أسئلة الأمير أسكيا الحاج محمد بن أبي بكر سلطان مملكة سنغاي بالسودان الغربي، مخطوط دون تصنيف ، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر .

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، المفروض في علم الفروض ، مخطوط دون تصنيف، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، رسالة في الرد على المعتزلة، مخطوط دون تصنيف ، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، رسالة في أهل الذمة، مخطوط دون تصنيف ، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، رسالة في علم الفرائض، مخطوط دون تصنيف؛ خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، رسالة فيما يجب على الأمير من الأمور، مخطوط دون تصنيف ، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، فصل الخطاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط دون تصنيف، مكتبة الإمام المغيلي، زاوية كنته(ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، مصباح الأرواح في أصول الفلاح، مخطوط دون تصنيف، مكتبة الشيخ محمد باي بلعالم، أولف (ولاية أدرار)- الجزائر.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، منح الوهاب في رد الفكر إلى الصواب، مخطوط دون تصنيف، خزانة الزاوية البكرية، تمنطيط (ولاية أدرار)- الجزائر.

*الناصري (أبو العباس أحمد بن محمد)، الرحلة الناصرية، مخطوط ضمن مجموع رقم 1954، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر.

*الورتلاني (الحسين بن محمد السعيد)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية، مخطوط دون تصنيف، الزاوية العثمانية، طولقة-(ولاية بسكرة)-الجزائر.

*قدوره (سعيد بن إبراهيم)، شرح صغري السنوسي، مخطوط ضمن مجموع رقم 4781، قسم المخطوطات، جامعة الملك سعود، المملكة العربية السعودية.

*قدورة (سعيد بن إبراهيم)، حاشية على شرح السلم المرونق لعبدالرحمن الأخضري، مخطوط رقم 717، مكتبة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر.

*مجهول (مؤلف)، نسب الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني نزيل توات ودفينها (ت909هـ/1503م)، مخطوط دون تصنيف، خزانة عبد الله البلبالي، كوسام (ولاية أدرار)- الجزائر.

2-المصادر المطبوعة

2-1 الشروحات والمنظومات

*الأخضري (عمر المختار بن ناصر)، الضياء على الدرة البيضاء في الفرائض، ط2، مطابع الرشيد، المدينة المنورة –المملكة العربية السعودية، 1990.

*الأزهري (صالح عبدالسميع الآبي)، هدية المتعبد السالك، الدار السودانية للكتب، السودان، (د.ت).

*المرادسي (عبد اللطيف بن المسبح)، عمدة البيان في معرفة فروض الأعيان، مطبعة التقدم العلمية، القاهرة –مصر، 1332هـ.

*المنياوي (مخلوف)، حاشية على شرح الشيخ أحمد الدمنهوري لمتن الإمام الأخضري المسمى بالجوهر المكنون، ط1، المطبعة العلمية، القاهرة–مصر، 1315هـ.

*بلعالم (محمد باي)، الكوكب الزهري في نظم مختصر الشيخ الأخضري، ط1، دار ابن حزم، الجزائر، 2001.

*جلياتوري (سعد بن عمر بن سعيد)، حل المسائل في شرح مختصر الأخضري بالدلائل، (د.ن)، (الجزائر؟)، (د.ت.ن).

*دهمد (محمد بن محفوظ بن الشيخ)، الفلق البهي على شرح نظم الأخضري للقلاوي، تح: محمد محمود ولد محمد الأمين،ط02، الناشر: محمد محمود ولد محمد الأمين، موريتانيا، .2005

2–2 الوثائق المنشورة

*الأخضري (أحمد بن داود)، رسالة العقد الجوهري في تعريف الشيخ عبد الرحمن الشهير بـ"الأخضري"، نشر في: مجلة العلوم الإسلامية، ع02، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة–الجزائر، ماي 1987.

*الأخضري (عبدالرحمن)، رسالة في علم الحساب، منشور في مجموع من أمهات المتون المستعملة من غالب خواص الفنون، ط1، المطبعة الخيرية، مصر، 1306هـ.

*الأخضري (عبدالرحمن)، قصيدة في تحريم الخمر والدخان. نشرت في: فايزة الطيبي احمد، البحث الدلالي في العصر التركي من خلال السلم المرونق لعبد الرحمن الأخضري، مذكرة لنيل شهادة ماجيستير في الدراسات اللغوية والنحوية، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة حسيبة بن بوعلي –الشلف، موسم 2009/2008.

*الثعالبي (عبد الرحمن)، رسالة في الجهاد ، نشرت في: أبو القاسم (سعد الله)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 2005.

*الفكون (عبدالكريم)، مقدمة كتاب محدد السنان في نحور إخوان الدخان. نشرت في: أبو القاسم (سعد الله)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان، 1986.

2-3 الكتب

*ابن خلدون (عبدالرحمن)، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج01، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت-لبنان، 2001.

*ابن مريم (أبو عبدالله محمد بن محمد بن أحمد)، البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، المطبعة الثعالبية، الجزائر، 1908.

*التنبكتي (أحمد بابا)، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبدالحميد عبدالله الهرامة وآخرون، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989.

*الجزائري (محمد بن ميمون)، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تح: محمد بن عبد الكريم ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981.

*الحفناوي (محمد أبو القاسم)، تعريف الخلف برجال السلف، ج02، مطبعة بيير فونتانا الشرقية، الجزائر، 1906.

*الزركلي (خيرالدين)، الأعلام، ج03، ط15، دار العلم للملايين، بيروت-لبنان، 2002.

*العياشي (أبو سالم عبدالله بن محمد)، الرحلة العياشية (ماء الموائد)، ج02، ط01، تح: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي، الإمارات العربية المتحدة، 2006.

*الفكون (عبد الكريم)، منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، تح: أبو القاسم سعد الله، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1987.

*المغيلي (محمد بن عبد الكريم)، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، تح: محمد خير رمضان يوسف، ط1، دار بن حزم ، بيروت – لبنان، 1994.

*الورتلاني (الحسين بن محمد السعيد)، الكواكب العرفانية وشوارق الأنيسة في شرح ألفاظ القدسية، تح: محمد بن عبد الكريم الجزائري، دار الخلدونية، الجزائر، 2012.

*الوزان (الحسن بن محمد)، وصف إفريقيا، ج02، ط02، تر: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1983.

*بربروس (خيرالدين)، مذكرات خيرالدين، تر: محمد دراج، ط01، شركة الأصالة للنشر، الجزائر، 2010.

*كربخال (مارمول)، إفريقيا، ج02، تر: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط-المغرب الأقصى، 1989.

ثانيا: المراجع

1-الكتب

*الآلوري (آدم عبد الله)، الإمام المغيلي وآثاره في الحكومة الإسلامية في القرون الوسطى في نيجريا، دار الجلي، القاهرة ، 1974.

*البر (عزيز سامح)، الأتراك العثمانيون في أفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط01، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، 1989.

*الجيلالي (عبد الرحمن)، تاريخ الجزائر العام، ج3، ط7، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994.

*الخياط (محمد هيثم) وآخرون، الحكم الشرعي في التدخين، ط2، منشورات منظمة الصحة العالمية ، المكتبة الإقليمية لشرق المتوسط ، 2001.

*الدراجي (بوزياني)، عبدالرحمن الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط02، دار بلاد، الجزائر، 2009.

*المدني (أحمد توفيق)، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، عالم المعرفة، الجزائر، 2010.

*المطوى (محمد العروسي)، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الاسلامي، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1986.

*المودودي (أبو الأعلى)، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه واقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الشهاب، باتنة –الجزائر، (د.ت).

*الميلي (مبارك بن محمد)، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج03، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، (د.ت).

*الهلالي (عبد القادر بوعرفة)، أعلام الفكر والتصوف بالجزائر ما قبل الميلاد إلى القرن السادس عشر، ج1، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران –الجزائر، 2004.

*بل (ألفرد)، الفرق الاسلامية في الشمال الافريقي من الفتح العربي إلى اليوم، تر: عبدالرحمن بدوي، ط03، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1987.

*بوحوش (عمار)، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1997.

*بوعزيز (يحي)، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج01، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان.

*حساني (مختار)، تاريخ الدولة الزيانية، ج01، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009.

*سبنسر (وليم)، الجزائر في عهد رياس البحر، تر: عبدالقادر زبادية، دار القصبة، الجزائر، 2006.

*سعد الله (أبو القاسم)، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ،ج1، ط4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2005.

*سعد الله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، 1998.

*سعد الله (أبو القاسم)، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت- لبنان، 1986.

*سعد الله (فوزي)، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، ط1، دار الأمة، الجزائر ، 1996.

*سعدالله (أبو القاسم)، تاريخ الجزائر الثقافي، ج02، ط01، دار الغرب الاسلامي، بيروت-لبنان، 1998.

*سعيدوني (ناصر الدين)، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت- لبنان، 1999.

*شترة (خيرالدين)، محمد بن عبدالكريم المغيلي التلمساني المصلح الثائر وفكره الإصلاحي في توات والسودان الغربي، ج02، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

*شطوطي (محمد)، الشيخ عبدالرحمن الأخضري الكاشف والمنطقي، دار الرسالة للكتاب، الجزائر، 2008.

*عويس (عبدالحليم)، دولة بني حماد صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط02، دار الصحوة، القاهرة-مصر، 1991.

*فهمي (علي خسيم)، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريقة،ط03، دار المدار الإسلامي، مصر، 2002.

*قبول (أبو سليمان عبدالكريم)، الاختصار والمختصرات في المذهب المالكي، دار الفجر، الجزائر، 2006.

*قسوم (عبد الرزاق)، عبد الرحمن الثعالبي والتصوف، ط1، عالم الأفكار ، الجزائر ، 2007.

*مصمودي (فوزي)، الزاب المصطلح والدلالات، ط01، منشورات مديرية الثقافة لولاية بسكرة، بسكرة-الجزائر، 2013.

*مصمودي (فوزي)، العلامة الموسوعي عبد الرحمن الأخضري (1514- 1575) شخصيته وآثاره، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2008.

*مقدم (مبروك)، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني مناقب وأثار، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2011.

*منصور (عبدالحفيظ)، فهرس مخطوطات المكتبة الأحمدية بتونس (خزانة جامع الزيتونة)، ط01، دار الفتح للطباعة والنشر، بيروت-لبنان، 1969.

*نجمي (عبدالله) وآخرون، الرباطات والزوايا في تاريخ المغرب دراسات تاريخية مهداة للأستاذ إبراهيم حركات، ط01، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية، الرباط-المغرب، 1997.

2-المقالات

2-1 المقالات في المجلات

*أرحيلة (عباس)، «حركة الإصلاح في المغرب الحديث»، مجلة الدراسة والإعلام، ع279، المغرب الأقصى، مارس 1995.

*أرزقي (شويتام)، «العلاقات الثقافية الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية»، مجلة الدراسات التاريخية، ع13، قسم التاريخ-كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، الجزائر، 2011.

*الجيلالي (عبدالرحمن)، «التجديد والمجددون في الإسلام»، مجلة الأصالة، ع78، منشورات وزارة الشؤون الدينية والوقاف، الجزائر، فيفري 1980.

*الحلبوني (خالد)، «الشعر التعليمي البداية والتطور»، مجلة جامعة دمشق، ع43، جامعة دمشق، 2006.

*بلغيث (محمد لمين)، «المنطق والفكر العقائدي من أبي عبدالله يوسف بن محمد السنوسي إلى عبدالرحمن الأخضري قراءة في الدرس المنطقي والأصولي»، مجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر 2008.

*بن عمر (حمدادو)، «تراث الشيخ عبدالرحمن الأخضري من خلال بعض خزائن المخطوطات والمكتبات»، المجلة الجزائرية للمخطوطات، ع2-3، مخبر مخطوطات الحضارة الإسلامية في شمال افريقيا، جامعة وهران-الجزائر، 2004-2005.

*بوداود (عبيد)، «تجربة عبد الكريم الفكون في التأريخ والترجمة من خلال مؤلفه "منشور الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية"»، مجلة الحضارة الإسلامية ، ع12، كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، جامعة وهران، جوان2005.

*بوشيبة (ذهبية)، «العلم والعلماء في الجزائر خلال العهد العثماني»، مجلة الحوار المتوسطي، ع3+4، مخبر البحوث والدراسات الاستشراقية، جامعة الجيلالي اليابس(ولاية سيدي بلعباس)-الجزائر، مارس 2012.

*بوعبدلي (المهدي)، «عبد الرحمن الخضري وأطوار السلفية في الجزائر»، مجلة الأصالة، ع53، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، جانفي، 1978.

*بوعزة (عبد القادر)، «الشيخ عبدالرحمن الأخضري وقصيدته القدسية»، جريدة البصائر، ع216، الجزائر، 29 نوفمبر- 06ديسمبر 2004.

*بوعزيز (يحي)، «الشيخ عبد الرحمن الأخضري العالم والباحث»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة –الجزائر، ديسمبر 2008.

*تبرمسين (عبد الرحمن)، «آثار عبدالرحمن الأخضري»، مجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر2008.

*دهاش (الصادق)، «العلامة عبد الرحمن الأخضري رحلة علم وعمل»، مجلة الدراسات الإسلامية، ع11، المجلس الإسلامي الأعلى ، الجزائر، جوان2007.

*سعد الله (أبو القاسم)، «لمحات من حياة الشيخ عبد الرحمن الأخضري»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة –الجزائر، ديسمبر 2008.

*طالبي (عمار)، «عبد الرحمن الأخضري، حياته وأعماله»، مجلة العلوم الإسلامية، ع2، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة –الجزائر، ماي 1987.

*عجالي (كمال)، «قراءة في كتاب الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون للشيخ عبدالرحمن الأخضري»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة- الجزائر، ديسمبر 2008.

*مراجي (رابح)، «التجديد في الفكر الإسلامي»، مجلة الثقافة الإسلامية، ع 07، إصدارات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، 2010.

*مزياني (علي)، «الشيخ عبد الرحمن الأخضري في بلعلة وتفلفل»، المجلة الخلدونية، ع06، الجمعية الخلدونية، بسكرة الجزائر، ديسمبر 2008.

*مياسي (ابراهيم)، «موقف العلامة الأخضري من التصوف»، المجلة الخلدونية، ع6، الجمعية الخلدونية، بسكرة-الجزائر، ديسمبر 2008.

*هلايلي (حنيفي)، «عبدالرحمن الأخضري رائد التصوف السلفي في الجزائر خلال الفترة العثمانية»، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، ع07، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة-الجزائر، نوفمبر .2006

2-2 المقالات في الندوات والملتقيات

*سعدالله (أبو القاسم)، «لوحة عن نظام التعليم بالجزائر في العهد العثماني»، الملتقى الوطني الأول حول التعليم في الجزائر أثناء الاحتلال 1830-1962، وزارة المجاهدين، عنابة-الجزائر، 14-15 جوان 2009.

*قرمان (عبدالقادر)، «زوايا الجزائر في العهد العثماني دورها الإصلاح والتعليم وكيفية المحافظة عليها»، يوم دراسي حول تأمين التراث، مديرية الثقافة، ولاية بوعريريج-الجزائر، 28 أفريل، 2009.

*هني (محمد حاج)، «الجهود البلاغية لعبد الرحمن الأخضري 983هـ»، الملتقى الوطني السابع حول إسهامات علماء الجزائر في الدراسات اللغوية الأدبية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الجامعة الأفريقية، أدرار-الجزائر، 7/6 مارس 2012.

3-الرسائل والأطروحات الجامعية

*أرزقي (شويتام)، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-1830، أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ-كلية العلوم الانسانية والاجتماعية-جامعة الجزائر، الجزائر، 2005-2006.

*اعليوان (سعيد)، عبدالرحمن الأخضري وكتابه السلم المرونق في المنطق دراسة وتحقيق، رسالة في الدراسات المعمقة، اشراف: عمار طالبي، قسم الفلسفة، معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الجزائر، 1981.

*دوار (حياة)، الشعر التعليمي في الأدب الجزائري القديم، مذكرة لنيل شهادة الماستر في الأدب الجزائري، إشراف: بوخاتمي فاطمة الزهراء، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس-الجزائر، 2013/2012.

*شدري معمر (رشيدة)، العلماء والسلطة العثمانية بالجزائر، رسالة ماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر، لإشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2002-2003.

*صحراوي (عبد القادر)، التصوف و المتصوفة في الجزائر العثمانية ما بين القرنين السادس عشر والثامن عشر الميلاديين ، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: هلايلي حنيفي، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس-الجزائر، 2008-2009.

*مباركي (نادية)، الحياة الاجتماعية في مدينة الجزائر خلال القرنيين 10هـ/16م-11هـ/17م من خلال مرافقها الحضارية، مذكرة لنيل شهادة الماجيستير في التاريخ الحديث والمعاصر، إشراف: عمار بن خروف، قسم التاريخ، كلية العلم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2004-2005.

*محرز (أمين)، الجزائر في عهد الأغوات 1659-1671، مذكرة لنيل شهادة ماجستير في التاريخ الحديث، إشراف: عائشة غطاس، قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر، 2007-2008.

4-المعاجم

*ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)، لسان العرب، المجلد الأول، تح: عبدالله على الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة-مصر، 1981.

*أبو عمران (الشيخ) وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر،2007.

*الحموي (أبو عبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله)، معجم البلدان، المجلد الأول، دار صادر، بيروت-لبنان، 1977.

*العربي (اسماعيل)، معجم الفرق والمذاهب الإسلامية، ط01، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993.

*صيد (عبدالحليم)، معجم أعلام بسكرة، دار الهدى، الجزائر، 2012.

*فؤاد (أبو الحزم أنور)، معجم المصطلحات الصوفية، ط01، ناشرون، بيروت-لبنان، 1993.

*مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط04، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة-مصر، 2004.

*نويهض (عادل)، معجم أعلام الجزائر من صدر الاسلام حتى العصر الحاضر، ط02، مؤسسة نويهض الثقافية، بيروت-لبنان، 1980.

5-الموسوعات

*العجم (رفيق)، موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي، ط01، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت-لبنان، 1999.

المصادر والمراجع باللغة الفرنسية

1-المصادر:

1-2 الكتب

*Dominique (Lociani), le sollam, Alger, 1921.

*GHIKH Abderrahmane (La Khdari), Mokhtaçar fial-ibadi, Traduction Francaise par: Jahier Henri et Noureddine Abdelkader, Roudoci kaddour Mourad, Alger.

*HAEDO(F.D), Histoire des Rois D'Alger, Traduit par : Grammont (H.D), Adolphe Jourdan éditeur, Alger, 1881.

1-2المقالات

*HAEDO (F.D), «Topographie et Histoire générale D'Alger», Traduit par : Monnereau et Berbrugger (A) , Revue Africaine , T 14, Alger, 1870.

2-المراجع:

2-1 الكتب:

*GRAMMONT (H.D) , Histoire D'Alger sous la Domination Turque (1515-1830) , Ernest Leroux éditeur, Paris, 1887.

*Louis (Rinn) , marabouts et khouans étude sur l' islamen Algérie, éditeur libraire, Alger, 1884.

*Octave (Depont) et Xavier (Coppolani), Les confréries religieuses musulmanes, Alger, 1897.

2-2 المقالات

*Mahdi (Bouabdelli), «Le cheikh Mohammed Ibn Ali El kharroubi», Revue africaine, volume 96 , 1952 , P338.

الفهارس

1- فهرس الأعلام

2- فهرس الأماكن

3- فهرس الجماعات

4- فهرس المواضيع

فهرس الأعلام

-الآبي (صالح عبدالسميع): 48.
-ابن أبي بكر (محمد): 105، 126.
-الأجهوري (علي): 137.
-الأخضري (أحمد بن داود): 30، 33، 35، 42.
-الأخضري (عمر المختار بن ناصر): 64.
-الأخضري (محمد بن عامر): 25، 27، 29، 31.
-آدم (عبدالله): 116.
-أرحيلة (عباس): 84.
-أرسطو: 68.
-آغا (حسن): 09.
-الأوراسي (يحي بن سليمان): 106، 111، 128، 129، 141.
-باشا (حسن): 08.
-باي (أحمد): 124.
-بربروس (خير الدين): 02، 06، 07، 08.
-بربروس (عروج): 01.
-البرزالي (أبو القاسم): 102.
-بركات (عبداللطيف): 118.
-البساطي (أبو عبدالله): 102.
-البسكري (أبو الطيب): 32.
-بل (ألفرد): 14، 18.
-البلالي (أبو عبدالله): 102.
-بلعالم (محمد باي): 49.
-بوكلمون (أبو حمو): 05.
-تافلان (عبدالله): 135.
-التفتازاني: 74.
-التنسي (الحافظ): 139.
-الثابتي (يحي): 05.
-الثعالبي (عبدالرحمن): 17، 19،101، 102، 103، 107، 110، 111، 116، 117، 121، 124، 132، 133، 134، 141.

-الثغري (محمد بن محمد): 54، 55.
-الجزائري (سعيد قدورة): 38، 69.
-ابن جلال (محمد بن عبدالرحمن): 15.
-جلياتوري (سعيد): 48.
-الجيلالي (عبدالرحمن): 25، 26، 47، 79.
-ابن حاجب: 46، 78، 103.
-حبة (عبدالمجيد): 39، 42.
-الحفناوي (محمد بن علي): 68.
-الخروبي (محمد بن علي): 33، 36،43، 86، 99.
-ابن خطيب (فخر الدين): 112.
-ابن خلدون (عبدالرحمن): 26، 107، 110.
-الدراجي (بوزيان) : 20.
-الدمنهوري (أحمد): 68.
-الرازي: 75.
-رايس (يحي): 06.
-الرصاع (محمد): 139.
-زروق (أحمد): 30، 33، 86، 99، 101، 111.
-الزرويلي (أبو الحسن): 85،99.
-الزغبي (يوسف): 102.
-زكريا (يحي): 119.
-الزواوي (الطاهر بن زيان): 111.
-الزواوي (يحي بن عمران): 32.
-الزيان (أبو جميل):02.
-الزيتوني (محمد بن عبدالله): 33.
-سعدالله (أبو القاسم): 15، 16، 18، 19، 38، 39، 40، 69 ،79، 110، 111، 125، 128، 133، 136.
-السكاكي: 73، 74.
-السكندري (ابن عطاء الله): 33.
-السلمي (العباس بن مرداس): 24، 25، 26.

-السنوسي (محمد بن يوسف): 19، 33، 45، 46، 68، 69، 75، 78، 85، 105، 139.
-السيوطي (جمال الدين): 114.
-الشاذلي (أبو الحسن): 26.
-الشاطبي (إبراهيم): 111.
-ابن شريف (محمد): 17.
-الصحراوي (عبدالقادر): 123.
-ابن صلاح: 52، 80، 81، 113.
-العبادي (أحمد بن أحمد): 15.
-العبدلي (يخي): 86.
-العبسي (خالد بن سينان): 37،41، 57، 87.
-عجالي (كمال): 75.
-العراقي (ولي الدين أحمد): 102.
-العقباني (سعيد): 69.
-العقباني (قاسم): 85.
-العياشي (أبو سالم): 13، 20، 41،42.
-الغالب (عبدالله): 15.
-الغبريني (أبو المهدي): 102.
-الغزالي (أبو حامد): 45، 75، 76، 81، 86، 111، 112، 113.
-الفارسي (أبو فارس عبدالعزيز بن أحمد): 36، 37،43، 62.
-الفاسي (محمد): 106، 118.
-الفرابي: 112.
-الفكون (عبدالكريم الجد): 19،105، 119، 140، 141.
-الفكون (عبدالكريم الحفيد): 86، 97، 98، 101، 105، 106، 107، 111، 116، 118، 119، 120، 121، 128، 129، 132، 133،134، 136، 137، 138، 140، 141، 142.
-الفكون (قاسم بن يحي): 15.
-الفكون (محمد): 105.
-الفهري (عقبة بن نافع): 13.
-ابن قاضي: 02.
-القاضي (عياض): 102.

-القزويني: 53، 73، 74.
-القسنطيني (أحمد بن مبارك): 38،55.
-القشي (سليمان): 106.
-القشيري: 102.
-القلشاني (أبو عبدالله): 102.
-القيرواني (ابن عرفة): 32، 41، 42، 102.
-الكاتبي: 75.
-كربخال (مارمول): 04.
-كسيماناس (الكاردينال): 04.
-الكماد (محمد): 32.
-كولومبس (كريستوف): 135.
-الليشاني (عبدالرحمن بن القرون): 34.
-المازوني (موسى بن يحي): 103.
- ابن مالك: 31.
-الماواسي (أبو المهدي): 139.
-المدني (أحمد توفيق): 03، 04، 10.
-المرادسي (عبداللطيف بن مسبح): 40.
- ابن مرزوق (محمد): 85، 102.
-المرواني (علي): 32.
-المشدالي (أبو القاسم): 102.
- ابن مشيش (عبدالسلام): 33.
-مصمودي (فوزي): 25، 35.
-المغيلي (محمد بن عبدالكريم): 103، 104، 105، 107، 112، 113، 114، 126، 127، 128، 129، 132، 133، 134، 138، 139، 140، 141.
-مقدم (مبروك): 115.
-المقري (سعيد): 103.
-المنجلاني (أبو الحسن علي): 102.
-الميداوي (أحمد بن أبي بكر): 62.
-الناصري (أبو العباس): 41.

-الناصري (أبو راس): 17.
-نافارو (بيذرو): 04، 05.
-النبهان (فاروق): 72.
-النجمي (عبدالله): 101.
-النفاتي (عبدالعزيز): 106.
-النقاوسي (أبو العباس): 102.
-النووي: 80، 81، 102، 112، 113.
- ابن هارون (علي): 15.
-هايدو: 11، 12.
-الورتلاني (الحسين بن محمد السعيد): 24، 42 ، 52، 87، 88، 93، 94، 97.
-الوزان (الحسن): 01، 09، 13.
-الوزان (عمر): 19، 32، 34، 43، 105، 111.
-الوغليسي (أبو العباس): 103.
-الوغليسي (أبو زيد عبد الرحمن): 101.
-الونشريسي (سحنون بن عثمان الراشدي): 62.
-الوهراني (أحمد): 15.

فهرس الأماكن

-أراضي مغراوة: 02.
-أريس: 35.
-إسبانيا: 03، 05، 07، 10، 20.
-إفريقيا الغربية: 135.
-الأناضول: 11.
-الأندلس: 12، 13، 14، 21، 80، 138.
-إنكلترا: 13.
-الأوراس: 129.
-أوروبا: 14، 101، 125.
-باتنة: 26.
-بجابة:04، 06، 15، 16، 19، 21، 26، 101، 102، 117، 121، 125.
-البرج: 13.
-بسكرة: 01، 09، 10، 20، 25، 26، 43، 123.
-بلعلى: 30.
-بنطيوس: 25، 38، 47، 123.
-البنيون: 05.
-تافلالت: 139.
-تامقرا: 86.
-تفلفل: 36، 64.
-تلمسان: 86، 102، 121، 139، 141.
-تمنطيط: 138.
-تنس: 02، 05، 07.
-تهرت: 02.
-توات: 103، 121، 126، 138، 139.
-تونس: 01، 02، 03، 04، 06، 09، 13، 15، 25، 26، 30، 34، 42، 102.
-تيجورارين: 139.
-جبال تيطري: 02.
-جربة: 06.

-الجزائـــــر: 05، 06، 07، 08، 09، 10، 11، 12، 14، 15، 16، 17، 18، 20، 21، 36، 43، 45، 60، 62، 84، 85، 99، 101، 107، 116، 121، 128، 138.
-جيجل: 03، 06، 10.
-الحضنة: 02.
-حوض الشلف: 02.
-حوض النيجر: 135.
-درعا: 139.
-دلس: 05،
-الرباط: 17.
-الزاب: 02، 09، 13، 20، 33، 35، 36، 41.
-السواحل الإسبانية: 03.
-السودان الغربي: 118، 121، 126، 135.
-شاطئ فالاتاس: 03.
-شرشال: 05.
-شمال إفريقيا: 05، 09، 125.
-طولقة: 13، 34، 68.
-غرناطة: 04، 12.
-فاس: 15، 33، 85.
-القاهرة: 55.
-القسطنطينية: 125.
-قسـنطينة: 09، 10، 15، 16، 17، 19، 21، 30، 32، 34، 35، 38، 43، 86، 97، 101، 105، 106، 118، 119، 121، 123، 124، 134، 140، 141.
-القنطرة: 26.
-القيروان: 15، 102، 137.
-ليبيا: 25.
-ليشانة: 34.
-مالقا: 03، 04.
-متيجة: 02، 101، 124.
-المدية: 10.

-المرسى الكبير: 03، 04، 05.
-مستغانم: 02، 05.
-مسيلة: 26.
-مصر: 62، 68، 102.
-معسكر:02، 17.
-المغرب الأدنى: 01، 42.
-المغـــرب الإســـلامي: 03، 05، 06، 09، 10، 14، 25، 26، 31، 33، 36، 41، 42، 52، 59، 85، 99، 105، 118، 121، 124، 135، 138.
-المغرب الأقصى: 01، 04، 15، 124، 136.
-المغرب الأوسط: 01، 03، 04، 07، 08، 09، 42.
-مكة: 102.
-مملكة سنغاي: 105، 126.
-موريتانيا: 48.
-النمسا: 13.
-واد ريغ: 30، 35.
-وهران: 02.
-اليونان: 112.

فهرس الجماعات

-الأتراك العثمانيون: 11، 12، 123، 128.
-الإسبان: 21، 123.
-الأعلاج: 11، 12، 21.
-الإنجليز: 59.
-الأندلسيون: 12، 21.
-الانكشارية: 10.
-أولاد الفكون: 17.
-أولاد بوغافة: 26.
-أولاد رياح: 25، 42.
-أولاد فاري: 26.
-البرانية: 10، 21.
-البرتغاليون: 135.
-البسكريون: 10.
-بطن خضيرة: 27.
-بنو الأصفر (الروم): 125.
-بنو سويد: 02.
-بنو عامر: 02.
-بنو عبد الواد: 14، 101.
-بنو مزاب: 10.
-بنو وطاس: 14.
-الثعالبة: 02.
-الحفصيون: 21.
-الدواودة: 25، 42.
-الزيانيون: 07، 15، 141.
-الشاوية: 10.
-العباسيون: 18.
-غلائق: 132.
-الفاطميون: 25.
-فرقة الزواوة: 10.

-فرنسيون: 16،
-قبائل بنو سليم: 42.
-قبائل جرجرة: 10.
-القدرية: 18، 81.
-الكراغلة: 12.
-المالكية: 102، 140.
-المتصوفة: 50، 83، 87، 96، 107، 109، 110، 111.
-المرابطون: 15، 18، 33، 87.
-المعتزلة: 81، 105.
-النصارى: 48، 60، 135، 141.
-الهلاليون: 25.
-الهنود الحمر: 135.
-يهود: 03، 10، 13، 21، 48، 123، 128، 132، 133، 138، 139، 140، 141.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

الشكر
الاهداء
قائمة المختصرات
مقدمة.....(أ–ح)

الفصل الأول

عصر المترجَم؛ الجزائر خلال القرن السادس عشر الميلادي

مقدمة الفصل الأول.....01
أولا: التطورات السياسية.....01
1-الدول المتصارعة والإمارات المستقلة.....01
2-الغزوات الاسبانية والبرتغالية على شمال إفريقيا.....03
3-التواجد العثماني بالجزائر.....05
3-1النشاط البحري للأخوين بربروس في غرب البحر الأبيض المتوسط.....05
3-2استنجاد مدن السواحل الجزائرية بالأخوين عروج وخير الدين.....06
3-3ضم الجزائر للدولة العثمانية.....07
3-4القضاء على الدولة الزيانية وتوسيع نظام الحكم في الجزائر.....08
4-الأوضاع السياسية بإقليم الزاب.....09
ثانيا: التغيرات الاجتماعية.....09
1-الهجرة وتشكّل البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري.....10
1-1 الهجرة الداخلية والخارجية.....10
1-2 أثر الهجرة في البنية الاجتماعية.....11
2-الأوضاع الاجتماعية بإقليم الزاب.....13
ثالثا: التحولات الثقافية.....14
1-ملامح التحول الثقافي.....14
2-التعليم ومؤسساته.....15

3-الانتاج الفكري.....18
4-الأوضاع الثقافية بإقليم الزاب.....20
خاتمة الفصل الأول.....21

الفصل الثاني

ترجمة عبدالرحمن الأخضري

أولا: عبدالرحمن الأخضري المولد والنشأة.....24
1-نسبه.....24
2-مولده ونشأته.....27
3-شيوخه.....31
3-1 والد الأخضري محمد الصغير.....31
3-2 عمر الوزان.....32
3-3 محمد بن علي الخروبي.....33
3-4 عبدالرحمن بن القرون.....34
ثانيا: عبدالرحمن الأخضري المعلم والعالم.....34
1-اشتغاله بالتعليم.....34
2-تلامذته.....36
2-1نساخ تفلفل.....36
2-2 أبو فارس عبد العزيز بن أحمد بن مسلم الفارسي.....37
2-3 عبدالكريم الفكون الجد.....38
3- وفاته.....38
خلاصة الفصل الثاني.....42

الفصل الثالث

آثار عبد الرحمن الأخضري

مقدمة الفصل الثالث.....45
أولا: مؤلفات الأخضري في العلوم النقلية.....45
1-في العقيدة والفقه.....45
1-1في العقيدة.....45
1-2في الفقه.....47

2- التصوف.....49
3-النحو والبلاغة.....53
3-1 منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون.....53
3-2 شرح الجوهر المكنون.....55
3-3 مؤلفات الأخضري في النحو.....56
4-في المدح والارشاد.....57
4-1 في المدح.....57
4-2 في النصح والإرشاد.....58
ثانيا: مؤلفات الأخضري في العلوم العقلية.....61
1-في علم الفلك.....61
1-1 السراج في الهيئة.....61
1-2 أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب.....62
2-في علم الحساب والفرائض.....64
2-1 منظومة الدرة البيضاء.....64
2-2 رسالة الأخضري في علم الحساب.....66
3-علم المنطق.....67
خلاصة الفصل الثالث.....69

الفصل الرابع

التجديد والإصلاح عند عبد الرحمن الأخضري

مقدمة الفصل الرابع.....72
أولا: التجديد عند عبد الرحمن الأخضري.....72
1-مفهوم التجديد.....72
2-مظاهر التجديد.....73
2-1 في اللغة والأدب.....73
2-2 في المنطق.....75
3-البعد البيداغوجي في منهج التأليف عند الأخضري.....76
3-1 الاعتماد على المنظومات التعليمية.....76
3-2الاعتماد على التعميم، الاختصار والتبسيط.....78

3-3 براعة الاستهلال وحسن الختام.....79
4-موقف الأخضري من تدريس العلوم العقلية.....80
5-توظيف المنطق في التأليف عند الأخضري.....83
ثانيا: الإصلاح عند عبد الرحمن الأخضري.....84
1-تحديد مفهوم الإصلاح والحركة الإصلاحية.....84
1-1 مفهوم الإصلاح.....84
1-2 الحركةالإصلاحية.....85
2-الإصلاح الاجتماعي.....86
2-1 نقد الأخضري لمجتمع عصره.....86
2-2 التربية الروحية والنفسية أساس الإصلاح الاجتماعي.....89
2-3 الشاب الجزائري في منظور الأخضري.....91
3- الإصلاح الثقافي.....92
3-1 نقد الأخضري للعلماء.....92
3-2 محاربة الفكر البدعي (السلبي).....95
خلاصة الفصل الرابع.....98

الفصل الخامس

الأخضري وعلماء الإصلاح؛ دراسة مقارنة في قضايا الثقافة

مقدمة الفصل الخامس.....101
أولا: نماذج من علماء التجديد والإصلاح.....101
1-عبدالرحمن الثعالبي.....101
2-محمد بن عبدالكريم المغيلي.....103
3- عبدالكريم الفكون.....105
ثانيا: القضايا الثقافية.....106
1-التصوف والمتصوفة.....106
2-قضية المنطق.....112
3- العلم والعلماء.....116
خاتمة الفصل الخامس.....121

الفصل السادس

الأخضري وعلماء الاصلاح؛ دراسة مقارنة في قضايا السياسة والمجتمع

مقدمة الفصل السادس.....123

أولا: القضايا السياسية.....123

1-موقف الأخضري من القضايا السياسية.....123

2-عبد الرحمن الثعالبي ودعوته للجهاد ضد الصليبين.....124

3-محمد بن عبدالكريم المغيلي ونظرته للحكم والسلطة.....126

4-موقف عبد الكريم الفكون من القضايا السياسية.....128

ثانيا: قضايا المجتمع.....129

1-الأخلاق الاجتماعية.....129

2- ظاهرة التدخين.....135

3-قضية اليهود.....138

خاتمة الفصل السادس.....141

خاتمة 143

الملاحق.....149

قائمة المصادر والمراجع.....180

الفهارس.....194

فهرس الأعلام.....195

فهرس الأماكن.....201

فهرس الجماعات.....205

فهرس المحتويات.....208

Résumé:

D'abord, l'objet de cette mémoire traité par une personnalité scientifique Algérienne. C'est Abderrahmane El akhdari né à 920 AH / 1516 AD à zone de "Bentiuos" l'une des zones de "ZAB", de la wilaya " Biskra" Ensuite. Il appartient à une famille scientifique; son père et son frère sont des savants, où il les a pris sa connaissance, et par Cheikh Omar Ouazane à Constantine, et apprend la méthode Chadlia Zerroukia par Cheikh Mohamed Kharroubi.et les étudiants d'ELAKHDARI sont : Abdelkrim Fekoune le grand père – savant de Constantine, Moufti de Constantine. Il est mort en 953 AH / 1548 AD.

Il a écrit plusieurs livres dans essentiellement mentales intellectuelles ; sont plupart manuscrits, y compris: «Sollam " dans la logique, et "Azhar almatalib" dans l'univers et les planètes se forment en astronomie, et le système de «Addara albaydaa » dans la science des lois et dans le mysticisme ; il s'agit donc "Al-kodsia ", et a aussi des plusieurs poèmes à l'inspiration et la louange du prophète.

Alors, El Akhdari a un rôle dans le mouvement de renouveau et de réforme à travers ses écrits et les idées, le renouvellement distingue dans la création de programmes d'études et son appel pour l'enseignement de la science mentale et l'astronomie, a aussi excellé dans la voie de création en termes de raccourci et précision, la simplicité et la clarté de significations, reflétant les façons profondes et les moyens de l'éducation, de l'enseignement et de l'éducation perspectives, El Akhdari a cherché à réformer la réalité sociale et culturelle, qui est l'un des critiques plus savante de la société et la propagation des parasites, il a appelé à un engagement aux bonnes mœurs découlant de valeurs islamiques, a mis un poème dans lequel les jeunes sont invités à respecter et à suivre les enseignements de l'Islam, a été critiqué savants de son temps.

En fin, on a assigné deux chapitres de cette note à l'étude des attitudes EL AKHDARI et des questions de culture, la politique, la société, puis en comparant les positions de certains scientifiques de rénovation et de la réforme sont les suivants: Abderrahmane Thaalibi et Mohamed el-Maghili, et AbdelKarim Fekoune, alors les questions sociales les plus importantes sont: la question de l'éthique sociale, le phénomène du tabagisme, la question de l'influence juive dans la société algérienne, ensuite les questions culturelles sont: la question du soufisme et les soufis, la science et les scientifiques, la question de la logique.

ملخص:

موضوع المذكرة يعالج شخصية علمية جزائرية هو عبدالرحمن الأخضري الذي ولد سنة 920هـ/1516م بمنطقة " بنطيوس" إحدى مناطق الزاب ولاية بسكرة حاليا، ينتمي إلى أسرة علمية أبوه وأخوه كان عالما، حيث أخذ عنهما العلم وعن الشيخ عمر الوزان بقسنطينة، وتعلم أوراد الطريقة الشاذلية الزروقية عن الشيخ محمد الخروبي، وتلامذة الأخضري: عبدالكريم الفكون الجد عالم قسنطينة مفتي قسنطينة، وتوفي الأخضري سنة 953هـ/1548م .

كتب الأخضري عدة كتب في العلوم النقلية والعقلية أغلبها لا تزال مخطوطة منها" :منظومة السلم المرونق" في المنطق، ومنظومة "أزهر المطالب في هيئة الأفلاك والكواكب" في علم الفلك، ومنظومة " الذرة البيضاء" في علم الفرائض، وفي التصوف اشتهر الأخضري بمنظومته القدسية، كما ألف منظومة الجوهر المكنون في صدف الثلاثة فنون، في البلاغة، وللأخضري عدة قصائد في النصح والإرشاد والمديح النبوي.

يتجلى دور الأخضري في حركة التجديد والإصلاح من خلال مؤلفاته وأفكاره، فالتجديد عند الأخضري يتبين في منهج التأليف ودعوته لتدريس العلوم العقلية كالمنطق والفلك، كما أبدع في طريقة التأليف من حيث الاختصار والدقة والبساطة ووضوح المعاني، وهو ما يعكس نظرته العميقة لطرق ووسائل التعليم والتدريس والتربية، وسعى الأخضري إلى إصلاح واقعه الاجتماعي والثقافي، حيث يعد من أكثر العلماء انتقادا لمجتمعه وما انتشر فيه من آفات ، فدعا إلى التزام الأخلاق الحسنة النابعة من قيم الدين الإسلامي، وقد وضع الأخضري قصيدة ينصح فيه الشباب بالالتزام وإتباع تعاليم الدين الإسلامي، وقد انتقد الأخضري علماء عصره .وخصصت فصلين من هذه المذكرة لدراسة مواقف الأخضري من قضايا الثقافة، السياسة والمجتمع ومقارنتها بمواقف بعض علماء التجديد والإصلاح وهم: عبدا لرحمن الثعالبي ومحمد بن عبد الكريم المغيلي، وعبدا لكريم الفكون، وأهم القضايا الاجتماعية هي: مسألة الأخلاق الاجتماعية، ظاهرة التدخين، قضية النفوذ اليهودي في المجتمع الجزائري، أما القضايا الثقافية هي: قضية التصوف والمتصوفة، العلم والعلماء، قضية المنطق.